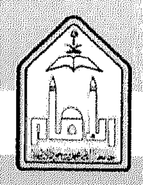
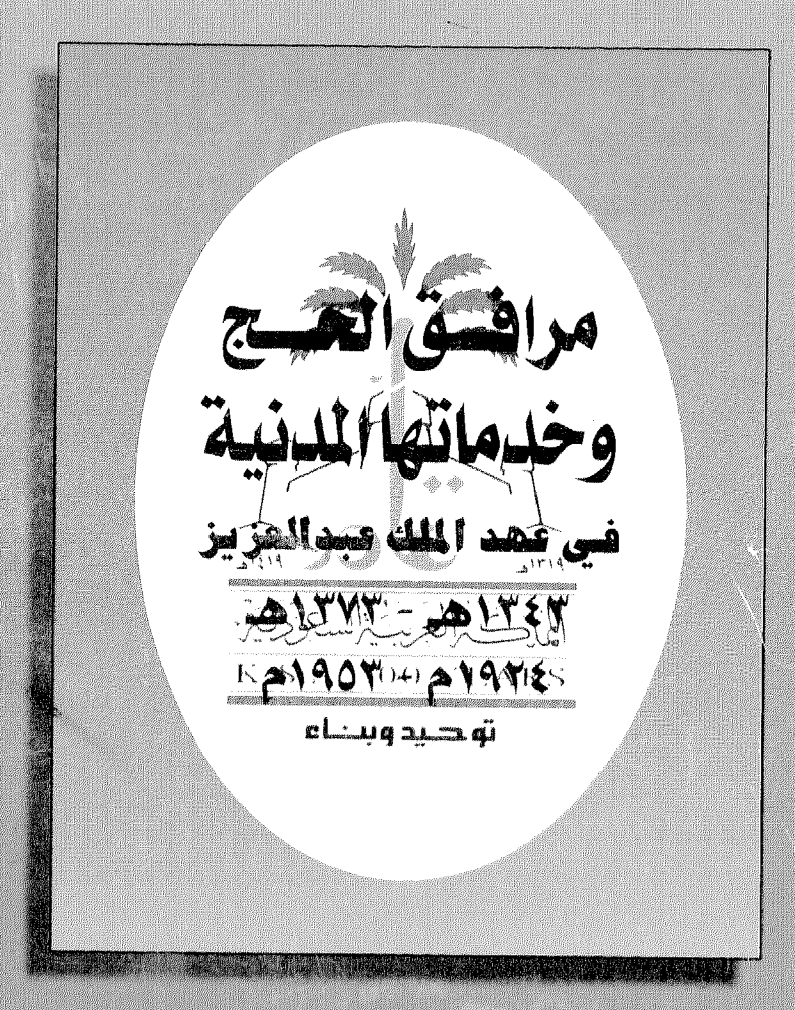
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية





سلسلة مشروع وزارة التعليم العالي لنشر ألف رسالة علمية (١٢)



مرافق الحج وخدماتها المدنية في عهد الملك عبدالعزيز

١٣٤٣هـ - ١٣٧٣هـ

١٩٢٤م - ١٩٥٣م

إعداد
وليد بن محمد بن أحمد جميل

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



سلسلة مشروع وزارة التعليم العالي لنشر ألف رسالة علمية (١٢)



مرافق الحج وخدماتها المدنية
في عهد الملك عبدالعزيز

١٣٤٣هـ - ١٣٧٣هـ
١٩٢٤م - ١٩٥٣م

إعداد
وليد بن محمد بن أحمد جميل

نشر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية

أشرفت على طباعته ونشره الإدارة العامة للثقافة والنشر بالجامعة

ⓒ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤١٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

جميل، وليد بن محمد بن أحمد. ـ الرياض.

مرافق الحج وخدماتها المدنية في عهد الملك عبدالعزيز: ١٣٤٣هـ- ١٣٧٣هـ.

٣١٠ ص ؛ ١٧ x ٢٤ سم . - (سلسلة مشروع وزارة التعليم العالي

لنشر ألف رسالة علمية، ١٢).

ردمك ٩ - ٢٦٦ - ٠٤ - ٩٩٦٠

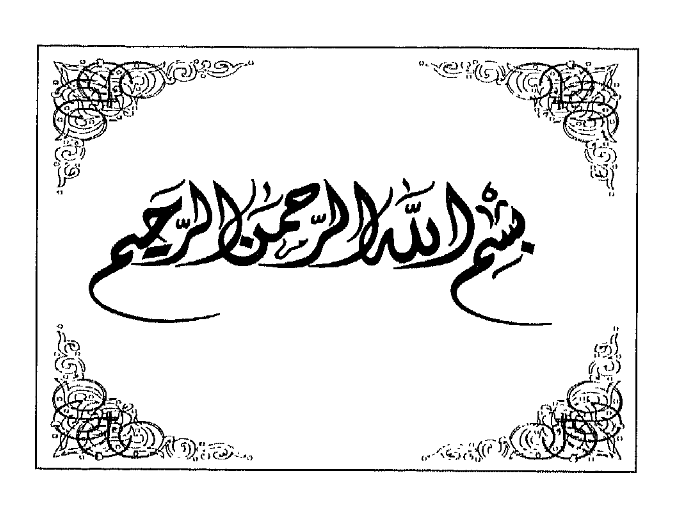
١ ـ السعودية - تاريخ - الملك عبدالعزيز ٢ ـ الحج - تاريخ ٣ـ الحج تنظيم وادارة

أ ـ العنوان

ديوي ٩٥٣,١٠٥ ١٩/٢٩٦٧

رقم الإيداع : ١٩/٢٩٦٧

ردمك ٩ - ٢٦٦ - ٠٤ - ٩٩٦٠


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

إن هذا البحث ما كان له أن يخرج بصورته التي هو عليها لولا مساعدة الله سبحانه وتعالى، ثم مساعدة أناس كثيرين كل في مجال تخصصه، وأخص بالشكر أستاذي الدكتور فهد بن عبدالله السماري الذي أشرف على البحث في جميع مراحله، وكان لحسن توجيهه ودقة ملاحظاته وجديته الأثر الواضح في إعداد مادة البحث وتحليلها وعرضها.

كما كان لأساتذتي في كلية العلوم الاجتماعية وفي قسم التاريخ خاصة فضل مقدر إما بتوجيهي إلى مصادر جديدة أو مناقشة أفكار عنت لي، واستفدت من ملاحظاتهم استفادة كبيرة، وأشكر لعمادة الكلية ووكالة الكلية للدراسات العليا والبحث العلمي ما قدموه من مساعدة ومعونة، فإليهم جميعًا الشكر الجزيل والعرفان بالجميل.

والشكر إلى جميع من تفضل بمقابلتي وتكرم علي بمعلومات كثيرة نافعة وأخص بالذكر كلاً من المطوف هشام جميل إسماعيل، والمطوف حسين عبدالله عابد، والمطوف محمد أمين إسماعيل سيف الدين.

وأود أن أنوه بما لقيته من مساعدات وتشجيع من القائمين على كثير من الهيئات والإدارات الحكومية، فقد أسهموا بقدر وافر وقدموا تسهيلات لولاها لما حصلت على الكثير من مصادر البحث ومراجعه، وأخص بالشكر العاملين في معهد الإدارة العامة، ودارة الملك عبدالعزيز، ومكتبة الملك فهد الوطنية، ومكتبة الملك عبدالعزيز العامة.

المقدمة

الحمد لله الذي جعل لنا الفرقان شرعة ومنهاجًا، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛ وبعد:

حظي كلٌّ من الحرم المكي والمسجد النبوي ، مهوى أفئدة المسلمين في كافة أنحاء العالم شرقًا وغربًا عبر القرون الماضية، بالعناية من حيث الاهتمام بأمور الوافدين إليهما، وتنظيم مرافق الحج لهم؛ مثل النقل والصحة والأمن، وتقديم الخدمات المتاحة لهم من خلال هذه المرافق. وعندما نستعرض تاريخ هذه الخدمات التي قدمت للحجاج نجد أن تنظيمها بدأ في عهد «قصي بن كلاب» إذ قسمها إلى السقاية والرفادة والحجابة والسدانة بالإضافة إلى اللواء والندوة، وقد توارثها أبناؤه من بعده حتى جاء الرسول، عليه الصلاة والسلام، فأبقى على السقاية والحجابة وألغى ماعداهما، وتواصل الاهتمام بالحرم المكي والمسجد النبوي في ظل الدول والحكام الذين حكموا المنطقة.

وتعد مرحلة حكم الملك عبدالعزيز (١٣٤٣هـ ـ ١٣٧٣هـ/ ١٩٢٤م ـ ١٩٥٣م) من أهم المراحل التي حظي فيها كل من الحرم المكي والمسجد النبوي بالاهتمام، وما قام به الملك عبدالعزيز من اهتمام بالمرافق الخاصة بالحج هو جزء من هذا الاهتمام التاريخي الذي يستحق الدراسة والبحث، فقد نتج عن هذا الاهتمام وتلك العناية العديد من التطورات والإصلاحات التي ستكون محل الدراسة في هذا البحث، إن شاء الله.

ستتناول هذه الدراسة مرافق الحج وخدمتها في عهد الملك عبدالعزيز، حيث مرت بمرحلة تطور جديدة توافرت من خلالها وسائل جديدة وتقنيات حديثة استطاع الملك عبدالعزيز أن يجلبها لتطوير أداء المرافق المخصصة للحجاج.

فقد بدأ الملك عبدالعزيز ينظم الحج، فخصص لذلك إدارة مستقلة مهمتها تقديم الخدمات للحجاج، ونتج عن ذلك ظهور تنظيمات إدارية مختلفة بحاجة إلى دراسة وتحليل.

وحرص الملك عبدالعزيز حينما ضم الحجاز على توفير الأمن لسكان المنطقة والحجاج القادمين إليها مما أدى إلى تطور الجانب الأمني، وأدى ذلك إلى تحسن في نسبة أعداد الحجاج وانخفاض في نسبة المتأثرين بحوادث السرقة وقطع الطرق.

كما شكلت الأوضاع الصحية للحجاج تحديًا آخر للملك عبدالعزيز، وخاصة في أماكن تجمعاتهم في المشاعر أو في مكة المكرمة والمدينة المنورة، تمكن من مواجهتها وتحسينها.

وتمثل المواصلات والاتصالات جانبًا مهماً من جوانب التطورات التي حصلت في عهد الملك عبدالعزيز لخدمة الحجاج وتيسير الحج للمسلمين، وستبرز هذه الدراسة أهم جوانب هذا التطور.

ويأتي توفير المياه للحجاج ضمن أهم الخدمات العامة التي أولاها الملك عبدالعزيز جُلَّ اهتمامه، إلى جانب اهتمامه بتوسعة المسجد النبوي، وذلك إثر تزايد أعداد الحجيج. كما عمل على أن تكون صناعة كسوة الكعبة محلية بعيدة عن المؤثرات السياسية والاقتصادية.

ونظرا لتوافر هذه الخدمات وتطورها فقد كان لها أثر واضح على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في المنطقة، وعلى الحجاج أنفسهم، وسوف تقوم هذه الدراسة بإبراز جوانب ذلك الأثر أيضًا.

خطة البحث

حيث إن البحث تاريخي الجوهر فقد عني بتتبع وتطور مرافق الحج وخدماته المقدمة للحجاج وما طرأ عليها من تطور في عهد الملك عبدالعزيز. ويتكون البحث من سبعة فصول وخاتمة وملاحق عدا هذه المقدمة.

الفصل الأول: الحجاز قبل عهد الملك عبدالعزيز.

ويتناول الباحث في هذا الفصل وضع مرافق الحج وخدماته في أواخر عهد الأشراف، وشعور المسلمين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي حول أوضاع الحج والخدمات المقدمة لهم، كما يمهد الباحث بمقدمة تاريخية تتناول دخول الملك عبدالعزيز إلى منطقة الحجاز وضمها.

الفصل الثاني : التنظيم الإداري للحج.

ويتناول هذا الفصل إنشاء الإدارة العامة للحج، وأبرز المهام التي تشرف عليها، كما يتناول الفصل أهم النظم التي وضعت لتنظيم أمور الحجاج ومن أهمها نظام المطوفين والزمازمة ونظام الأدلاء ونظام الوكلاء ونظام هيئة مراقبة الحجاج بجدة ونظام تسجيل المتوفين من الحجاج وضبط تركاتهم ونظام دخول المعتنقين الدين الإسلامي للحرمين الشريفين والتعليمات الخاصة بالحجاج المشاة.

الفصل الثالث : الخدمات الأمنية خلال موسم الحج.

وفيه دراسة لوضع الأمن في طرق الحج وفي المشاعر المقدسة والمدن الرئيسة في الحجاز، كما يتناول هذا الفصل الوسائل الأمنية التي استخدمها الملك عبدالعزيز لتوطيد دعائم الأمن في المنطقة.

الفصل الرابع : الخدمات الصحية خلال موسم الحج.

يتناول هذا الفصل الأوضاع الصحية في الحج، وأهم وسائل الخدمات الصحية والوقائية الموجودة في الحج، كما يتناول أهم الأمراض والأوبئة في موسم الحج وسبل مكافحتها.

الفصل الخامس: المواصلات والاتصالات في موسم الحج.

ويتناول هذا الفصل أهم وسائل نقل الحجاج وتطورها، كما يتناول وسائل المواصلات والاتصالات الحديثة التي استخدمت في الحج، كما يتناول كذلك الخدمات المقدمة للحجاج وذلك في المنافذ البرية والبحرية السعودية.

الفصل السادس: الخدمات العامة والإصلاحات في مرافق الحج.

وهو يعرض لأهم مشروعات وخدمات توفير المياه للحجاج في عهد الملك عبدالعزيز، كما يتناول مشروعات توسعة الحرم المكي والمسجد النبوي، إضافة إلى إنشاء مصنع كسوة الكعبة وأهم المرافق العامة المقدمة للحجاج.

الفصل السابع : آثار ونتائج تطور الخدمات العامة.

وفيه دراسة تحليلية لتطور ونمو أعداد الحجاج في عهد الملك عبدالعزيز، كما يتناول أهم الآثار التي ترتبت على النواحي العمرانية والاقتصادية والفكرية.

الخاتمة:

وهي خلاصة موجزة لما أسفر عنه البحث من نتائج.

الملاحق :

وهي رسم بياني لتطور أعداد الحجاج، كما تشمل جدولين لأعداد الحجاج وإمارة الحج في عهد الملك عبدالعزيز.

وفي الختام؛ أرجو من الله تعالى أن أكون قد وفقت في كتابة هذا البحث، وأن أكون قد أعطيت الموضوع حقه من البحث والدراسة والتأصيل، كما أسأل الله أن يوفقني في إعداد دراسة تاريخية مقبولة تتسم بالموضوعية والشمولية وفق عناصر البحث العلمي المتعارف إليها، أسهم من خلالها في تغطية جانب مهم من التاريخ الحديث والمعاصر عامة، وتاريخ أطهر البقاع خاصة.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الفصل الأول

الحجاز قبل عهد الملك عبدالعزيز

أولاً ـ مرافق الحج وخدماته في أواخر عهد الأشراف.

ثانياً ـ شعور المسلمين تجاه أوضاع الحج المختلفة.

ثالثاً ـ مراحل ضم الملك عبدالعزيز للحجاز.

أولاً ـ مرافق الحج وخدماتها المدنية في أواخر عهد الأشراف.

لقد كان لمنطقة الحجاز أهمية بالغة، إذْ كان فيها طريق رئيسي من طرق التجارة العالمية، وهو الطريق البري الذي يصل ما بين جنوب الجزيرة وشمالها ومنه تتفرع طرق تتجه صوب الشرق والشمال الشرقي، وفي موازاته طريق رئيسي آخر كان له أهميته في عالم التجارة العالمية وهو البحر الأحمر والذي كان في الماضي يسمى بحر القلزم، وإذا كان الطريق الأول قد ضاق في العصر الحديث وتقلص فإن الثاني هو عرق نابض تسير فيه الدماء بقوة وغزارة[١].

ولقد تطورت مدينة مكة المكرمة ونالت المنزلة الكبرى لوجود الكعبة بها ولازدهار تجارتها ولموقعها الجغرافي، فسعت قبيلة قريش إلى تحقيق السلام في مكة المكرمة وأرجاء الحجاز لتشجيع الحجاج والتجار على الرحيل في أمان واطمئنان، فقد حالفت قبائل البادية، كما كانت على علاقات طيبة مع المدن الأخرى، فكانت صلاتها وثيقة بقبيلة ثقيف في الطائف، والأوس والخزرج في يثرب، كما كان لها علاقات طيبة في خيبر وتيماء ووادي القرى، وبهذه الصلات ضمنت قبيلة قريش عدم عداء القبائل العربية لها، كما ضمنت عدم وجود خصومات مع المدن الحجازية، وحظيت باحترام عام من كافة أنحاء الجزيرة العربية، كما أصبحت مكة المكرمة المدينة العربية التي تتجه إليها نفوس العرب[٢]. وقد ابتعدت عن الحروب القبلية ونجحت في السيطرة على سائر القبائل العربية، كما ارتبطت بالدول المعاصرة بكثير من الصلات الاقتصادية والسياسية، واقتبست منهم ألوانًا مختلفة من الحضارة والثقافة، وتأثرت بنظمهم السياسية والاجتماعية، وهكذا اهتمت قريش بشؤون مكة المكرمة لتسهيل الحج فنظمت الخدمات

---

(١) أحمد إبراهيم الشريف. دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة، ط٢ (القاهرة: دار الفكر العربي. ١٩٧٧م) ص٣.

(٢) أحمد إبراهيم الشريف. مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول، ط٢ (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٦٧م) ص ص ١٤٦ ـ ١٥٠.

البلدية وسعت إلى توفير المياه للحجاج كما قامت بتمهيد الطرق ونظافتها، ووقاية المدينة من السيول التي كثيرًا ما يشهدها المكيون ويعانون منها، كما اهتمت بإضاءة الطرقات وإقامة المشاعل فوق الجبال العالية المحيطة بها لإرشاد قوافل الحجاج والتجار[١].

ويعدّ قصي بن كلاب أول من وضع أسس حكومة مكة كما يعدّ هو أول من قام بتنظيم خدمة الحرم والحجاج[٢]، وكان أهم هذه الخدمات هي: الندوة واللواء والحجابة والرفادة والسقاية[٣]. وتاريخ مكة الحقيقي يبدأ من أيام قصي بن كلاب بن مرة القرشي الذي تولى أمر مكة حوالي منتصف القرن الخامس الميلادي وفي عهده استطاعت قبيلة قريش أن تنهض بمكة وجعلت منها مدينة ذات مركز اقتصادي وديني وأدبي ممتاز[٤]. وباستمرار ولاية مكة في أبناء قصى بن كلاب استمرت هذه الخدمات، ومن جهة أخرى؛ فإن وظيفة الحجابة وخدمتي الرفادة والسقاية هي من أهم الأعمال التي نظمها قصي بن كلاب واستمرت إلى أن فتح الرسول، صلى الله عليه وسلم، مكة حيث ألغى ما وضع في الجاهلية عدا السقاية والحجابة[٥].

---

(١) علي حسني الخربوطلي. تاريخ الكعبة (بيروت: دار الجيل، ١٤٠٨هـ) ص١١٣.

(٢) محمد عبدالملك ابن هشام. السيرة النبوية، ج١ (القاهرة: دار التراث العربي. ١٣٩٩هـ) تحقيق أحمد حجاري السقا، ج١، ص١٢٥.

(٣) الحجابة تختص بتملك مفاتيح البيت والإذن للناس بالدخول فيه. والسقاية وهي السقاية من زمزم في حياض من أدم يسقى منها الحجيج في فناء المسجد ومنى وعرفه. أما اللواء فكان لبني عبدالدار وكانت الرفادة خرجًا تخرجه قريش كل موسم إلى قصي يصنع منه طعامًا للحجاج والفقراء، وكان فرضًا من قصي عليهم بوصفهم جيران الله وأهل بيته وحرمه وعليهم إكرام ضيوفه. أما الندوة فهي دار اتخذها قصي شمال الكعبة للمشورة والرأي. وأما اللواء فهو علم يحمله قادة المعركة، تدور حوله المعركة ويدافع عنه. انظر محمد صالح الشيبي. إعلام الأنام بتاريخ بيت الله الحرام، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٠٥هـ) ص٢٤٦، تحقيق إسماعيل أحمد إسماعيل حافظ.

(٤) أحمد إبراهيم الشريف. مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول، ص١٠٣.

(٥) ابن هشام. المصدر السابق، ج٤، ص٢١٠.

وقد ازداد عـدد الحجاج من المسلمين وذلك بعد فتح مكة المكرمة كـما ازدادوا في الأعوام التـالية لعـام الوفود، لذا؛ فـإن الوضع الاقتصـادي لمكة المكرمة وخـاصة في فـترة موسم الحج قـد زاد وتطور[١]. ومما هو معـروف أن أول قافلة حج جـهزت وأرسلت إلى بيت الله الحـرام في التاريخ الإسـلامي هي قافلة أعـدها الرسول، صلى الله عليـه وسلم، وأرسلهـا إلى بيت الـله الحـرام تحت إمـارة أبي بكر الصـديق، رضي الله عـنه، في السنة التاسعـة من الهجرة، حيث فـرض الله تعالى حج بيته عـلى عباده[٢]. وبذلك حظيت مكة المكرمة كـما حظي مـوسم الحج باهتمـام الأمراء والخلفـاء الذين أولوها جلّ اهتمـامهم، حيث سعوا إلى ترتيب وتنظيم الأمور فيها وذلك منذ أيام الرسول، صلى الله عليه وسلم، إذْ كـان من واجب الخليـفة أن يرتب قـافلة الحج وينظمـهـا، وأن يعين أميـرًا عليـها يقـوم بحراستها وتأمين احتياجاتـها في الطريق من مأكل ومشرب وغير ذلك فظهرت بذلك في التـاريخ الإسـلامي طـرق عـرفت بدروب الحج مـثل: طريق الحج اليـمـني وطريق الحج المصري وطريق الحج العراقي وطريق الحج الشامي وغيرها[٣].

وفي عهـد الأشراف تفاوتت الأوضـاع في الحجاز صـعودًا وهبـوطًا وذلك بحسب هيمـنة شريف مكة على المنطقـة سيـاسيًا أو اقـتصـاديًا أو عسكريًا، ويَذْكُـرْ بعض من زار المنطقة في بداية حكم الشريف حـسين لمكة المكرمة عدم توفير العـدل والأمن حيث كانت منطقة الحجاز نهبًا للناهبين، فكان الحجـاج كما كان المطوفون يسلبون حتى في ظل البيت الحرام[٤]، وفي عام ١٣٣١هـ نجـد أن الأوضاع لم تكن جـيدة فقـد واجه الشـريف حسين

(١) سليمـان عبـدالغني مالكي، سـعد الدين أونال. تاريخ الحج من خـلال الحجـاج المعمـرين (مكـة المكرمة: جامعة أم القرى، مركز أبحاث الحج)، ص٣٧.

(٢) ابن هشام. المصدر السابق، ج٤، ص٤٠٢.

(٣) انظر تفاصـيل هذه الدروب في كتاب سـيد عبدالمجـيد بكر. «الملامح الجغـرافية لدروب الحجـيج» (جدة: تهامة، ١٤٠١هـ).

(٤) انظر أمين الريحاني. ملوك العرب، ط٨ (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٧م) ص٦٠.

الكثير من المشكلات والصعاب، حيث ظهرت شكاوى عديدة أزعجت الدولة العثمانية في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، تنادي بتوفير الأمن للحجاج في الأراضي المقدسة في الحجاز، ولعل منها تلك المطالب التي ظهرت في بعض صحف جاوى في إندونيسيا والتي بينت أن أموال الحجاج الجاويين قد نُهبت، وترجو فيه معاملتهم معاملة حسنة تزيل هذه الشكوك والاتهامات[١]. لكننا نجد أن الوضع الأمني في موسم حج عام ١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م كان جيداً فقد أفادت المعلومات أن الطريق من مدينة جدة إلى مكة لمكرمة ومنه إلى عرفات كان خاليًا من المشكلات[٢]. أما موسم حج عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م فقد صادف الحجاج خلاله متاعب جمة على مختلف الأصعدة والمستويات فقد فوجئ الحجاج وخاصة الذين يمشون من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة بوجود ضريبة خاصة بحمايتهم يجب عليهم دفعها ولم يكن لها وجود في السابق، فقبل الحج بأشهر أصدرت حكومة الهند البريطانية نشرة صحفية أوضحت فيها المكوس والضرائب التي يجب على الحجاج دفعها إلا أن الضرائب التي أخذها الشريف حسين كانت أكثر من التي نُشرت في صحيفة حكومة الهند البريطانية للحجاج الهنود[٣]، وعلى سبيل المثال لم يكن في النشرة أي ذكر عن الضرائب المأخوذة على الطريق بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، ولم يكن على الطريق ضريبة في السابق وقد أُخذت لأول مرة، وبعض الحجاج طلب منهم في حج عام ١٣٤٠هـ أن يدفعوا ضريبة حماية رغم أن سرقة الحجاج بواسطة البدو كانت كثيرة الحدوث وأمراً مثيراً للمتاعب، حتى النساء لم يتمتعوا بالحماية من سوء المعاملة، حيث كان يتم فصل بعض الجمال التي تحمل النساء من القافلة بواسطة البدو وكانت تتم محاولة الاعتداء عليهن، أما حجاج السند فكانوا يعاملون معاملة سيئة من قبل الشريف

---

(١) «من وزارة الخارجية إلى دائرة أمور القنصليات»، في ٢٠/ ٧/ ١٣٣١هـ، رقم الوثيقة ٣٧٧/ ٣٣٩٨٥ (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية) مجموعة وثائق عثمانية.

(٢) Lt. Col. Wilson's Preliminary Official Pilgrimage Report, Records of the Hajj. Vol. 5. p. 80.

(٣) Extract from Muslim Outlook' 23 September 1923; Records of the Hajj: Vol. 5 p.p 493. 494.

الذي أساء معاملتهم لحماسهم للخلافة العثمانية، ولم يتعرض الحجاج لمثل هذه المعاملة قبل ذلك، ففي السابق كان الجندي التركي يقف بالمرصاد لحماية الحجاج وعدم السماح بسوء معاملتهم، أما الشريف فهو عاجز عن السيطرة على البدو، حيث أعلنوا أنهم يتبعون في عملية السلب والنهب الشريف حسين[١].

وعلى الرغم من أن حالة الأمن في طريق المدينة المنورة سيئة إلا أن الأمن العام بين مدينة جدة ومكة المكرمة وعرفات ومدينة الطائف أفضل كثيرًا مما كان عليه عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م[٢]. ولقد كانت المكوس الباهظة التي فرضها الشريف حسين على الناس والحجاج، كما كان إبطاله الأفران العامة والخاصة التي تخبز الخبز وإنشاؤه أفرانًا يكره الناس على الشراء منها ـ بالثمن الذي لا يمكن أن يزاحمه فيه أحد ـ من أسباب تذمرهم واستيائهم[٣].

ونستطيع أن نحدد المناطق التي توافر فيها الأمن في جهات قليلة من جدة بحرًا فالسواحل الحجازية، وبرًا من جدة إلى مكة فمنى فعرفة فمزدلفة إلى الطائف، أما طريق المدينة المنورة فلم يكن الشريف حسين قادرًا على أن يقيم الأمن فيه، وذلك لتعدي القبائل على الطريق وأخذ الضرائب من الحجاج ورجوع القوافل الزائرة للمسجد النبوي مرات عديدة عائدة إلى مكة المكرمة[٤].

لقد كان البدو في العهد العثماني موزعين على الطريق من لدن الحكومة، حيث كان

---

(١) Extract from' Muslim Outlook' 23 September 1923; Records of the Hajj: Vol. 5 p.p 493, 494.

(٢) From Consul Bullard to the Marquess Curzon of Kedleston, November 2, 1923; [E 11323/120/91] Records of the Hajj: Vol. 5 p.497.

(٣) محمد رشيد رضا. الوهابيون والحجاز «طائفة من مقالات نشرت في المنار والاهرام» (بنارس: إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية، ١٤٠٩هـ) تحقيق وتعليق عبدالرحمن بن عبدالجبار الفريواتي، ص٣٣.

(٤) حسين محمد نصيف. ماضي الحجاز وحاضره (جدة: د. ن. ١٣٤٩هـ) ص١٠٠.

مناط بهم مسؤولية السلام والسيطرة على الطريق وعن إمداد قوافل الحجاج[١]، وقد خصصت الدولة العثمانية لهذه القبائل صرة وهي عبارة عن مساعدات عينية ومادية، وقد كانت قبيلة حرب القاطنة بين المدينة المنورة وينبع مكلفة بنقل الأرزاق المرسلة من مصر إلى ميناء ينبع لتوزيعها على فقراء المدينة المنورة، وكان القائمون بهذه المهمة من بني حرب يسمون صاحب الدرك[٢]، لكن بعض الإجراءات الخاطئة أو حجب أمير مكة المكرمة هذه المساعدات العينية والمادية والتي تعرف بالصرة عنهم أو إعطائهم أقل مما هو مخصص لهم أو استخدام الشدة التي لا لزوم لها ضدهم كانت تؤدي إلى ثورتهم، وهذا ما يعقد مسألة الإمدادات من الحبوب ويجعل موقف الحجاج صعبًا ويعرضهم إلى التهلكة[٣].

أما في عهد الشريف حسين فعلى الرغم من اتخاذه رؤساء القبائل حراسًا على الطريق وإغداقه العطايا لهم إلا أنه تمكن بصعوبة أن يؤمن الطريق بين مدينة مكة المكرمة ومدينة جدة، وبين مكة المكرمة ومدينة الطائف من خلال طريق الكرى فقط، أما طريق السيل فقد كان محفوفًا بالمخاطر، كما لم يستطع أن يؤمن الطريق بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، لأن البدو في ذلك الطريق كانوا لا يقبلون بالقليل[٤].

وقد حدثت في سنة ١٣٤٣هـ أن قافلة فيها آلاف من الحجاج سارت إلى المدينة المنورة، وقد أخذ الشريف الحسين من كل واحد منهم خمسة عشر جنيهًا نصفها لنفسه ونصفها لأصحاب الجمال، ولما صار الحجاج في منتصف الطريق اعترضهم البدو[٥]،

---

(١) Extract from The Malayan Bulletin of Political Intelligence, November 1923; Records of the Hajj: Vol. 5 p 498.

(٢) أي حماة المرور.

(٣) إسماعيل حقي اوزون جارشلي. أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (البصرة: مركز دراسات الخليج العربي، ١٩٨٥م) ص٨٢.

(٤) أم القرى، العدد ٧، في ١٣٤٣/٦/٢٨هـ، ص١.

(٥) أم القرى، العدد ٧، في ١٣٤٣/٦/٢٨هـ، ص١.

وطلبـوا مبلغًـا من المال لم يسـتطع حجـاج القافلة دفعـه وكان ضـمن القافلة جـدة أميـر أفغانسـتان، فحجزت هذه الـقافلة من لدن البدو في الصحراء لمـدة شهر، مما أدى إلى قلق حكومة الحجـاز على هذا الموضوع. هذا؛ وبعد تأخيـرها ثمانية وعشريـن يومًا رحلوا بعد دفع المبلغ المطلوب[١].

أمـا في داخل المدن الكبـرى في الحجـاز كمـدينة جـدة ومكة المكرمـة فقـد عهـدت حكومـة الشريف إلى جـهـاز الشرطة لمراقـبة الـنظام في داخلها ومـراقـبة تنفـيذ الأوامـر الحكومية والمحافظة على الآداب العامة وغيرها[٢].

لقـد كانت الطرق الداخليـة في مكة المكرمة في أوائل الـقرن الرابع عـشر الهـجري تتميز باختلاف سعتها فتتراوح بين المترين إلى الخمسة عشر مترًا، وبهذا فإنها خلال موسم الحج ومع الازدحـام السكاني تعـاني من انتشـار الأوسـاخ في هذه الشوارع وذلك لعـدم اهتمـام المجلس البلدي بنظافتها وبإنارة الشـوارع ليلاً[٣]. فعلى الرغم من تأسيس البلدية عام ١٣٢٦هـ إلا أن العناية بنظافة البلدة غير كافية[٤].

ونرى أن مواسم الحج في تلك الفترة كان يصاحبهـا أمراض، قد يتخذ بعضها شكلاً وبائيًا وذلك لعدم اتخاذ الإجراءات الوقائية، إذ إن قني الميـاه في المشاعر المقدسة مكشوفة مما يؤدي إلى تلوثه وخاصـة في منطقة منى[٥]، كمـا أن لضعف الوعي الصـحي في ذلك

---

(١) Pilgrim Shipping and Embarkation Regulations, Records of the Hajj: Vol. 5. pp 513 - 514

(٢) طالب محـمد وهيم. مملكة الحـجاز «١٩١٦م ـ ١٩٢٥م» دراسـة في الأوضاع السيـاسية (البـصرة: مـركز دراسات الخليج العربي، ١٩٨٢م) ص ص ١٤٣ ـ ١٤٤.

(٣) محمد لبيب البتنوني. الرحلة الحجازية (الطائف: مكتبة المعارف، د. ت) ص٣٩.

(٤) محمد عمر رفيع. مكة في القرن الرابع عـشر الهجري (مكة المكرمة: نادي مكة الأدبي والثقافي، ١٩٨١م) ص٢٥.

(٥) أمين الريحاني. ملوك العرب، ص ص٣٦ ـ ٣٧.

الوقت أثره في زيادة الأمراض وانتشارها، فجهل عامة الحجاج بقواعد الصحة العامة وانتشار الأوساخ وعدم وجود أجهزة إدارية وفنية متخصصة للقيام بهذه المهمة أدى إلى تعرض الحجاج للأمراض ثم الوفاة.

كما أن من أسباب الوفيات وانتشار العدوى في مواسم الحج ذلك الازدحام والتحلُّل الذي يتطرق إلى جثث ذبائح الأضاحي التي تنحر في منى، حيث تلقى في حفر تصنع لذلك، ولكن يترك أكثرها معرضًا للشمس والهواء فيتطرق إليها التحلل مما يؤدي إلى التعفن فتنتشر الأمراض[١].

ومن جهة أخرى؛ فإن المنازل التي خصصت لإيواء الحجاج لم تصل إلى المستوى المناسب من النظافة، إذ إن تحت كل منزل حفرة للمجاري ذات فتحة صغيرة لا تقفل أبدًا، مما جعل الروائح الكريهة تعم المنزل. فضلاً عن ذلك؛ فإن الغرفة الواحدة يسكنها عدد كبير من الحجاج الأمر الذي يعطي الفرصة لانتشار الأمراض مثل الدوسنتاريا[٢].

أما الإجراءات الوقائية المتخذة في تلك الفترة من لدن الحكومة فقد أنشئت في جدة إدارة خاصة للحجر الصحي، ويقع هذا المحجر في جزيرة أبوسعد لحجز الحجاج القادمين بحرًا إلى أن يتم تطهيرهم من الأمراض والأوبئة، وقد حاولت بريطانيا أن يقتصر الحجر الصحي على محجر الطور وكمران في حين أن الشريف حسين يرى أن حكومته أولى بحفظ بلاده من الأمراض[٣]. ويبدو أن المحجر الصحي في جزيرة أبي سعد لم يتم تنظيمه بالشكل اللائق مما أدى إلى تذمر الحجاج، فالماء فيه قليل، والطعام رديء وأثمانه غالية،

---

(١) عبدالغني شهبندر. رحلة الحجاز (بيروت: د. ن، ١٩٣٧هـ)، ص ص ٧٨ ـ ٨٤.

(٢) From Baymond Davis, American Consul, Jeddah, to Department of State, Washington, D. C. November, 6, 1923, Records of the Hajj: Vol. 5, p .502.

(٣) حسين محمد نصيف. المرجع السابق، ص١٠٢.

كما أن غرفة التطهير غير كاملة التجهيزات[(١)]، وقد شكل موضوع الحجر الصحي احتجاجات عديدة على حكومة الشريف حسين في عام ١٩٢١ ـ ١٩٢٢م، وقد كانت حجة حكومة الهند البريطانية بأن وجود الترتيبات الصحية في محجر كمران قد جعل محجر الحجاز غير ضروري، ولكن العقبة التي واجهت هذا الاحتجاج هو أن الحجاز لم تكن ضمن الدول الموقعة على اتفاقية الصحة العالمية[(٢)].

وفي المقابل؛ فإن الشريف حسين يرى أن له الحق في اتخاذ الإجراءات التي يعتقد أنها ضرورية لإبعاد الأوبئة عن المنطقة، وكان أهم مبرراته في ذلك هو إهمال لجنة الحجر الصحي بالإسكندرية في فرض الحجر الصحي على الحجاج من مصر، حيث كان مرض الطاعون منتشراً في الطور[(٣)].

ولاشك أن زيادة أعداد الحجاج إنما يعود في نسبة مهمة منه إلى تطور وسائل القدوم وإلى التسهيلات المرتبطة بهذا التطور، فلقد كان في استطاعة بعض الحجاج في الماضي أن يحقق رغبته في القدوم إلى الحجاز بوسائل شتى يكتنفها المشقة في معظمها، حيث كانت صعوبة المواصلات تمثل أهم ما يواجه القادمين للحج من مشقة وتعب[(٤)].

ومن ناحية أخرى فلم تكن قبل العهد السعودي طرق معبدة أو وسائل مواصلات متطورة، وبالتالي فقد كان القادمون إلى منطقة الحجاز يتكبدون الصعاب في الحج ومنهم من لاقى حتفه بسبب وعورة الطرق وانعدام أسباب الراحة، ومنهم من كان يضل الطريق،

---

(١) أمين الريحاني. ملوك العرب، ص٣٨.

(٢) From Consul Bullard to the Marquess Curzon of Kedleston, November 2, 1923; [E 11323/120/91] Records of the Hajj: Vol. 5 p.495.

(٣) المرجع السابق.

(٤) عمر الفاروق السيد رجب. الحجاز «المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية أرضه وسكانه ـ دراسة أيكولوجية» (جدة: دار الشروق، ١٩٨٠م) ص٢٨.

هذا إلى افتقاد الأمن وانتشار الخوف والذعر والهلع مما أفضى إلى تحكم البادية في الحجاج أو القادمين للمنطقة فقطعوا طرقهم وسفكوا دماءهم واستلبوا أموالهم(١). وفي أواخر عهد الأشراف، كان اعتماد الأهالي والحجاج القادمين إلى منطقة الحجاز على الوسائل المتوافرة كالحمير والبغال والخيل والجمال(٢).

ولكننا نجد أن لنقل الحجاج من مدينة جدة إلى مكة المكرمة، ومن مكة المكرمة إلى منطقة المشاعر المقدسة ومنها إلى المدينة المنورة ترتيبات وأنظمة تنسق عملية انتقالهم، وذلك مقابل الرسوم التي تؤخذ على ذلك باتفاق بين أهل هذه المهنة وبين شريف مكة(٣).

وفي المقابل؛ فإن الشريف حسين لم يكن يميل إلى التطور على الرغم من تطور المواصلات في أنحاء العالم كظهور السيارات إلا أنه لم يكن يسمح بدخولها، كما أنه عارض مد سكة حديد الحجاز من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة(٤)، ذلك أنه يرى أن إدخال السيارات إلى البلاد سيؤدي إلى استنزاف ثرواتها فهو يعدّ الجمل الوسيلة المثلى للنقل من الناحية الاقتصادية؛ إذ إن البادية التي يتكون منها سواد الشعب إنما مصدر عيشها هو الجمل الذي يعتمد عليه في السفر والنقل، في حين أن السيارات تحتاج في وقودها وصيانتها وإدارتها إلى أيد عاملة من خارج الجزيرة العربية، وهو أمر يستنزف ثروات البلاد بينما يحفظ الجمل ثروة الدولة داخل حدودها، ولهذا فلم يكن في العهد الهاشمي أي نوع من السيارات يسمح به باستثناء سيارة الشريف نفسه(٥). ومن هذا المنطلق عانى سكان المنطقة من تخلف وسائل النقل وعدم الاعتماد على الوسائل الحديثة

---

(١) محمود أبار. «الحجاز بين الماضي والحاضر». المنهل. المجلد ٩، اليوبيل الفضي، عدد ذي القعدة وذي الحجة، سنة ١٣٨٦هـ، ص٤٦٥.

(٢) محمد عمر رفيع. المرجع السابق، ص١١٣.

(٣) محمد عمر رفيع. المرجع السابق، ص١٧٥.

(٤) محمد علي مغربي. أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة، ج١ (جدة: تهامة، ١٤٠١هـ) ص٣٧.

(٥) محمد علي مغربي. أعلام الحجاز، ج١، ص٦٨.

المريحة والآمنة، وترتب على هذه المعاناة شعورهم بعدم الأمان والطمأنينة وبالخوف أثناء تنقلهم من مدينة إلى أخرى. وفيما يخص النقل البحري فقد كان ميناء جدة هو المنفذ الرئيس الذي يأتي من خلاله حجاج البحر، ولذلك فقد تم وضع تنظيم خاص للحجاج والمغادرين ميناء جدة[١]؛ حيث اشترط على السفن الحاملة لهم أن يكون لها مكتب قنصلي يتحمل مسؤوليتها، كما يقدم الحجاج تعهدًا إلى حكومة الشريف بعدم مسؤوليتها عما يحدث لهم على السفينة، ويجدر بنا القول إن السلطات البلدية والمحجرية والجمركية قامت بوضع عمال نظافة وحمالين في الأماكن التي يتجمع فيها الحجاج. كما تم بناء مراحيض لاستخدامها من لدنهم، كما كان هناك عدد من القوارب الخاصة بنقل الحجاج من المحجر الصحي إلى سفنهم[٢].

ثانيًا ـ شعور المسلمين تجاه أوضاع الحج المختلفة.

يدرك معظم المسلمين أن تلك المصاعب والمشكلات الموجودة في منطقة الحجاز يرجع سببها إلى أعمال البدو الذين لم يستطع الشريف حسين السيطرة عليهم، كما يرون أن مستوى المعيشة في مكة المكرمة مرتفع وأن إمدادات الطعام قد تدهورت كيفًا، كما أن تكاليف إيجار الجمال والخيام قد ارتفعت وأصبحت عبئاً على الحجاج، كما نجد أن من المصاعب الموجودة في المنطقة تلك الضرائب التي تفرض عليهم والتي تتضاعف باستمرار، حيث لا توجد لوائح تنظم أجور التعريفة، كما أننا نجد أن الوضع الأمني المتردي وانتشار أمور السلب والنهب في الطريق بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، قد زاد الشعور بعدم الارتياح إذْ لا يوجد إحساس بالحماية والأمن على طريق السفر[٣]. ويرى المسلمون في الهند أن الرحلة إلى المدينة المنورة خطيرة بسبب قاطعي الطريق المنتشرين في كل مكان، إذ لم يستطع الشريف حسين فرض الأمن والاستقرار على الطريق بين مكة

---

(١) Pilgrim Shipping and Embarkation Regulations, Records of the Hajj: Vol. 5.6 p. 511.

(٢) المرجع السابق. .

(٣) From E. I.I. chief Secretary to Government of Bihar and Orissa, Records of the Hajj: Vol. 5 p.504.

المكرمة والمدينة المنورة[١]. وقد أفادت التقارير أن البدو الذين يحرسون الحجاج من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة يقتسمون ابتزازهم مع الشريف حسين مما يزيد من المصاعب التي يلاقيها الحجاج[٢]. ولا شك في أن أسباب اضطراب الأمن في الحجاز كانت ترجع إلى ضعف السلطة الحاكمة وعدم قدرتها على السيطرة وتوفير الأمن للمواطنين والوافدين لأداء فريضة الحج ومناسك العمرة، فضلاً عن عدم إقامة الحدود الشرعية وتنفيذها في القتلة وقطاع الطرق واللصوص والضرب على يد كل من تسول له نفسه تعكير صفو الأمن، فلم يكن لدى السلطة الإمكانات المطلوبة لحفظ الأمن وتوطيده، في الوقت الذي كان فيه أغلب أفراد القبائل والعشائر في البادية يمتلكون السلاح[٣]، ولم يعبأوا بتعهدات رؤسائهم فيخرجوا طالبين إتاوات لهم وتكليف الحجاج بأن يدفعوا لهم مالاً عن كل واحد منهم[٤]. ويعدّ الجهل المطبق، الذي كان مخيماً على الناس، والفقر المدقع والحالة الاقتصادية السيئة التي كانت تعيشها البلاد في تلك الفترة أسبابًا رئيسة لعدم سيطرة الدولة على زمام الأمور، فسكان الحرمين وما جاورهما كانوا يعتمدون في معيشتهم على مواسم الحج والصدقات التي كانت تأتي من بعض البلاد الإسلامية، والقليل منهم كانوا يزاولون التجارة وأعمال الحرف البسيطة وليست لهم موارد رزق خلاف ذلك، ولعله يكون غنيًا عن البيان ما للفقر وسوء الأحوال الاقتصادية والجهل من تأثير وبواعث على ارتكاب الجريمة[٥].

---

(١) From A. W. Botham, ESQ., CIE., Chief Secretary to the Governmenet of Assam, Records of the Hajj: Vol. 5 p.561.

(٢) From M. E. Couchman, ESQ Acting Chief Secretary to the Governmenet of Madras, Records of the Hajj: Vol. 5 p.562.

(٣) رابح لطفي جمعة. حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز (الرياض: مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ) ص٥٠.

(٤) عبدالعزيز صبري. تذكار الحجاز (مصر : المطبعة السلفية، ١٣٤٢هـ) ص ١٩٤.

(٥) رابح لطفي جمعة. المرجع السابق، ص٥٠.

وهناك اعتقاد كبير بين المسلمين في بلاد البنغال أن حجاجهم قد عُوملوا معاملة سيئة، وذلك خلال الموسمين أو المواسم الثلاثة الأخيرة السابقة لموسم عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م ونتيجة لذلك فقد شعر الناس بالسخط على سلطات الحجاز، وزاد ذلك من توترهم[١].

ويعتقد الحجاج أن الأمر المهم ليس فيمن هو مسؤول عن الترتيبات الموضوعة لهم ولكن الأمر المهم في طبيعة الترتيبات نفسها، والحقيقة الثابتة من وجهة نظر المسلمين الهنود أن ترتيبات الشريف حسين في مكة كانت سيئة جداً إذا ما قورنت بالترتيبات التي كانت سارية المفعول تحت الحكم العثماني[٢]. وقد أوضحت مذكرة أرسلت إلى الصدارة العظمى العثمانية من إمارة مكة المكرمة في عام ١٣٢٩هـ شكوى قيادة الجيش في مدينة جدة من أن العاملين في مينائها يعاملون الحجاج معاملة سيئة لافتة للنظر، وقد أوصت المذكرة بتوبيخ الموظفين أصحاب الأخلاق السيئة ومنع تكرار تلك المعاملة واتخاذ التدابير في حق من يخالف ذلك[٣]. كما اطلع الباب العالي على شكوى تتضمن قيام بعض الأفراد من الموظفين في جدة والمدينة المنورة بالتعامل مع الحجاج تعاملاً يسيء إلى الدولة، ويشوه سمعتها والمساس بالأسس التي استندت إليها لكونها دولة الخلافة ويعد ذلك عملاً غير لائق بها، وقد أُعدّت هذه المذكرة من لدن أحد موظفي الدولة في مدينة جدة، وإن لم تكن هذه المذكرة رسمية إلا أنها تكتسب صفة الرسمية لكونها كُتِبَتْ من لدن موظف مسؤول، وكان القصد من هذه المذكرة عرض الواقع من تعامل الموظفين مع غيرهم[٤].

---

(١) From A. N. Moberly, Esq., Chief Secretary to the Government of Bengal, Records of the Hajj: Vol. 5 p.554.

(٢) From G. B. Lambert, ESQ, C. S. Chief Secretary to the Government United Provinces, Records of the Hajj: Vol. 5 p. 557.

(٣) «من وزارة الداخلية إلى ولاية الحجاز»، وثيقة رقم ١٠٦٠، في ٥/ ١٠/ ١٣٣١هـ، مجموعة وثائق عثمانية (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية).

(٤) «صورة المذكرة الواردة من مكة المكرمة إلى وزارة الداخلية، في ١٣٢٩هـ، بدون رقم، مجموعة وثائق عثمانية (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية).

ثالثًا ـ مراحل ضم الملك عبدالعزيز للحجاز.

تكتسب أراضي منطقة الحجاز أهمية دينية منذ القدم نظرًا لوجود بيت الله الحرام في مكة المكرمة، وقد ازدادت هذه الأهمية بعد ظهور الإسلام وانطلاقة بعثة نبينا محمد، صلى الله عليه وسلم، إذ فرض الله تعالى على المسلمين الحج إلى بيته المشرف في مكة المكرمة مما جعل هذه المدينة مهوى أفئدة المسلمين جميعًا ومحط أنظارهم، والحج إلى الكعبة المشرفة شعيرة تعود إلى زمن بعيد. كما ورد في قوله تعالى ﴿ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾ (الحج ـ ٢٧). ولهذا فقد اكتسبت المنطقة أهمية دينية خاصة ترتبط بالحج الذي فرض على كل مسلم بالغ قادر. ومن الناحية السياسية كانت مكة المكرمة حتى عام ١٣٥٨هـ إمارة تابعة لبغداد العاصمة العباسية شأنها في الإدارة شأن سائر الإمارات التابعة للخليفة، ولما استولى الفاطميون على مصر واقتطعوها مع بعض البلدان الأخرى من بلاد الخليفة العباسي استقل الأشراف الحسينيون بمكة المكرمة، وهؤلاء الأشراف أربع طبقات هم الموسويون والسليمانيون والهواشم والطبقة الرابعة بنو قتادة وهؤلاء حكموا من عام ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م إلى عام ١٣٤٤هـ[١]، وكانوا تابعين في أغلب الأحوال لمن يحكم بلاد مصر والشام والحجاز، فقد تبعوا الدولة الفاطمية عندما حكمت بلاد مصر والشام والحجاز، ثم تبعوا بعد ذلك دولة المماليك، ثم الدولة العثمانية التي حكمت بعض أجزاء العالم العربي منذ عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م[٢].

والواقع أن فترة حكم الأشراف قد اتسمت بكثرة الخلافات فيما بينهم، ويدل على

(١) حافظ وهبة. جزيرة العرب في القرن العشرين، ط٢، (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر. ١٣٦٥هـ) ص١١٤.

(٢) صبري، أيوب. مرآة جزيرة العرب، ج٢ (الرياض: دار الرياض للنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ) ترجمة أحمد فؤاد متولي والصفصافي أحمد المرسي، ص٢٠.

ذلك أن بعض الأشراف كان يتولى حكم المنطقة أكثر من مرة نتيجة للتقلبات السياسية والعسكرية فيُعْزل عندما يَضْعُف أمره، ثم لا يلبث أن يرجع إلى منصبه إذا عادت إليه قوته، ومن ناحية أخرى نجد اختلافًا واضحًا في فترات حكم الأشراف إذ لم تطل فترة حكم بعضهم أكثر من يوم واحد على حين زادت أيام حكم بعضهم على الستين سنة[١]. ويبدو أن هذه الخلافات والصراعات على السلطة كان لها تأثير واضح على الوضع الأمني للمنطقة وعلى مواسم الحج، فقد عانى الناس الاضطرابات والخوف من جراء تدهور الأمن الناتج عن الصراع على السلطة، ذلك أن الشريف في صراعه مع منافسيه كان يعتمد على من ينضم إليه من أسرته ومماليكه وقبائل المنطقة، وفي بعض الأحيان كان أمراء الحج العثمانيون يتدخلون بقواتهم الخاصة لمصلحة هذا الشريف أو ذاك[٢]. كما نجد أن الدولة العثمانية في عهد متأخر كانت تنحاز في أحيان قليلة لبعض الأشراف ضد بعض. كما كانت تصدر أوامرها بعزل بعضهم وتولية الآخرين، وقد يشفعون أوامرهم بقوة عسكرية تصاحب أمير الحج الشامي أو المصري لتنفيذ أوامر السلطان العثماني[٣]، كل هذه الأمور أدت إلى اضطراب الأمن وإلى عدم استقرار الأوضاع السياسية والعسكرية في المنطقة، وبالتالي فقد نتج عن ذلك انتشار الخوف والرعب لدى السكان والحجاج على حدٍّ سواء.

وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى عام ١٣٢٢هـ/ ١٩١٤م أعلن الشريف حسين بن علي آخر حكام المنطقة من الأشراف الثورة ضد العثمانيين يوم السبت التاسع من شهر شعبان لعام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م[٤]، وفرض حصارًا على المدينة المنورة في الوقت

---

(١) صبري أيوب. المرجع السابق، ص ص ١٠٦ ـ ١١٠.

(٢) السباعي، أحمد. تاريخ مكة «دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران»، ج٢، ط٣ (مكة : مطابع دار قريش ١٣٨٥هـ)، ص٩٩.

(٣) صبري، أيوب. المرجع السابق، ص٢٠.

(٤) حسين محمد نصيف. المرجع السابق، ص٤٨.

الذي تقدم فيه ابنه فيصل نحو الشمال على رأس قوة إلى معان[١].

لكن المنطقة خرجت من سيطرة الشريف حسين في عام ١٣٤٣هـ ودخلت تحت الحكم السعودي بقيادة الملك عبدالعزيز، والواقع أن العلاقات بين الأشراف وآل سعود لم تكن جديدة، إذْ تمتد جذورها إلى أواخر القرن الثاني عشر الهجري/ القرن الثامن عشر الميلادي حينما تمكنت الدولة السعودية الأولى من دخول منطقة الحجاز وضمها ضمن مناطق حكمها.

وقد بدأت العلاقات تتوتر بين الملك عبدالعزيز والشريف حسين، وذلك منذ أن أعلن الشريف حسين خروجه على الدولة العثمانية. ومحاولته السيطرة على الجزيرة العربية بأكملها. وقد شكل وجود فيصل بن الحسين في العراق وعبدالله بن الحسين في شرق الأردن إضافة إلى وجود الشريف حسين في الحجاز تهديدًا للملك عبدالعزيز[٢].

وقد أسهم في توسيع دائرة الخلاف بين الطرفين النزاع على حدود الشرقية للحجاز عند تربة والخرمة[٣]، فقد كانتا تمثلان أهمية استراتيجية وتجارية لكل منهما، فهي تمثل بوابة الحجاز إلى نجد وشرق الجزيرة العربية. كما أنها تمثل بوابة نجد إلى الحجاز والأراضي المقدسة[٤]. إضافة إلى ذلك؛ فإن قيام الشريف حسين بالتضييق على أهل نجد ومنعهم من القدوم إلى الحجاز للحج بحجة عدم اصطدام الحجاج النجديين بأبناء المذاهب الأخرى من المسلمين قد أدى إلى تعميق الخلاف بينهما[٥]، على الرغم من حرص الملك عبدالعزيز على سلامة مواسم الحج إذ قام باتخاذ عدة تدابير واحتياطات في موسم حج عام

---

(١) حسين محمد نصيف. المرجع السابق، ص ص ٥٥ - ٥٦.

(٢) حسين محمد نصيف. المرجع السابق، ص ص ١١٧.

(٣) فؤاد حمزة. قلب جزيرة العرب (الرياض: مكتبة النصر، ١٣٨٨هـ) ص ص ٣٩٠ - ٣٩١.

(٤) أمين الريحاني. تاريخ نجد الحديث، ط٦ (بيروت، دار الجيل ١٩٨٨م) ص٢٥١.

(٥) فؤاد حمزة. قلب جزيرة العرب، ص ص ٣٩٠ - ٣٩١.

١٣٤٠هـ تجاه حجاجه ففي رسالة وجهها إلى المعتمد السامي للحكومة البريطانية في العراق السير هنري دوبس (Henry Dobes) في الخامس من شهر شوال لعام ١٣٤١هـ طلب الملك عبدالعزيز منه أن يطلب من الشريف حسين عدم اتخاذ أي إجراء ضد الحجاج النجديين مما قد يثيرهم، وبالتالي يؤدي ذلك إلى وجود مشكلات وقلاقل بين الطرفين[١]. وبالإضافة إلى ماسبق؛ فإن التذمر الداخلي من لدن سكان الحجاز نتيجة لسياسات الشريف حسين الاقتصادية والأمنية وخاصة في مجال حماية الحجاج كان أحد الأسباب التي شجعت الملك عبدالعزيز على ضم المنطقة، فقد رفعت شكوى إليه تستنجد به وتطلب منه التدخل لحماية الحجاج والسكان، وهذه الرسالة في حقيقة الأمر تُعْطي لنا صورة للأوضاع الداخلية السائدة في الحجاز في تلك الفترة سواء كانت أوضاعاً أمنية خاصة بحماية الحجاج أو اقتصادية، فقد أوضحت هذه الرسالة وجود قافلة حجاج محجوزة في أحد خيوف المدينة المنورة أكثر من خمسة وعشرين يومًا وفيها ثلاث أميرات إحداهن أميرة أفغانية والثانية من حيدر آباد والثالثة من الأعاجم، وكانت مطالب المختطفين للإفراج عن الرهائن هي أن يحصلوا على مرتباتهم الباقية عند حكومة الشريف حسين، التي عاهدتهم على دفعها إذا أخرجوا الأتراك من الحجاز، ثم أن تقوم كل أميرة من الأميرات الثلاث بدفع ألفي جنيه إفرنجي أما أفراد القافلة فَفُرِض عليهم ستة عشر جنيهًا إفرنجيًا. وذكرت الرسالة أن بعض مشائخ القبائل قد كتبوا إلى الشريف حسين موضحين له سبب هجومهم على الحجاج ونهبهم لقوافلهم بأن ذلك تأسيًا بما يفعله هو مع الحجاج، حيث ينهبهم من غنى وهم ينهبون الحجاج من فقر[٢].

---

(١) «رسالة من الملك عبدالعزيز إلى السير هنري دوبس» المعتمد السامي البريطاني في العراق.
_ Records of the Hajj: A Documentary History of the Pilgrimage to Mecca. Vol. 5, p. 423 (Archive Editions. 1993)

(٢) «وثيقة مجهولة الكاتب، مرسلة إلى الملك عبدالعزيز من المدينة المنورة»، في ٣/ ٢/ ١٣٤٣هـ (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، مجموعة العمروي، المجموعة الأولى).

كما ذكرت هذه الرسالة أن هدف القبائل من سطوتهم وتعديهم على الحجاج كان رغبة منهم في أن يثوروا على حكوماتهم لكي تحتج على حكومة الشريف حسين؛ ونظراً لأن معظم العالم الإسلامي كان واقعًا تحت الاستعمار الأجنبي؛ فإن ظهور الملك عبدالعزيز كشخصية متميزة تسعى لبناء دولة مستقلة ولتوحيد الجزيرة العربية تحت حكم موحد أدى إلى اقتناع أهل الحجاز بقدرته على إنقاذهم وتحسين أحوال المنطقة فكان استنجاد الأهالي بالملك عبدالعزيز[١].

أما فيما يتعلق بالأوضاع الاقتصادية فلقد قام الشريف حسين بسكّ عملة نحاسية في مكة بدلاً من العملة العثمانية إلا أنها لم تلق الترحيب من المتعاملين بها ذلك أن هذه العملية لا قيمة لها، إذ إن التجار لا يستطيعون استخدامها في تعاملاتهم التجارية مع البلدان الأخرى[٢]. لقد تضاءلت قيمة الشريف حسين أمام العالم الإسلامي بسبب تكفيره للترك والمصريين والنجديين، وادعائه الخلافة بحيث يترتب على هذا الادعاء اعتبار كل من يخالفه من الشعوب والحكومات الإسلامية خوارج بغاة ينبغي قتالهم، هذه العوامل بالإضافة إلى ما سبق تناوله في مؤتمر الرياض وما نتج من نتائج شجعت الملك عبدالعزيز على الالتحام العسكري مع الأشراف في الحجاز وبالتالي دخوله المنطقة[٣].

وعندما أعلن الشريف حسين في الحجاز ثورته العربية في ١٣٣٧هـ/ ١٩١٦م ضد الدولة العثمانية كان الملك عبدالعزيز على علم بطموحاته ولذلك أبدى تحفظه من أن تكون هذه التطورات عاملاً مساعدًا لقوة الحسين وإمكاناته[٤]؛ وبالتالي فإن الملك

---

(١) وثيقة مجهولة الكاتب، المصدر السابق.

(٢) وثيقة مجهولة الكاتب، المصدر السابق.

(٣) محمد رشيد رضا. المرجع السابق، ص ص ٣٣ ـ ٣٤.

(٤) أمين سعيد. تاريخ الدولة السعودية «عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل ١٣١٩هـ ـ ١٣٧٣هـ»، ج٢، (دار الكاتب العربي) ص٧٩.

عبـدالعزيز عندما تلـقى الهدايا منه، وطلب التـعاون معـه كان يرى أن هذا التـعاون ليس تعـاون الند للند، وإنما تعـاون يفـهم منه تبـعيـة الملك عـبدالعـزيز له[١]، وقد بيَّـن الإمام عبدالرحمن آل فيصل في اجتماع عقد في الرياض أن الشريف لا يريد المساعدة وإنما يريد أن يضمن جانب الملك عبـدالعزيز من الهجـوم على الحجـاز في وقت انشغـال الشريف بقتال الأتراك[٢]، فهو يريد من الملك عبدالعزيز أن يبقى بعـيدًا حتى تنتهي الحـرب وينتهي من قتال الأتراك، وقد استقر رأي المجتمعين على توجيه رسالة إلى الشريف حسين ليتبينوا من ورائها حـقيـقة نواياه، وذلك من خـلال طلبهم تحديد الحـدود بين الطرفين[٣]، وقد ردّ الشريف حسين على الملك عبدالعزيز ردًا يدل على عصبية وانزعاج متهمًا الملك عبدالعزيز بأنه لا يعلم لأي أمر قام بثورته ضـد الدولة العثمانية[٤]. هذا؛ وقد سعى الملك عبدالعزيز إلى هذا المطلب حينما أرسل أخاه الأمير محمـد بن عبدالرحمن آل سعود إلى الحجاز في موسم حج عام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م حيث استقبله الـشريف حسين[٥]، ودار الحديث بين الأمير محمـد والشريف في الشؤون السياسية، فطلب الأمير مـحمد من الشريف ضرورة تحديد الحدود بين الحجاز ونجد[٦]. والجدير بالذكر أن الإمام عبـدالرحمن آل فيصل رغب هو نفـسه في حـضور حج عـام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م ولكنه اضطر للعودة، وذلك بـعد أن قطع أربع مراحل نتيجة لشدة الشمس والحرارة[٧]. لقد كان الشريف حسين يرى أنه يقود

(١) خالد الهـميل. العـلاقات بين الملك عـبدالعزيز آل سـعود والأشـراف وضم الحجاز (الرياض: مـطابع نجد الحديثة، ١٤١٤هـ) ص٨٣.

(٢) سعود بن هذلول. تاريخ ملوك آل سعود، ط٢ (الرياض: مطابع المدينة، ١٤٠٢هـ) ص٩٥.

(٣) أمين الريحاني. تاريخ نجد الحديث، ص ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦.

(٤) سعود بن هذلول. المرجع السابق، ص٩٦.

(٥) Lt. Col. Wilson's Preliminary Official Pilgrimage Report, Records of the Hajj, Vol. 5, p. 80.

(٦) سعود بن هذلول. المرجع السابق، ص٩٨.

(٧) Lt. Col. Wilson's Preliminary Official Pilgrimage Report, Records of the Hajj, Vol. 5, p. 80.

ثورة عربية وأنه صاحب الكلمة العليا في الجزيرة العربية، والمتحدث باسم العرب فليس من حق الملك عبدالعزيز إلا أن يتصرف تصرف التابع الذي يتلقى الأوامر فقط وأن يبدي الشكر والامتنان لما وهبه له من مال وذهب[١]، وقد كان من الطبيعي بعد توتر العلاقة بين الطرفين أن تتصاعد الأمور وتصل إلى الصدام العسكري، وذلك بخروج الشريف عبدالله ابن الحسين من المدينة المنورة قاصداً قرية تربة، حيث دخلها في الرابع والعشرين من شهر شعبان سنة ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م[٢]، لكن الجيش السعودي استطاع استرداد المنطقة والتوغل حتى كاد أن يدخل الطائف بيد أن الملك عبدالعزيز لم يزحف إلى الحجاز الذي أصبحت أبوابه مفتوحة أمامه؛ لأنه عرف ما في ذلك من مشكلات سياسية تضاف إلى هذه الحرب[٣]. بالإضافة إلى أنه لا يريد أن يكون سبباً في تدخل الإنجليز في الحرمين الشريفين وقد أثرت هذه الهزيمة في كيان الشريف حسين تأثيراً كبيراً إلا أنها أظهرت قدرة الملك عبدالعزيز العسكرية وقوّت مركزه، وضاعفت نفوذه وزادت هيبته[٤].

وبعد أن منع الشريف حسين الحجاج النجديين من الحج عُقِدَ مؤتمر في الرياض في شهر ذي القعدة سنة ١٣٤٣هـ ترأسه الإمام عبدالرحمن آل فيصل حضره العلماء ورؤساء القبائل والملك عبدالعزيز، وتناقش المجتمعون فيه عن رغبتهم في الحج إذْ لا يحق لأحد أن يمنع المسلمين أو يصد المؤمنين عن أداء الفريضة[٥]. وبعد مؤتمر الرياض أصدر الأمير فيصل بن عبدالعزيز بياناً أوضح فيه أن منع الشريف حسين بن علي أهالي نجد من أداء فريضة الحج استمر لمدة ثلاثة سنوات ونيف، متخذاً عدم اصطدام النجديين بأبناء

---

(١) خالد الهميل. المرجع السابق، ص ٨٦.

(٢) خير الدين الزركلي. شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز ط٢ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٥م) ج١، ص٣٢١.

(٣) خير الدين الزركلي. المرجع السابق، ج١، ص٣٢٣.

(٤) خالد الهميل. المرجع السابق، ص١١٨.

(٥) أمين الريحاني. تاريخ نجد الحديث، ص ص ٣٢٦ ـ ٣٢٧.

المذاهب الأخرى من المسلمين وسيلة لهذا المنع[(١)].

وقد شمل هذا البيان الذي أذيع على العالم الإسلامي بتفصيلات حول سلبيات حكم الشريف حسين بن علي في الحجاز، حيث أتى على ذكر الفوضى في الإدارة وانعدام سلطة القانون والنظام، ونهب الحجاج، وتساهله في سلبهم كل ما يملكون. ثم جاء فيه أن الأوضاع السائدة في الديار المقدسة تجعل من الصعوبة بمكان كبير إن لم يكن من المستحيل قطعًا على المسلمين كافة أداء فريضة الحج في الوقت الذي يتجاهل فيه الحسين شكاواهم العديدة ولا يعمل شيئًا لوضع حد لها، ويوضح هذا البيان أن فوق ذلك كله نصب الحسين نفسه خليفة للمسلمين خلافًا للتقاليد الدينية الموروثة وأنه وابنه عبدالله يعملان لمصلحتهما الخاصة[(٢)]، لقد كان إعلان الشريف حسين الخلافة أن أغضب مسلمي الهند ومصر وأكثر العالم الإسلامي فالخلافة تحتاج إلى من يحمي حوزة المسلمين ويدافع عن مصالحهم، والشريف حسين لم تكن لديه القدرة على ذلك[(٣)].

وقد كان لهذا البيان أثره الكبير لاسيما لدى مسلمي الهند الذين أعلنوا بصراحة وقوفهم إلى جانب آل سعود ضد الشريف حسين وأوفدوا الرسل إلى الرياض يؤكدون للملك عبدالعزيز تأييدهم المطلق فزال بذلك أهم المخاوف من طريق الملك عبدالعزيز ولم يعد بوسع بريطانيا التدخل في شؤون آل سعود[(٤)].

وهكذا اتخذ القرار، ففي سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م جهز الملك عبدالعزيز جيشًا بقيادة سلطان بن بجاد وخالد بن لؤي ووجهه إلى تربة التي تم ضمها، ثم بعد ذلك تقدم

---

(١) صلاح الدين مختار. تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، (بيروت: دار مكتبة الحياة) ج٢، ص٢٩١.

(٢) صلاح الدين مختار. المرجع السابق، ج٢، ص٢٩٢.

(٣) حافظ وهبه. خمسون عامًا في جزيرة العرب (مصر: مصطفى البابي، ١٣٨٠هـ) ص٥٥.

(٤) صلاح الدين مختار. المرجع السابق، ج٢، ص٢٩٢.

الجيش حيث وصل إلى مدينة الطائف في أول يوم من شهر صفر لعام ١٢٤٢هـ/ ١٩٢٤م، ثم دارت اشتباكات في الهدى انتهت بسيطرة الجيش السعودي على الموقف، وقد كان قسم من عرب الحجاز وأشرافه قد انضموا إلى الجيش السعودي، ثم بعث الملك عبدالعزيز إلى ابن بجاد وابن لؤي بأوامره بحماية الأملاك والأرواح، وأن يحاولا دخول مكة المكرمة بالوسائل السلمية[1].

وفي هذه الأثناء حاول حاكم مكة الشريف حسين من تهدئة الأمور في مكة المكرمة حيث سادها الفزع والخوف، وكان يأمل أن تمده بريطانيا بالسلاح والمساعدة العسكرية؛ إذ كان يتوقع أنهم سيتدخلون لمساعدته في الساعات الحاسمة الأخيرة، ولذلك فقد توجه إلى الممثل البريطاني في مدينة جدة فشرح لهم خطورة الموقف وطلب منه المعونة والمساعدة فوعده ممثل بريطانيا بإبلاغ طلبه إلى حكومة لندن، وقد وصله الجواب، وهو على غير ما كان يتوقعه، وفيه تعلن الحكومة البريطانية أنها تعتبر المعركة بينه وبين الملك عبدالعزيز نزاعًا لا تجيز لنفسها التدخل فيه ولكنها على استعداد للتوسط بين الفريقين إذا وصلها طلب بذلك من الطرفين[2].وفي هذه الأثناء تألفت في مكة المكرمة هيئة من أعيان مدينة مكة المكرمة ومدينة جدة باسم الحزب الوطني الحجازي غايتها إنقاذ البلاد الحجازية من الحالة الحرجة التي وصلت إليها، وقرر الحزب وجوب نزول الشريف حسين بن علي عن الحكم للقضاء على الفوضى التي تسود البلاد، وقد أرسل الحزب بذلك إلى الشريف حسين برقية في اليوم الرابع من شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م تطلب منه التنازل عن الحكم لابنه الشريف علي الذي قبل ذلك[3]، وذلك بعد فناء الجيش وانتشار الفوضى في المنطقة، وأوضحت البرقية صلاحيات الحاكم الجديد حيث سيكون ملكًا على الحجاز فقط ومرتبطًا بالدستور على شريطة أن ينزل على رأى المسلمين أهل الحجاز في

(١) حسين محمد نصيف. المرجع السابق، ص١٣٠.

(٢) صلاح الدين المختار. المرجع السابق ج٢، ص ص ٢٩٩ - ٣٠٠.

(٣) حسين محمد نصيف. المرجع السابق، ص ١٣٠.

تحقيق آمالهم ورغباتهم في إصلاح شؤون البلاد المادية والمعنوية، وقد اقترح هذا الحزب تشكل مجلسين أحدهما نيابي وطني لإدارة الأمور الداخلية والخارجية والآخر شورى يكون من أعضائه نيابيون منتخبون من المسلمين على اختلاف بلادهم ومهمته الإرشاد وتقديم العون لإصلاح شؤون البلاد[١]، ومع استجابة الشريف حسين لهذه المطالب لكنه رفض تنصيب ابنه علي من بعده الأمر الذي دفع بهذه الجماعة إلى تجديد دعوتها لإنقاذ الموقف الحرج وحملوه مسؤولية الأرواح التي ستزهق من جراء القتال إذا ما أصر على القتال[٢]، فأجاب الشريف حسين مشترطًا لموافقته قبول نجله بهذا العرض ليمكن تنصيبه محله ورفض مجددًا دعوة مماثلة وبنفس المضمون، ولكنه عاد وأبرق لهم يطلب إرسال من يختارونه لتولي منصبه في ذلك فشكرته هيئة الأعيان ورجته مبارحة الحجاز لتهدئة الوضع[٣]، ونودي بالشريف علي حاكمًا على الحجاز فقط في الخامس من شهر ربيع الأول عام ١٣٤٣هـ[٤].

وقد قامت بريطانيا بالضغط لتجبر الشريف حسين على التنازل عن العرش، وأهمها قطع المساعدات المالية عنه حتى عجز عن دفع رواتب الضباط والجنود[٥]. وقد توجه الشريف حسين بن علي من مكة إلى جدة يوم الخميس الموافق العاشر من شهر ربيع الأول لعام ١٣٤٣هـ فأقام في مدينة جدة عدة أيام ثم توجه إلى العقبة على الباخرة الرقمتين[٦].

---

(١) حسين محمد نصيف. المرجع السابق، ص ١٢٠.

(٢) حسين محمد نصيف. المرجع السابق، ص ١٢٢.

(٣) كانت الهيئة التي طالبت الشريف حسين بالتنازل قد أبلغت القنصليات الأجنبية بالوضع القائم وضرورة تنازل الشريف حسين بعد عجزه عن الدفاع، وطالبتها بالتدخل حقنًا للدماء فيما بعثت بالبرقيات المتبادلة بينها وبين الشريف حسين بشأن تنازله عن الحكم، انظر حسين محمد نصيف. المرجع السابق، ص ص ١٢٧ ـ ١٢٩.

(٤) حسين محمد نصيف. المرجع السابق ، ص ١٣٠

(٥) جبران شامية. آل سعود ماضيهم ومستقبلهم (لندن: رياض الريس، ١٩٨٦م) ص١٣٥.

(٦) حسين محمد نصيف. المرجع السابق، ص ١٤٣.

ومما لا شك فيه أن هيئة الحزب الوطني قد أخطأت في تصرفها ذلك لأن تنازل الشريف حسين لولده علي لا يحل المشكلة فموقف الملك عبدالعزيز من الولد كموقفه من الوالد تمامًا والفوضى لم تنقطع من البلاد لمجرد إعلان هذا الإجراء وكان الواجب يقتضي بتنازل الأشراف نهائيًا عن المُلك حقنًا للدماء ولعدم استمرار الفوضى في جهاز الدولة وبين العباد في سائر البلاد ولوضع حد لتدخل الإنجليز الخفي في شؤون الديار المقدسة[١].

من جهة أخرى أوقف الملك عبدالعزيز تقدم قواته إلى مدينة جدة إلى أن يصل مكة المكرمة، ويشرف على إدارتها مباشرة فرابطت قواته فيها وتولى القائد خالد بن لؤى زمام الأمور، وعندما دخل الملك عبدالعزيز مكة المكرمة ألقى على الأهالي كلمة طمأنهم فيها على مستقبلهم، وأشار إلى تطبيق أحكام القرآن الكريم والسنة النبوية والتشاور لما فيه خير الطرفين، وفي بيان موجه لأهالي مكة بيّن فيه أسباب دخوله الحجاز والمتمثل بنصرة الدين

وتطهير البلاد المقدسة من الأعداء الذين مقتهم العالم الإسلامي بما اقترفوه من آثام، وعزمه على إقامة العدل ونصرة الضعيف[٢]. ولقد كان من ركائز قيام الدولة السعودية سعيها لنشر عقيدة التوحيد في الجزيرة العربية، وذلك منذ أن تم الاتفاق التاريخي على ذلك بين الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولذلك فقد أمر الملك عبدالعزيز بإزالة مظاهر البدع في مكة المكرمة، كما أرسل مبلغًا من المال مقداره ألف جنيه لتوزيعه كمعاشات على أهل الحرم وعمومهم لشهر رمضان ويوزع الباقي على الفقراء والمساكين[٣]، إذ حرص على إبقاء رواتب العلماء وموظفي الحرم والمطوفين على ما كانت عليه في السابق، كما حرص على إعطاء كل من كان له حق ثابت سابق في بيت مال

(١) صلاح الدين المختار. المرجع السابق، ج٢، ص٣٠٤.

(٢) أم القرى، العدد ١، في (١٥/ ٥/ ١٣٤٣هـ) ص١.

(٣) « صورة رسالة من الملك عبدالعزيز إلى عبدالله بن بليهد»، مؤرخة في ١٧/ ٩/ ١٣٤٤هـ، عبدالرحمن السبيت، وآخرون. من وثائق الملك عبدالعزيز (الرياض: إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة السادس، ١٤١٠هـ) ص١٥٣.

المسلمين[١]. لقد كان الملك عبدالعزيز مصراً على موقفه في إخراج الشريف حسين وعائلته حتى يمكن نشر السلام في الجزيرة، كما أنه قد نفى أية مطامع شخصية له في الحجاز، وفي المقابل وعد أهالي مدينة جدة بالأمان إذا ما غادر الحسين وعائلته المنطقة[٢]. كما أصدر نداءً عامًا إلى جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بيَّن فيه أن خروج الحسين وأولاده من الحجاز قريب جدًا، وأنه قد شدد الحصار على مدينة جدة. كما أنه أعلن ترحيبه وابتهاجه بقدوم وفود حجاج بيت الله الحرام من كافة أنحاء العالم الإسلامي في موسم هذه السنة، وتكفل بتأمين راحتهم والمحافظة على جميع حقوقهم وتسهيل أمر سفرهم إلى مكة المكرمة من أي الموانئ التي يرغبون النزول فيها وهي رابغ أو الليث أو القنفذة كما أعلن أنه لم يبق أي من المشكلات أو العراقيل التي كان يضعها الحسين ضد المشاريع الخيرية والاقتصادية، وأن أبواب منطقة الحجاز مفتوحة لمن يريد القيام بأي عمل خيري أو اقتصادي، وأنه مستعد لتقديم كافة التسهيلات لذلك[٣]. وقد وصل إلى مكة المكرمة عن طريق القنفذة والليث بعض من الحجاج القادمين من بلاد المغرب وتركيا والسنغال[٤]، كما استقبل ميناء رابغ عدة بواخر بعضها خاص بالحجاج وبعضها محمل بالمواد الغذائية، وقد بذل الملك عبدالعزيز جهوده في سبيل تأمين راحة الحجاج من توفير الجمال لنقلهم وحمايتهم[٥]. وفيما شرع الملك عبدالعزيز بالانتقال من مكة المكرمة إلى منطقة بحرة القريبة من جدة زحف الجيش السعودي إلى مدينة جدة ودخل في قتال نظامي مع قوات الشريف علي، وقد اتصل الشريف حسين بولده الأمير عبدالله أمير الأردن يطلب منه المساعدة لأخيه علي وقد بدأ الأمير عبدالله بجمع المتطوعين من مختلف أنحاء الأردن وفلسطين وسورية ضباطًا وجنودًا وإرسالهم على نفقته إلى معان

---

(١) أم القرى، العدد ١، في ١٥/٥/١٣٤٣هـ، ص١.

(٢) أحمد السباعي. المرجع السابق، ج٢، ص ص ٢٦٢ - ٢٦٣.

(٣) أم القرى، العدد ١٢، في ٣/٨/١٣٤٣هـ، ص٢.

(٤) أم القرى، العدد ٢٥، في ٢٠/١١/١٣٤٣هـ، ص٣.

(٥) أم القرى، العدد ٢٧، في ٥/١٢/١٣٤٣هـ، ص٢.

وكان عارف باشا الحسن يقوم بإعداد المتطوعين عسكريًا ويرسل بعضهم إلى جدة[١]. أما في المدينة المنورة فقد دخلها الأمير محمد بن عبدالعزيز آل سعود في صباح السبت التاسع عشر من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٤٤هـ وأمن على سكانها، ثم تم ضم العلا والوجه وتبوك[٢].

وقد ساد الهدوء جبهة القتال في جدة لحلول شهر رمضان واستمر ذلك في الشهر الذي يليه، بيد أن الحركات العسكرية استؤنفت في شمال الحجاز، وشرعت القوات السعودية في ضم المدن الحجازية الواقعة في هذه الجبهة كمدينة ينبع، ومدينة ينبع النخل، وبدر، وضبا، وأملج[٣]، وعندما أعلن الملك عبدالعزيز الحج سنة ١٣٤٣هـ أرسل الشريف علي سفينة إلى ميناء رابغ وألقت من بعدقنابل على الميناء، ثم أشاع أن مدينة رابغ تحت الحصار من البر والبحر وأن في القدوم إليها تهلكة، وبذلك تأخرت البواخر في سواكن أحد عشر يومًا حتى بحثت الحكومة الإنجليزية عن الأمر وعرفت جلية الخبر ورأت أنه لا يوجد أي خطر في القدوم إلى رابغ فأتت المراكب[٤].

وأما الحكومة المصرية فقد جهلت حقائق الأمور وقررت منع حجاجها من أداء الحج هذا العام، وذلك لاعتقادها عدم ملاءمة الموانيء التى أعلن عنها الملك عبدالعزيز، ولاعتقادها كذلك عدم توافر المياه العذبة فيها، كما ادعت عدم وجود المساكن الملائمة لسكن الحجاج، وادعت كذلك عدم وجود المطوفين أو وكلائهم للاعتناء بشؤونهم، وأن المسافة بين هذه الموانئ ومكة المكرمة بعيدة جدًا، وأن وسائط النقل وأهمها الجمال التي تقوم بنقل الحجاج غير متوافرة نظرًا لانشغالها في نقل المقاتلين ومعداتهم، ورأت كذلك أن الحالة الاقتصادية في مكة المكرمة سيئة، وذلك لقلة الأقوات وحاجات المعيشة في

---

(١) صلاح الدين المختار. المرجع السابق، ج٢، ص٣٠٨.

(٢) ملحق أم القرى، الجزء ٥٠، في ١٣٤٤/٥/٢٥هـ.

(٣) حسين محمد نصيف. المرجع السابق، ص ص ٢٠٠ - ٢٠١.

(٤) أم القرى، العدد ٢٨، في ١٣٤٣/١٢/١٨هـ، ص٢.

الحجاز نظراً لحالة الحرب بين الملك عبدالعزيز والشريف علي، وبالتالي الخوف من حدوث مجاعة إذا جاء الحجاج[١]. وقد ردت السلطة السعودية على هذه الادعاءات بالنفي ذلك أن ميناء رابغ وبشهادة البحارة يعد مرفأ بحريًا جيدًا، وقد صرح القبطان جون إنكوراس الذي كان مستخدمًا كرئيس في شركة البواخر الخديوية مدة أربع عشرة سنة مكث فيها تسع سنوات في البحر الأحمر وقام مراراً بنقل المحمل على البواخر التي كانت تحت قيادته ـ صرح بأن مينائي الليث ورابغ مناسبان أمنيًا للبواخر التي تقل الحجاج، أما مياه الشرب العذبة الموجودة فهي أحسن حالاً من التي في جدة المحاصرة، وفيما يتعلق بالسكن فقد أعد الملك عبدالعزيز المساكن في مدينة رابغ لاستقبال آلاف من الحجاج، كما أن المطوفين قد بذلوا جهودهم لتوفير الراحة لهم، حيث تسابقوا إلى رابغ لأداء هذه المهمة، وفيما يتعلق بوسائل النقل وخاصة الجمال فهي متوافرة في المنطقة ذلك أن الشريف علي ليس في حاجة لها؛ لأنه محاصر في مدينة جدة ضمن دائرة ضيقة جدًا لا يحتاج خلالها لمن ينقل الأرزاق والعتاد أما الملك عبدالعزيز فقد أحضر معه وسائط نقله من نجد، كما أوضحت السلطة السعودية أن البضائع متوافرة وأسعارها شبيهة بمثيلاتها في عدن ومصوع[٢]. وعلى الرغم من الحرب الدائرة بين الطرفين فقد نجح موسم حج عام ١٣٤٤هـ وذلك باستمراره وبقدوم الحجاج إلى مكة المكرمة لأداء الفريضة وعدم تأثرهم بما يقال من إشاعات وأقاويل، ففي السادس والعشرين من شهر ذي القعدة لعام ١٣٤٣هـ وصلت الباخرة جهاقير وعليها ١١٥٣ حاجًا وبضائع مختلفة ما بين سكر ودقيق وشعير وخلافه و٦٣٥٣ طردًا، وفي التاريخ نفسه وصلت باخرة فرجستان وعليها ٨٩٥ حاجًا و٨٢٨ طرد بضائع ، وقد استقبل الحجاج في رابغ أحسن استقبال وأرسلت الجمال لنقلهم[٣]. وقد قدمت وفود عربية أرادت تسوية الحال بين الملك عبدالعزيز والشريف علي

(١) أم القرى، العدد ٢٩، في ١٣٤٣/١٢/٢٥هـ، ص١.

(٢) أم القرى، العدد ٢٩، في ١٣٤٣/١٢/٢٥هـ، ص١.

(٣) أم القرى، العدد ٢٧، في ١٣٤٣/١٢/٥هـ، ص٢.

في عـام ١٣٤٣هـ، ومن بين هذه الوفـود وسـاطة جون فـيلبي وقـد أبدي الشـريف علي ارتياحـه لهذه المبادرة، وقد بعث فـيلبي برسالة إلى الملك عبـدالعزيز يطلب منه الاجتـماع وقد رحب الملك عبدالعزيز غير أنه أصر على خروج الشـريف علي من الحجاز نهائيًا وأن الموضـوع من أوله إلى آخره مـتـوقف على رأي العالم الإسـلامي والذي يقف مـعارضًـا معارضة قوية لأبناء الحسين، كمـا بعث أمين الريحاني بعد وصوله مدينة جدة برسالة إلى الملك عبدالعزيز يعرض فيهـا وساطته لكن الملك عبدالعزيز وبعد وصوله مكة المكرمة رد على الريحاني في ترك مصير الحجاز للمسلمين، وقد انضم طالب النقيب وسيطًا ثالثًا إلى الوسيطين السـابقين في عام ١٩٢٤م وطلب مـقابلة الملك عبـدالعزيز وقـد رد عليه الملك عبدالعزيز ضمن الردود التي بعـثها لكل من زميليه[١].كما كان رد الملك عبد العزيز إلى المجلس الإسلامي الأعلى في فلسطين أن الشريف حسـينا وأبناءه ظلوا معادين لنجد، وقد منعوا الحجـاج النجديين من أداء الفريضة، فـضلاً عن عجزه عن صون الأمـاكن المقدسة، لهذه الأسباب كان دخوله لجد لإقرار الأمن وضمـان المساواة فيها بين جميع المسلمين، أما جمـعية الخـلافة الهندية فقـد أبرق رئيسهـا شوكت علي إلى الملك عـبدالعزيز يخـبره أن مسلمي الـهند لا يوافقون على بقـاء الشريف حـسين ولا أبنائه في الحجـاز، وأن جمعـية الخلافة لا تعترف بإمارة الشريف علي، كمـا قامت بعض الدول بإرسال وفود لها محاولة الوصول إلى تسوية بين الجانبـين كمصر وإيران وهولندا وروسيا غيـر أن الملك عبدالعزيز أوضح لهم موقفه السالف الذكر[٢]. أما الجبهـة العسكرية فقد استمر فـيها الهدوء لحلول موسم الحج، حيث عمد الملك عبدالعزيز ـ لـتسهيل مقدم الوافدين إلى الحج ـ إلى سحب قواته من جبـهة جدة لهذا الغـرض ماعدا مجمـوعة صغيـرة من الخيالة والهجـانة لتشرف على موقع الرغامة، حيث كان اهتمامه بهذا الموسم اهتمامًا كبيرًا[٣].

---

(١) امين الريحاني. تاريخ لجد الحديث، ص ص ٣٨١- ٣٩٥.

(٢) طالب محمد وهيم. المرجع السابق، ص ص ٣٦٨ ـ ٣٧٢.

(٣) حافظ وهبة. خمسون عامًا في جزيرة العرب، ٦٧ ـ ٦٩.

وبعد انتهاء موسم الحج استأنف حصاره، وقد بلغت حالة مدينة جدة حدًا لا يطاق فقد نفد من حاكمها المال والزاد وتذمر الجنود من الجوع والعراء[١]، والحقيقة أن طول مدة الحصار على مدينة جدة كان مراعاة من الملك عبدالعزيز لوضع الأجانب فيها، وقد شدد حصاره عليها إذ وضع اثني عشر مدفعًا، فيما أرسل الشريف علي طائرتين على معسكر الملك عبدالعزيز استطاعت القوات السعودية أن تحبط هجومهما[٢].

وعندما رأى الشريف علي أن وضع المدينة العسكري والسياسي والمالي في أسوأ حالاته ذهب إلى جوردن المعتمد البريطاني لمدينة جدة وعرض عليه شروط التسليم لعرضها على الملك عبدالعزيز، وذلك يوم الثلاثاء التاسع من شهر جمادى الأول لعام ١٣٤٤هـ فأبرق المعتمد البريطاني إلى حكومته يستأذنها بذلك ثم طلب من الملك عبدالعزيز الموافقة على مقابلته في الرغامة يوم الخميس قبل الظهر أو بعد ذلك[٣]، وقد اجتمع به يوم الخميس وعرض عليه الشروط ووافق عليها الملك عبدالعزيز بعد تعديل طفيف عليها، وذلك حقنًا للدماء ودفعًا للعسرة المستحوذة على البلاد والعباد[٤] ووقعت اتفاقية من لدن الطرفين في مساء اليوم نفسه[٥]. وعندما شاهد الملك عبدالعزيز بعد دخوله مدينة جدة حالة الجنود والضباط السيئة الذين كانوا مع الشريف أمر بالسماح لهم بمغادرة المدينة إلى بلادهم وأهليهم سالمين[٦]، وقد بايع أهالي مكة المكرمة الملك عبدالعزيز بالحكم

---

(١) أمين الريحاني. تاريخ نجد الحديث، ص٤٢٢.

(٢) «صورة رسالة من الملك عبدالعزيز آل سعود إلى عبدالوهاب أبو ملحة». مؤرخة بشهر رجب ١٣٤٣هـ، عبدالرحمن السبيت، وآخرون. من وثائق الملك عبدالعزيز ، ص١٠٣.

(٣) أمين الريحاني. تاريخ نجد الحديث، ص٤٢٣.

(٤) «صورة رسالة من الملك عبدالعزيز آل سعود إلى عبدالله بن محمد آل عقيل». مؤرخة ١٠/ ٥/ ١٣٤٤هـ، عبدالرحمن السبيت، وآخرون. من وثائق الملك عبدالعزيز، ص١٥٥.

(٥) أمين الريحاني. تاريخ نجد الحديث، ص ص ٤٢٤ ـ ٤٢٥.

(٦) «تعميم من الملك عبدالعزيز آل سعود إلى جميع الجنود والضباط في جدة»، مؤرخة ٥/ ٥/ ١٣٤٤هـ، عبدالرحمن السبيت، وآخرون. من وثائق الملك عبدالعزيز، ص ص١٤١ ـ ١٤٢.

في وثيقة وقعها نخبة من وجهائها، وأعيانها ورُفِعَتْ لمقام الملك عبدالعزيز في ٢١/٦/١٣٤٤هـ[١]، وقد كانت موافقته على هذه المبايعة في ٢٢/٦/١٣٤٤هـ[٢]. هذا؛ وقد أصدر بلاغًا أعلن فيه العفو العام عن جميع الجرائم السياسية في البلاد أما الجرائم الأخرى فقد أُحيلت إلى القضاء الشرعي لينظر فيها[٣].

لقد تحقق للملك عبدالعزيز أهداف عدة من خلال ضمه منطقة الحجاز، فقد استطاع إخراج الأشراف من المنطقة التي عانت خلال حكمهم من مشكلات عديدة، كما أنه استطاع بضمه للحجاز أن يوحد الجزيرة العربية تحت حكم واحد بعد أن كانت متفرقة يكيد كل حاكم للآخر فلم تشعر المنطقة بالأمن والاستقرار، ومن ناحية أخرى لم يكن العالم الإسلامي ينظر إلى الملك عبدالعزيز والشريف حسين نظرة واحدة، ذلك أن المسلمين قد بلغ استياؤهم حدًا كبيرًا من الشريف حسين ومن معاملته لهم، وإلى الظروف الأمنية والاقتصادية السيئة في المنطقة. وفي اتجاه آخر نرى الملك عبدالعزيز كان يعلم بهذه الظروف وبالأحوال السيئة في الحجاز وبمطالبة الحجاج ومناداتهم لتغييرها.

(١) «من أهالي مكة عبدالقادر الشيبي وآخرون إلى الملك عبدالعزيز» ، في ٢١/٦/١٣٤٤هـ، بدون رقم (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، مجموعة العمروي، المجموعة الثانية).

(٢) «من الملك عبدالعزيز إلى أهالي مكة المكرمة» ، في ٢٢/٦/١٣٤٤هـ، بدون رقم، المصدر السابق.

(٣) أم القرى، العدد ٥٢، في ١١/٦/١٣٤٤هـ، ص١.

الفصل الثاني

التنظيم الإداري للحج

أولاً ـ إنشاء الإدارة العامة للحج ومهامها.

ثانيًا ـ نظام المطوفين والزمازمة.

ثالثًا ـ نظام الأدلاء.

رابعًا ـ نظام الوكلاء.

خامسًا ـ نظام هيئة مراقبة الحجاج بجدة.

سادسًا ـ نظام تسجيل المتوفين من الحجاج وضبط تركاتهم.

سابعًا ـ نظام دخول المعتنقين الدين الإسلامي للحرمين الشريفين.

ثامنًا ـ التعليمات الخاصة بالحجاج المشاة.

ـ الوضع الإداري للحج قبل العهد السعودي:

كانت التنظيمات فيما يتعلق بشؤون الحج في منطقة الحجاز تخضع للأشراف حكام مكة المكرمة، وذلك أن شريف مكة وإن كان يعين من لدن الدولة العثمانية إلا أن له الاستقلالية في وضع التنظيمات الخاصة بشؤون الحج في الحجاز بما يراه مناسبًا لذلك، ومن هنا نرى أن أمور الحجاج وما يتعلق بهم من قرارات وتكوينات وتنظيمات كانت تحت سلطة شريف مكة المكرمة مباشرة. ففي عهد الشريف عون الرفيق ١٢٩٩هـ ـ ١٣٢٣هـ كانت بيده السلطة في منح المطوفين التقارير لبعض البلدان أو في إصدار الفرمانات لمنح بعض المطوفين طوافة بلدة أو أكثر لإحدى الدول الإسلامية[١]. كما نجد أن المطوفين كانوا يتلقون التعليمات المتعلقة في عهد الشريف حسين منه مباشرة، كما كانوا يرفعون شكاواهم له، ولذا؛ نرى أنه لم توجد إدارات متخصصة تقوم بالإشراف على أمور الحج والحجاج. لكننا نجد أن الحرم المكي كان يمتاز بوجود تنظيم إداري له، والذي يشمل شيخ الحرم وهو الوالي عادة ثم نائبه وقائمقام للنائب ومديراً يقوم بشؤونه وخطباء وأئمة للمذاهب الأربعة ومؤذنين وفراشين وكناسين وبوابين. كما توجد وظائف خاصة بالأغوات الذين يقومون بخدمات مختلفة في الحرم، أما الكعبة فيقوم بسدنتها بني شيبة، والخدمة في الحرم وراثية غالبًا ما عدا شيخ الحرم ومديره؛ فإنهما يعينان من طرف الدولة العثمانية، ووظيفة الأول تكاد تكون سياسية أكثر منها إدارية[٢].

وفي ميناء مدينة جدة نجد أن أمور الحجاج تسير وفق وضع نظامي متفق ومتعارف عليه، وذلك في نقل الحجاج، وكذلك في نقل أمتعتهم من سفنهم إلى المرفأ، حيث تقوم بذلك زوارق صغيرة[٣].

---

(١) فؤاد عبدالحميد عنقاوي. مكة... الحج والطوافة، (١٤١٥هـ)، ص٢٨٢.

(٢) محمد لبيب البتنوني. المرجع السابق، ص١٠١.

(٣) إبراهيم رفعت. مرآة الحرمين، ج١ (د. م، د. ن، د. ت) ص١٦.

ولاشك أن هذه التنظيمات لم تكن كافية لإضفاء الراحة للحجاج فقد كان هناك تذمر منهم حول الجمارك الباهظة المفروضة عليهم، ويرى القنصل الأمريكي في عدن أن مهمة المطوفين تتركز في استنزاف أموال الحجاج بقدر استطاعتهم[١].

الواقع أنه لم تكن هناك أنظمة رسمية موثقة تقيد أعمال المطوفين وتوضح العلاقة بين المطوف والحاج، إذ إن الموجود فقط كان بعض الأعراف والتقاليد المتفق عليها بين المطوفين ينصب معظمها لمصلحة المطوف، بالإضافة إلى ذلك فلم تكن هناك سوى أنظمة بسيطة، ولكن على الرغم من ذلك فإننا نعتقد أن الجور الواقع على الحجاج وعملية استنزاف الأموال منهم لم تكن هي ديدن جميع المطوفين ذلك أن الممارسات الخاطئة من قبل بعض المطوفين لا تجعلنا نطلق الحكم جزافًا على جميع المطوفين.

فيما يتعلق بالمواصلات والنقل فإن التكاليف العالية للنقل بواسطة الجمال واستئجار الخيام سببت مشكلات عديدة للحجاج، ولم يستطع الشريف حسين أن يفرض قانونًا يلتزم به سكان الحجاز والحجيج على حد سواء كما انعدمت اللوائح التنظيمية التي تنظم تكاليف التعريفة والرسوم[٢]. وفي العهد السعودي قام الملك عبدالعزيز بوضع سياسة خاصة اهتمت بتوفير جميع ما يحتاجه الحاج من خدمات، وفي الوقت نفسه أدت هذه السياسة إلى استكمال البنية الأساسية في إقامة التكوينات الإدارية للدولة السعودية الحديثة. وقد حدد الشيخ عبدالله بن سليمان الحمدان وزير المالية أن خدمة الحج تعني العناية بالأمن العام الكامل ليكون الحاج آمنا على نفسه وعلى ماله، والاهتمام بصحته، وتسهيل وسائل الراحة بأقصى ما يستطاع[٣]. ومن خلال ذلك تم إنشاء الإدارة العامة

(١) From American Consulate in Aden, Arabia, to the Secretary of State, Washington, 6, November, 1923, Records of Hajj, Vol. 5, p. 501.

(٢) From American Consulate in Aden, Arabia, to the Secretary of State, Washington, 6, November, 1923, Records of Hajj, Vol. 5, p. 504.

(٣) عبدالله سليمان الحمدان. «أهدافنا وبرامجنا» مجلة الحج، العدد الأول، رجب ١٣٦٦هـ، السنة الأولى، مكة المكرمة، ص ص٣ ـ ٦.

للحج، التي انبثقت منها التعليمات والتوجيهات لتنظيم شؤون المطوفين والحجاج، ونظراً لأهمية دور المطوفين والزمازمة وقدمه في التعامل مع الحجاج ونظراً لصلتهم المباشرة بالحجاج فقد اهتم بهم الملك عبدالعزيز كثيراً، وذلك بأن وضع لهم أنظمة رسمية قننت كثيراً من الأعراف التي كانت سائدة بينهم، وفي الوقت نفسه أسهمت هذه الأنظمة كثيراً في رفع مستوى الخدمة التي يقدمها المطوفون للحجاج. أما الأدلاء في المدينة المنورة فقد وضع لهم الملك عبدالعزيز أنظمة نظمت أمور هذه الطائفة بشكل جعل هناك تكاملاً بين هذه الطائفة وبقية الطوائف الأخرى. كما نسق وضع وكلاء المطوفين في مدينة جدة ونظم علاقتهم بالمطوفين في مكة المكرمة وبالحجاج الذين يفدون إلى مينائها، ومن جانب آخر أكد الملك عبدالعزيز حرصه التام على وضع كافة إمكانات الدولة في خدمة الحجاج ووضع أنظمة خاصة بهم لتنظيم شؤونهم وأمورهم خلال فترة مكوثهم في الحجاز، ومن ذلك تلك التعليمات الخاصة بالحجاج المشاة الذين يسافرون من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة أو جدة سيراً على أقدامهم، ووضع الترتيبات الأمنية التي ساعدتهم على التخلص من المخاطر والمشاق. كما تم وضع أنظمة وتعاليم خاصة بالحجاج المتوفين في المنطقة، وكيفية التبليغ عنهم والتصرف بممتلكاتهم.

أولاً ـ إنشاء الإدارة العامة للحج ومهامها:

مما لا شك فيه أن التنظيمات الإدارية التي قام بوضعها الملك عبدالعزيز لبناء الدولة السعودية بعد توحيدها لم تأت من فراغ وإنما جاءت نتيجة لمؤثرات عدة، ذلك أن هذه التنظيمات قد تأثرت بالطابع الإسلامي وتأثرت بالعرف السائد بالإضافة إلى تأثيرات أخرى متباينة[1]. فكانت قدرته الإدارية هي التي مزجت هذه الأنماط وقامت ببناء الأجهزة الفنية والإدارية للدولة. وفي إطار هذا السياق، وبناء على ذلك، كان الملك عبدالعزيز

(١) إبراهيم عويض العتيبي. تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٤هـ) ص١٠٢.

يوجه إدارة دولته بتعليمات يصدرها في أوقات مختلفة وفقًا لما تمليه الظروف والأوضاع وهذه التعليمات تنقسم إلى نوعين: مؤقتة وأساسية، والأخيرة هي التي سار عليها الوضع بصورة دائمة حتى بعد توحيد المملكة العربية السعودية سياسيًا عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م[١]. وهي تنظيمات مقترحة للحكومة في الحجاز تبين أسلوب الحكم والإدارة من خلال هذه التعليمات، حيث يقصد بها النظام الأساسي؛ لأنها عالجت سلطات الملك ونظام الحكم، وبمقتضى هذه التعليمات تم تنظيم الحجاز على أسس إدارية متطورة، وتم تكوين الجهاز الحكومي التشريعي والتنفيذي، ومن أهم ما استحدثته هذه التعليمات النيابة العامة ومجلس الشورى[٢]. وقد قسمت التعليمات الأساسية الإدارة إلى ستة أنواع، وهي: إدارة الأمور الشرعية، وإدارة الأمور الداخلية، وإدارة الأمور المالية، وإدارة الأمور العسكرية، وإدارة الأمور الخارجية، وإدارة أمور المعارف العمومية، واختصت الأمور الشرعية بالاهتمام بشؤون الحرمين والأوقاف والمؤسسات الدينية[٣]. وبناء على هذه التعليمات كان الاهتمام بالتنظيم الإداري للحج هذا الاهتمام الذي بلغ ذروته في إنشاء إدارة خاصة بالحج تكون مستقلة ومخصصة بتنسيق وتنظيم الوضع الإداري له، ووضع القرارات والأنظمة الخاصة بالحج والحجاج والطوائف المرتبطة بهما في حيز التنفيذ. وقد أوضحت المادة الرابعة عشرة من التعليمات الأساسية للمملكة الحجازية أن لجنة إدارة الحج تكون تحت رئاسة النائب العام، وتتكون من رؤساء الدوائر ذات العلاقة بأمور الحج ومن الذوات الذين سيعينهم صاحب الجلالة الملك من أرباب الكفاءة والاقتدار، وهكذا حددت هذه المادة التكوينات الإدارية الخاصة بإدارة الحج تحت رئاسة الأمير فيصل بن عبدالعزيز نائب الملك في الحجاز كما خصصت العاملين فيها ممن لهم علاقة بالحج ولهم

---

(١) إبراهيم عويض العتيبي. المرجع السابق، ص١٢٣.

(٢) إبراهيم عويض العتيبي. المرجع السابق، ص ص ١٢٥ ـ ١٢٦.

(٣) أم القرى، العدد ٩٠، في ٢٥/ ٢/ ١٣٤٥هـ، والعدد ٩١، في ٣/ ٣/ ١٣٤٥هـ، وانظر كذلك فؤاد حمزة. البلاد السعودية، (الرياض: مكتبة النصر الحديثة، ١٣٨٨هـ) ص٨٧.

الخبرة والدراية الكافيتين في هذا المجال[١]. أما المادة الخامسة عشرة فأوضحت أن للجنة الحج الصلاحية التامة للنظر في كافة الأمور المتعلقة بالحج والحجاج واتخاذ القرارات الخاصة بذلك، والمادة السادسة عشرة أوضحت أنه توضع قرارات لجنة إدارة الحج موضع التنفيذ من النيابة العامة بعد الموافقة عليها من لدن الملك عبدالعزيز[٢]. وقد عرض نائب الملك في الحجاز الأمير فيصل بن عبدالعزيز اقتراحاً بشأن تكوين إدارة للحج تتكون من شيخ مشائخ الجاوي وشيخ المطوفين ومدير الصحة ورئيس بلدية مكة المكرمة ومديرية الأمن العام، وتكون تحت رئاسته وتعطى لها الصلاحية فيما يتعلق بأمور الحج[٣]، ثم بعد ذلك صدر نظام إدارة الحج في ٢٠ ـ ٣ ـ ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م[٤] وذلك لينظم العلاقة بين الإدارة وبين المطوفين وهيئات خدمات الحج وقد وضع في اثنتين وأربعين مادة[٥].

وقد تناول النظام شؤون المطوفين وأوضاعهم وتنظيماتهم وعلاقاتهم مع الحجاج، وأوضاع وشؤون الزمازمة، والمخُرِّجين[٦]، والمقومين[٧]، ووكلاء المطوفين، ونقباء جدة

(١) أم القرى، العدد ٩٠، في ٢٥/ ٢/ ١٣٤٥هـ، والعدد ٩١، في ٣/ ٣/ ١٣٤٥هـ.

(٢) المرجع السابق.

(٣) «من نائب الملك إلى رئيس الديوان العالي»، في ٢/ ١/ ١٣٤٥هـ، وثيقة رقم ٢١/ ١/ ١٢ (قسم الوثائق، الوثائق الحكومية، معهد الإدارة العامة، الرياض).

(٤) خير الدين الزركلي. المرجع السابق، ص٤٤٣.

(٥) «نظام إدارة الحج: المطوفون»، أم القرى، العدد ١٠١، في ١٤/ ٥/ ١٣٤٥هـ، ص ص ٣ ـ ٤.

(٦) المُخَرِّج هو الذي يتعهد بنقل الحجاج من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة أو جدة وعودتهم إليها. انظر محمد عمر رفيع. المرجع السابق، ص١٧٥، وقد كان للمخرجين طائفة لهم رئيس يسمى شيخ المخرجين يوزع المخرجين على المطوفين مقابل مبلغ من المال، حسين عبدالله درويش عابد. مطوف، من مواليد ١٣٤٦هـ، بدأ الطوافة في سن السادسة من عمره، (مقابلة شخصية) في مكتبه، مكة المكرمة، يوم السبت الموافق ٢٢/ ٣/ ١٤١٨هـ.

(٧) المقوم مأخوذة من التقويم ومعناها تقدير حملة الجمل من عفش الحجاج وركوبهم، انظر محمد عمر رفيع. المرجع السابق، ص١٧٥، والمقوم هو رئيس القافلة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة أو مدينة جدة أو إلى المشاعر المقدسة، محمد أمين إسماعيل سيف الدين. مطوف، من مواليد ١٣٤٨هـ، بدأ الطوافة في سن السادسة من عمره، (مقابلة شخصية) في مكتبه، مكة المكرمة، يوم السبت الموافق ٢٢/ ٣/ ١٤١٨هـ.

ووظائفهم. كما تناول النظام خدمات إدارة الصحة العامة ودائرة البلدية في موسم الحج، وشمل النظام أوضاع الأدلاء في المدينة المنورة وما عليهم من الواجبات، كذلك اهتم النظام بمصاريف الحجاج خلال موسم الحج[1]. ولم يكن للجنة إدارة الحج أعضاء دائمون، وذلك لأن نشاطها كان مرتبطًا بموسم الحج، وبعد انتهاء الموسم تتوقف معظم أعمالها؛ وبذلك فإن اللجنة كان يتم تكوينها سنويًا، ففي عام ١٣٤٦هـ كانت اللجنة مكونة من ثلاثة أعضاء، ورئيس هيئة تمييز لجنة قضايا المطوفين وهم محمد عدساني مطوف حجاج الدول العربية، وعبدالرحمن مظهر مطوف الحجاج الهنود، وحامد عبدالمنان مطوف الحجاج الجاوي، ورئيس لجنة تمييز قضايا المطوفين محمد كتبي[2]. وفي عام ١٣٤٦هـ انبثقت من النيابة العامة «لجنة إصلاح الحج» إضافة إلى لجنة إدارة الحج لمراجعة الخلل والنواقص التى قد تحدث أثناء تطبيق النظام[3].

وقد قامت بإجراء الترتيبات والإصلاحات المتعلقة براحة الحجاج، حيث اقترحت تكوين هيئة مراقبة في كل من مكة المكرمة وجدة تسمى «هيئة مراقبة المطوفين والوكلاء» وقد اقترن هذا التكوين بالتصديق العالي الملكي، ويُنتخب أعضاء الهيئة ممن يعرفون لغات الحجاج المختلفة، وقد كان من صلاحيات هذه الهيئة التفتيش على بيوت الحجاج ومراقبة نظافتها ومطابقة عدد الحجاج الساكنين فيها بالعدد المطلوب، وكذلك سماع شكاوى الحجاج من المطوفين ورفعها إلى الحكومة، ورفع مخالفات ومُشكلات المطوفين والوكلاء الخاصة بالرسوم مع الحجاج إلى النيابة العامة[4].

أما في عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م فقد أعيد تكوين لجنة إدارة الحج وقد ضمت ثمانية

(١) «نظام إدارة الحج: المطوفون»، أم القرى، العدد ١٠١، في ١٤/ ٥/ ١٣٤٥هـ، ص ص ٣ ـ ٤.

(٢) نقلاً عن مقابلة أجراها إبراهيم عويض العتيبي مع محمد حسين زيدان، المرجع السابق، ص٣١٦.

(٣) «تقرير عن الإصلاحات المتعلقة براحة الحجاج»، أم القرى، العدد ٤٧، في ١١/ ٤/ ١٣٤٦هـ، ص٣.

(٤) «تقرير عن الإصلاحات المتعلقة براحة الحجاج»، أم القرى، العدد ٤٧، في ١١/ ٤/ ١٣٤٦هـ، ص٣.

عشر عضواً من المهتمين بأمور الحج[١]، أما في سنة ١٣٥١هـ فقد تألفت من مندوبي الدوائر ذات العلاقة بالحج مضافًا إليهم ثلاثة من طرف كلٍ من شيخ المطوفين وشيخ مشائخ الجاوي وشيخ مطوفي الهنود، وكانت مهمة هذه اللجنة النظر في المنازعات والشكاوى المتعلقة بالحجاج ومطوفيهم ومقوميهم، كما أنها كُلفت بأن تراقب بيوت الحجاج ومساكنهم وتهتم بأوضاعهم الصحية ونظافة منازلهم، وقد انبثقت من اللجنة لجنتان فرعيتان من أعضائها، الأولى تقوم بالتفتيش على المنازل التي يقيم فيها الحجاج والإشراف على نظافتها، واللجنة الثانية لجنة فنية صحية تقوم بمراقبة الحالة الصحية في المنازل والدور والحوانيت والشوارع[٢]. ورغبة من الملك عبدالعزيز في جعل الخدمات متكاملة وفي تنسيق وتنظيم أعمال الدوائر الحكومية التي لها علاقة بالحج، بحيث لا يكون هناك تعارض في أعمالهم. كان صدور الأمر السامي في عام ١٣٥١هـ إلى الدوائر ذات العلاقة بشؤون الحج بانتداب شخص واحد عن كل دائرة يمثلها في لجنة الحج للنظر فيما يتعلق بأمور الحج وشؤونه وبحث المسائل التي تؤمن للوافدين إلى بيت الله الحرام راحتهم، وهم أحمد الغزاوي من مجلس الشورى والدكتور أديب الحبال من الصحة وعباس عبدالجبار من مشائخ الجاوى وعبدالله السبحي من المطوفين وعبدالله مشاط من البلدية ويحيى أبو الخير من الخارجية وعلى جميل من الشرطة[٣]. وفي سنة ١٣٥٢هـ وبأمر من الملك عبدالعزيز تم إلغاء لجنة الحج، وتكونت بدلاً عنها هيئة ضمت رئيس المطوفين ورئيس مطوفي الهنود وشيخ مشائخ الجاوى إضافة إلى عضوين من كل من هيئة المطوفين وهيئة مطوفي الهنود وهيئة مشائخ الجاوى على أن يُنتخب رئيس من بينهم، وقد تم ربط هذه الهيئة بوزارة الداخلية مباشرة، كما تم تحديد مكان اجتماع الهيئة في مركز لجنة الحج السابقة الملغاة، ومن أبرز أعمال هذه الهيئة النظر في المسائل الخلافية التي تحدث

(١) أم القرى، العدد ٣٧٦، في ١٩/ ١٠/ ١٣٥٠هـ، ص٢.

(٢) المشاريع الإصلاحية لتامين راحة الحجاج، أم القرى ، العدد ٤٢٤، في ١٣٥١/٩/٢٩هـ، ص١.

(٣) أم القرى، العدد ٤١١، في ١٣٥١/٧/٦هـ، ص٢.

بين المُخرِّجين والمطوفين ومشائخ الجاوه[١]، وفي عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦هـ أعيد تكوين لجنة الحج وقد بلغ عدد أعضائها عشرة أعضاء، يمثلون الهيئات التي تقوم بخدمة الحجاج وهم أربعة مندوبين منتخبين من لدن هيئة أمناء المطوفين، اثنان منهم يمثلان مطوفي الأتراك واثنان يمثلان الدول الأخرى ومندوبان عن هيئة أمناء مشائخ الجاوى ومندوبان عن هيئة أمناء مطوفي الهنود ومندوب عن هيئة أمناء الزمازمة[٢]، وظلت لجنة إدارة الحج على ارتباطها بالنائب العام إلى أن أُلحقت بوزارة المالية عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م[٣]. وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية وتحسن الأوضاع في مختلف أنحاء العالم ازداد عدد الحجاج إلى مكة المكرمة، فلاشك أن الاستقرار السياسي الذي حدث في العالم بعد نهاية تلك الحرب جعل كثيراً من المسلمين يرغبون في تأدية هذه الفريضة، وقد استمر الملك عبدالعزيز وخاصة بعد تأمين خطوط المواصلات البحرية المؤدية إلى منطقة الحجاز في سياسته الرامية إلى تطوير التنظيمات الإدارية للدولة، ومن ضمن هذه التنظيمات تلك التنظيمات الإدارية الخاصة بالحج، فصدر الأمر الملكي في الشهر الخامس في عام ١٣٦٥هـ بتكوين مديرية خاصة تهتم بشؤون الحج والحجاج، وتهتم كذلك بوضع المشاريع الإصلاحية والتطويرية الخاصة بذلك، وتم ربط هذه المديرية بوزير المالية في ذلك الوقت[٤]، وسميت «المديرية العامة لشؤون الحج»، تحت إشراف محمد سرور الصبان، وبإدارة محمد صالح قزاز[٥]. وتهتم هذه المديرية بكل ما يتصل بشؤون الحج والحجاج، وتتألف من خمس شعب، هي: الشعبة الدينية، والشعبة الصحية، وشعبة المواصلات، والشعبة المالية، وشعبة

(١) أم القرى، العدد ٤٤٢، في ٨/٢/١٣٥٢هـ، ص٢.

(٢) فؤاد حمزة. البلاد العربية السعودية، ص ص١٦٨ ـ ١٦٩.

(٣) إبراهيم عويض العتيبي. المرجع السابق، المرجع السابق، ص٣١٦.

(٤) عبدالمعين عثمان بشناق، الدليل العام للمملكة العربية السعودية «١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م» ، ص٤١٠.

(٥) وزارة الحج والأوقاف. «رعاية الحجيج في عهد الملك عبدالعزيز» ، المؤتمر العالمي لتاريخ الملك عبدالعزيز، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض: ١٩ ـ ٢٣ ربيع الأول ١٤٠٦هـ) ص٣.

الدعاية، وقد أسس فرعـان لها بالمدينة المنورة وجدة[١]، وباشرت أعمالها في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة وجـدة، وقد خصـصت الدولة لها أول ميـزانية بلغت (٣٨٧٥٧٠) ريالاً سعوديًا[٢]. وقد اهتمت إدارة الحج في تلك الفتـرة بإصدار تعليمات وإرشادات تبين أن يجلس الحـاج على مقاعـد مخـصصة لذلك، وأن يـبرز جواز سـفره، وأن يجـهز اسم مطوفه في مـنطقة السؤال، ثم أن يذهـب لساحة الأمـتعة لمعـرفة مـتاعه، ثم يذهـب لمنطقة التفتيش، ثم يذهب بعد ذلك إلى دار الوكيل المختص[٣] وفي عام ١٣٦٨هـ أُسندت إدارة المديرية لأحمد قنديـل بعد أن عمل مديراً لفرعـها في مدينة جدة ثم مديراً مـساعداً[٤]. أما في المدينة المنورة فـقـد تم تعيين عـثـمان حـافظ كأول مـدير لفـرع المديرية فـيهـا في سنة ١٣٦٥هـ[٥].

وقدمت المديرية العامة لشؤون الحج في تلك الفترة خـدمات عديدة ظهرت نتائجها في تلك التنظيـمات الخـاصة بالحـجـاج وسيـر السيـارات، وتنظيمـات لأعمـال المطوفين والوكلاء؛ بل وامـتدت إلى المجال الصحي فكانت تلجـأ إلى إدارة الصحة العـامة لإعداد نصـائح وإرشادات طبـيـة للحجـاج لتـبصـيـرهم وتجنبهـم العدوى والإرهاق وضـربات الشمس[٦].

وتُصدر في مـطلع كل موسم، نشـرة إعلاميـة بعنوان «دليل الحاج»، تشـمل مناسك

---

(١) عبدالله شطا . «إدارة الحج»، مـجلة الحج، العدد الأول، رجب ١٣٦٦هـ، الأولى، مكة المكرمة، ص ص ٦٤ ـ ٦٦.

(٢) وزارة الحج والأوقاف. رعاية الحجيج في عهد الملك عبدالعزيز، ص٣.

(٣) مجلة الحج. «إرشادات الحج»، العدد الرابع، شوال ١٣٦٧هـ، السنة الثانية، مكة المكرمة، ص١٧ .

(٤) محمد علي مغربي. أعلام الحجاز، ج١، ص٢٢.

(٥) علي حافظ. فصـول من تاريخ المدينة المنورة، ط٢ (جدة: شركة المدينة المنورة للطبـاعة والنشر، ١٤٠٥هـ) ص٣٥٦.

(٦) وزارة الحج والأوقاف رعاية الحجيج في عهد الملك عبدالعزيز، ص٣.

الحج وبعض المعلومات الضرورية لكل حاج ويتم توزيعها مجانًا في الداخل والخارج[١]. وقد كانت المديرية العامة لشؤون الحج ومديرية الأوقاف العامة وهيئة تمييز قضايا المطوفين ورؤساء الطوائف تتبع وزارة الداخلية التي كانت بدورها خاضعة لإشراف النائب العام[٢].

ثم أعيد تكوين المديرية العامة للحج وتنظيمها في عام ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م بتوجيهات من الملك عبدالعزيز حيث صدر أمر ولي العهد الأمير سعود بن عبدالعزيز رقم ١٥٠ بتسميتها « المديرية العامة للحج والإذاعة» وتكون تحت إشراف وزارة المالية ومرجعها النيابة العامة، وقد رُبطت الدوائر التي لها علاقة بشؤون الحج بها، كما ألزمت الدوائر الحكومية التي لها صلة بأوضاع الحجاج بتنفيذ ما يأتيها من المديرية العامة للحج فيما له علاقة بالشؤون التنظيمية، وقد كانت الإذاعة السعودية مرتبطة بالمديرية في ذلك الوقت لأن أغلب برامج الإذاعة كانت دينية ولها علاقة بأمور الحج[٣].

ويتكون مجلس استشاري لشؤون الحج والحجاج برئاسة وزير المالية ومندوب من وزارة الداخلية، ومن رئاسة القضاء، ومن وزارة الصحة، ومن وزارة المالية، ومن مديرية إدارة الحج، ومديرية الأمن العام، ومدير الأوقاف، وأمين العاصمة المقدسة، ومدير البرق والبريد العام، ورئيس عين زبيدة، ورئيس بلدية جدة، ورئيس عين العزيزية، ورئيس نقابة السيارات، وكانت مهمة هذا المجلس النظر في المشروعات المتعلقة بالحجاج. أما قرارات هذا المجلس فكانت ترفع للنيابة العامة للتصديق عليها قبل تنفيذها[٤]. كما أصبحت المديرية العامة للحج مرتبطة ـ وذلك في نطاق توسيع اختصاصاتها وجعلها المرجع الأول

---

(١) عبدالمنعم الغلامي. الملك الراشد جلالة المغفور له عبدالعزيز آل سعود، (الرياض: دار اللواء، ١٤٠٠هـ) ص٢٩٠.

(٢) إبراهيم عويض العتيبي. المرجع السابق، ص٦٢٣.

(٣) أم القرى، العدد ١٤٣٦، في ١٣/ ٢/ ١٣٧٢هـ،

(٤) المرجع السابق.

في جميع ما يختص بشؤون الحج ـ بنقابة السيارات، وبرؤساء المطوفين وهيئتهم بمكة المكرمة، وبهيئة تمييز قضايا المطوفين وبرئيس الزمازمة بمكة المكرمة، وبهيئة الأدلاء بالمدينة المنورة، وبنقباء ووكلاء المطوفين بمكة وجدة، والمطارات، وبهيئة المراقبة بجدة، أما وزارة الخارجية ووزارة الداخلية ووزارة الصحة ووزارة المالية فإضافة إلى أعمالها الأساسية؛ فإن لها علاقة وصلة بالحجاج وخاصة في موسم الحج ومن هذا المنطلق فقد أصبح هناك ارتباط وخاصة خلال مواسم الحج بين هذه الوزارات والمديرية العامة للحج وذلك لتقديم المساعدة لها[1]. ولم تقتصر علاقة المديرية العامة للحج بهذه الوزارات فقط؛ بل كان هناك تعاون بين المديرية والأمن العام ومديرية الأوقاف بمكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة في الشؤون المختصة بالحرمين الشريفين والمساجد، وذلك للإشراف عليها وعلى نظافتها. كما أن هناك تعاونًا بين المديرية وجمعية الإسعاف، وإدارة البلديات والمياه في مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة، وبيوت المال، وذلك للإشراف على تركات المتوفين من الحجاج وممتلكاتهم، وبضباط الموانىء فيما له علاقة بقدوم الحجاج وعودتهم، وموظفي الجمارك الذين يقومون بتسهيل مرور الحجاج وأمتعتهم، وإدارات النقل في الموانىء، ومكتب السفر والإقامة فيما يختص بجوازات الحجاج، ووكلاء شركة البواخر والطيران فيما يتعلق بتحديد أوقات قدوم الحجاج وسفرهم[2]. ومن أبرز أعمال المديرية: استقبال الحجاج في الموانئ البرية والبحرية، وترتيب تنقلات الحجاج في الأماكن المقدسة، وإقامة المشاريع الخاصة براحة الحجاج، وإصدار نشرات موسمية يومية بترتيب أفواج الحجاج حسب قدومهم[3]، ووضع لوحات إرشادية خاصة بالحجاج القادمين من طريق البحر في الموانئ والصالات المخصصة لاستقبال الحجاج الهدف منها سرعة إنهاء إجراءاتهم[4]. وقد كانت تنشر في صحيفة الدولة الرسمية أم القرى الكثير من التعليمات والبيانات

(١) المرجع السابق.

(٢) أم القرى، العدد ١٤٣٦، في ١٣/ ٢/ ١٣٧٢هـ، ص١.

(٣) خير الدين الزركلي. المرجع السابق، ج٤، ص ١٣٣٦.

(٤) متولي نجيب. نفحات الحج والزيارة (د. م، د. ن، ١٩٥١م) ص٤١.

الإرشـادية التي تصـدرها الدولة للحـجـاج للاطلاع علـيهـا، وذلك حـتى لا يتـعـرضـوا لمشكلات قد تواجههم أثناء تأدية حجهم[١].

كما أصدرت مجلة سميت بمجلة الحج، التي كان من أهم أهدافها تعريف المسلمين بالمناسك التي شـرعها الإسـلام تعريفًـا صحيـحًا، وإرشاد المسلمين إلـى مشاعـر الإسلام ومواطنه، وأن تكون دليـلاً للمسلمين القـادمين للحج وتقوم بإرشادهم بكافـة الإرشادات التي تعينهم. كما تقوم المجلة بنشر التعـرفة التي تمثل المبلغ الذي يقوم الحاج بدفعه كعوائد ورسوم للدوائر والمؤسسات الخيرية التي تسهم إسهامًا فعالاً في راحة الحاج[٢].

ثانياً ـ نظام المطوفين والزمازمة:

لقد كان للمطوفين والزمازمـة في العهد العثماني والهاشمي تنظيمـات خاصة متفق عليها في القديم، وهي تنظيمات غير رسمية ولم تكن موثقة وإنما أعراف وتقاليد متعارف ومتـفق عليـها بين المطوفين لتنظيم شـؤونهم. ولكنهـا أخذت تنمـو وتتطور منذ أن بدأت مهنة الطوافة تأخذ شكلها الوظيفي[٣].

ولقد كان يعّد من صلاحـيات المطوف قبل العهد السعودي استـقبال الحجاج الذين يتبعونه في مينـاء جدة عن طريق الوكيل وتكون مهمته تسهيل إجـراءات التفتيش لهم من لدن موظفي الجمارك وتدبيـر السكن في مدينة جدة، وبالتالي فالمطوف يقـوم بعمل جميع الترتيـبات في المشاعر المـقدسة أثناء موسم الحج بما فـي ذلك إجراءات الترتيبـات اللازمة للسفر إلى المدينة المنورة[٤].

---

(١) «العناية براحة الحجاج»، أم القرى، العدد ٤٠٩، في ١٣/٦/١٣٥١هـ، ص١.

(٢) محـمد حسن فقي. «تـصدير»، مجلة الحج، العـدد الرابع، شوال ١٣٦٧هـ، السنة الثانيـة، مكة المكرمة، ص٩.

(٣) ك. سنوك هورخـورنيه. مكة المكرمـة في نهاية القـرن الثالث عـشر الهـجري، (مكة المكرمـة: نادي مكة الثقافي، ١٤١١هـ) ص ص ٨٧ ـ ٩١.

(٤) المرجع السابق.

كمـا لم تكن في تلك الفترة لوائح تنظم قـبول أعضاء جـدد في المهنة؛ بل كان ذلك من اخـتصـاص شيخ الطائفـة[١] الذي يراعي في ذلك العـرف السـائد، والذي يأخـذ في الحسبان أن لا يكون عدد المطوفين كثيـراً، بحيث يؤثر على التنافس بين أفراد الطائفة. كما كان من صـلاحية شـيخ الطائفة الإشـراف على الأعضاء الجـدد ومعـرفة مدى كـفاءتهم وحسن سلوكهم[٢].

وقـد كانت فـئة المطوفين من أوائل القـرن الرابع عـشر الهـجري تنقـسم إلى ثلاث طوائف؛ الطائفة الأولى طائفة مختصة بالحجـاج القادمين من إندونيسيا وماليزيا أو الملايو والفليبين ومـا جاورها والتي يطلق عليها المكيـون بلاد جاوى وتسمى هذه الفئـة «مشائخ الجاوى»، ولهـذه الطائفة تقاليد وأعـراف، ويُنَصَّب عليهم من طرف الإمارة شـيخ يسمى «شـيخ مشـائخ الجاوى»، والـطائفة الثـانية مـطوفو الـحجاج القـادمين من الهند من سـائر أقاليـمهـا ولهم شيخ يسمى «شـيخ مطوفي الهنود»، والطائفـة الثالثة مطوفـو بقيـة أقاليم المسلمين من غير المناطق المذكورة ولهم شيخ يطلقون عليه «شيخ المطوفين»[٣].

والمطوفون في العهـد السعودي هم من أهل مكة المكرمة يتم تعـيينهم من لدن الملك عبدالعزيز، ويخصص لكل واحد منهم حـجاجه حسب التقارير[٤] والسؤالات التي معه،

(١) شيخ الطائفة في العـهد السعودي هو رئيس المطوفين، وهو مرجع وسـجل يهتم بشؤون المطوف ومحاسـبته وحل مشكلاته مع الحجاج المستعصية إن وجدت، وهو كذلك يفصل بين المطوفين في حالة وجود مشكلات بينهم، حسين عبدالله عابد. مطوف (مقابلة شخصية).

(٢) ك. سنوك. هورخونيه. المرجع السابق، ص٩٤.

(٣) محمد أمين إسـماعيل سيف الدين. مطوف (مقابلة شـخصية). وانظر محمد عـمر رفيع. المرجع السابق، ص١٦٨.

(٤) التقـارير: هي المنح والإنعامـات الخطية التي تصدر من ولاة الأمـور بأن تمنح بلدة أو أكثـر إلى عائلة تكون معروفة لهم ولذريتـهم من بعدهم يقومون بخدمة الحجاج القـادمين منها لا ينازعهم أي منازع، انظر: فؤاد عبـدالحميـد عنقاوي. مكة. الحج والطوافة، (١٤١٥هـ) ص٣٢٢، ويذكـر محمـد أمين إسماعـيل سيف الدين. مطوف (مقابلة شخصية) أن التقرير يتضمن كذلك أن يلتزم المطوف بالحاج الذي يأتي من البلد الذي يملك تقريره، وقد صدر أمر الملك فيصل بحل التقارير، بحيث يصبح الحاج حرّاً في اختيار المطوف.

وفي عـام ١٣٤٥هـ أصدر الملك عـبدالعـزيز تعليـمات تبين أهم مـهام هذه الطائفـة وهي تعليم الحاج بمناسك الحج وتوفـير كل ما يلزمه من السكن ووسائل المواصـلات إلى عرفة ومنى وزيارة المسجد النبوي وعودته إلى جدة[١].

أما إذا كـان المطوف امرأة فـعليـها أن تحضـر من يقوم بـخدمة الحـاج من أهل الثـقة والأمانة وأن يكون على علم بمناسك الحج سـواء كان ابنًا لها أو زوجاً، وفـي حالة وجود قصور من الخـدمة المقدمة تكون المطـوفة مسؤولة عنه عـلاوة على مسؤوليته عـن نفسه[٢]، وإذا صدر من مطوف أو شيخ جـاوي تعد أو إيذاء على حاج؛ فإنه معـرض للجزاء، وقد كان على المطوفين في العهد السـعودي مراعاة العوائد والتقاليد القديمـة في مسألة التقارير والسـؤالات، أمـا رئاسـة المطوفين؛ فـإنه يعين من لـدن الملك عـبـدالعـزيز رئيس لمشـائخ الجاوي. كـما يعين رئيس لعـموم المطوفين، وقد كـان لكل رئيس هيئـته المكونة من كـبار المطوفين للنظر في دعاوى المطوفين وكان على رئيس مشائخ الجاوي أو رئيس المطوفين أن يقومـا بمراقبة المطـوفين المرتبطين بهما، وإذا رأى شـيخ مشائخ الجـاوي أو رئيس المطوفين قصوراً من أحـدهم فعليه أن يقدم كل منهـما تقريراً موقعًـا عليه من لجنتهمـا يوضح فيه ذلك القـصور إلى رئيس لجنة إدارة الحج، وكل الـدعاوى التي تقـدم من لدن المطوفين أو مشائخ الجاوي إلى رؤسائهم إذا لـم تنته برضاء الطرفين ترفع من لدن الرؤساء إلى رئيس اللجنة ليقرر فيها ما يقتضي. كما كان على المطوف أو شيخ الجاوي إذا لـم يجد إنصافاً من رئيسه أن يقدم شكواه إلى رئيس اللجنة[٣].

وقد تم تطوير أوضـاع المطوفين من أجل تحقـيق المزيد من الإنجاز في أعـمال الحج، هذا التطوير الذي سعى من خـلاله الملك عبدالعزيز إلى رفع مـستوى الخدمة التي يقـدمها المطوفون للحجاج.

(١) «نظام إدارة الحج: المطوفون»، أم القرى، العدد ١٠١، ١٤/٥/١٣٤٥هـ، ص٣.

(٢) محمد أمين إسماعيل سيف الدين. مطوف (مقابلة شخصية).

(٣) « نظام إدارة الحج: المطوفون»، أم القرى، العدد ١٠١، ١٤/٥/ ١٣٤٥هـ، ص٣.

ولعل من أبرز مظاهر هذا الاهتمام إنشاء مدرسة خاصة للمطوفين تهتم بتطوير خدماتهم وترقيتها إلى المستوى المطلوب كمرفق حضاري يقوم على تعليم المطوفين مناسك الحج على المذاهب الأربعة وتعليمهم الطريقة المثلى في تقديم خدماتهم للحجاج على الرغم من أن أغلبهم كان يتعلم أسرار المهنة عن طريق المحاكاة، إذ إن الأب يعلم أبناءه منذ صغرهم على خدمة الحجاج إلا أن وجود هذه المدرسة كان يعطي لمهنة الطوافة الصفة العلمية والمنهجية.

أ - إنشاء مدرسة للمطوفين:

نظراً لأهمية الدور الذي يؤديه المطوف أو الدليل في توجيه الحجاج وإرشادهم لمناسكهم كان لابد أن يكون المطوفون والأدلاء على معرفة ودراية بمناسك الحج والعمرة وعلى هذا الأساس فقد صدر أمر الملك عبدالعزيز في عام ١٣٤٧هـ بإنشاء مدرسة للمطوفين وأبنائهم بمكة المكرمة لرفع مستواهم المعرفي والسلوكي، وذلك بناء على كثرة الشكاوى التي وصلت إليه من الحجاج ضد المطوفين سواء منها ما يتعلق بتقصيرهم في الواجبات الملقاة عليهم إزاء الحجاج أو ما يتعلق بتقصيرهم في أداء المناسك، ولذا؛ كان الأمر بتأسيس مدرسة للمطوفين في مكة المكرمة يتلقى فيها المطوفون علم التوحيد، ودراسات خاصة بالعبادات، ودراسات خاصة بالمناسك وأدائها حسب ما دونه علماء السلف و الأئمة الأربعة، ثم دراسات حول ما يجب على المطوفين لحجاج بيت الله الحرام من حسن الوفادة وتسهيل وسائل الراحة. كما اهتمت هذه المدرسة بتدريس الأنظمة الإدارية الموضوعة للحجاج، وقد كانت مدة الدراسة سنة واحدة ويتم إجراء اختبار للمطوفين في نهاية السنة الدراسية وإعطاء الشهادات لهم[1].

---

(١) «صورة من رسالة الملك عبدالعزيز إلى نائب الملك في مكة»، إنشاء مدرسة المطوفين ونظامها ومواد التدريس فيها، مؤرخة في ١٣٤٧/١/٢٣هـ، ديوان جلالة الملك. عبدالرحمن السبيت، وآخرون. من وثائق الملك عبدالعزيز، ص٢١١.

وقد عينت لهم مديرية المعارف وقتئذ ثمانية عشر مدرسًا، ولكن يبدو أن فكرة إنشاء مدرسة للمطوفين وعقد امتحان لهم في آخر العام كانت غريبة على طائفة المطوفين وغيرهم لدرجة أن مدير المعارف استعان بالنائب العام في أن يستجيب شيوخ المطوفين والجاوي لكل ما يطلب منهم، وقد بدأت الدراسة بمدرسة المطوفين بمكة المكرمة في المسجد الحرام بتاريخ ٧/ ٣/ ١٣٤٧هـ وكان وقت الدراسة صباحًا ومساءً ولكل مادة دراسية منها ثلاث ساعات أسبوعيًا، وكان شيخ المطوفين وشيخ مشائخ الجاوي يلقيان دروسًا في الإدارة مساء كل خميس، ويبدو أنه كانت تراعى رغبات المدرسين في المواد التي كانوا يدرسونها[١].

وقد أعلنت مديرية الحج العامة عام ١٣٦٧هـ أنه إنفاذًا لأمر الملك عبدالعزيز القاضي بوجوب تعلم طوائف المطوفين الثلاث العرب والجاوي والهنود مناسك الحج وكل ما هو ضروري لمهنتهم، فقد أمر سماحة رئيس القضاة بتخصيص ثلاثة من المدرسين الرسميين وهم عبدالظاهر أبو السمح ومحمد عبدالرزاق حمزة ومحمد سلطان المعصومي لتدريس المطوفين المناسك بين العشائين من كل ليلة[٢].

وكان لمدرسي مدرسة المطوفين بمكة المكرمة رواتب نظير التدريس بالحرم تراوحت بين الجنيهين والعشرين جنيهًا في الشهر حسب مدى تفرغهم للتدريس. ويبدو أن نجاح مدرسة المطوفين بمكة المكرمة قد شجع مديرية المعارف على إنشاء مدرسة مماثلة في المدينة المنورة لتعليم أدلاء الحجاج بها وإعدادهم لتوجيه الحجاج للزيارة الشرعية، وأن يكون مقر الدراسة بالمسجد النبوي الشريف، وأن يُتبع فيها مناهج مدرسة المطوفين بمكة المكرمة نفسها مع استبدال درس المناسك بتعليم

(١) أحمد عزت عثمان صالح. «مدرسة للمطوفين بمكة المكرمة وأخرى لأدلاء الزائرين بالمدينة المنورة»، مجلة الفيصل، العدد ١٠٢، ذو الحجة ١٤٠٥هـ، ص١٠٨.

(٢) أم القرى، العدد ١٢٠٩، ٢٨/٦/١٣٦٧هـ، ص٢.

الأدلاء الزيارة الشرعية وتحذيرهم من البدع[١].

ولقد امتد اهتمام الملك عبدالعزيز بالمطوفين إلى بلورة أنظمتهم وتقنيتها من خلال صياغة القوانين الخاصة بهذه الفئة. ونظام المطوفين والزمازمة هو جزء من هذا التنظيم الإداري الذي أولاه الملك عبدالعزيز عنايته، وذلك من أجل خدمة حجاج بيت الله الحرام والارتقاء بمستوى تلك الخدمة. وقد أنشئت هيئات ووضعت أنظمة مختلفة انصبت جميعها تحت نظام المطوفين، ومن أهم هذه التنظيمات:

ب ـ هيئة المطوفين:

أدت زيادة أعداد الحجاج نتيجة لتطور المواصلات وتحسين الأوضاع الاقتصادية إلى ازدياد الأشخاص العاملين في مجال الطوافة، فكان لابد من إنشاء هيئة جامعة لهؤلاء المطوفين حتى يتم تطبيق الأنظمة والتعليمات الخاصة بهم، وكان من الضروري جداً إيجاد هيئة تنظيمية تسير أعمال المطوفين وتقوم بحل المشكلات التي تحدث بينهم. فقد تكونت هيئة المطوفين من خلال النظام الذي وضعته هيئة أمناء المطوفين في ٥/٨/ ١٣٥٠هـ[٢]، وقد تم إدخال بعض التعديلات عليه من لدن لجنة الحج[٣]، كما أجريت بعض التعديلات على اقتراحات لجنة الحج وعلى تعليمات هيئة أمناء المطوفين من لدن مجلس الشورى، وذلك بعدما تبين عدم وجود خلاف جوهري بينهما، إذ إن بعض المواد كانت مقتبسة من النظام العام للمجالس الإدارية والهيئات الحكومية، وبذلك تم إقرار أهم الواجبات والتعليمات

---

(١) أحمد عزت عثمان صالح. المرجع السابق، ص١٠٩.

(٢) «تعليمات هيئة المطوفين»، وثيقة رقم ٨٠٢٠/ ٧٢٩٠، في ٥/٨/ ١٣٥٠هـ (ملف رقم ٢/ج/٢، معهد الإدارة العامة).

(٣) «تعليمات هيئة المطوفين»، وثيقة رقم ٧٤، في ٤/٧/ ١٣٥٠هـ (ملف رقم ٢/ج/٢، معهد الإدارة العامة).

الخاصة بهذه الهيئة في ثلاث وعشرين مادة[١]. وتبرز أهمية هذه الهيئة في أن علاقتها وسلطتها مباشرة على مشائخ المطوفين، إذ إنه على جميع المطوفين أن يُطْلعوا الهيئة على جميع القضايا والمعاملات الخاصة بهم، وبهذا فإن البت في قضايا المطوفين من مسؤولية الهيئة[٢].

ج ـ أمين المطوفين في ينبع والمباشرين ورئيسهم في موسم الحج[٣]:

تعدّ مدينة ينبع من الموانىء المهمة للمملكة العربية السعودية على البحر الأحمر بعد ميناء جدة، وقد بدأت في استقبال قوافل الحج البحرية منذ عام ١٣٢١هـ، ومع بداية العهد السعودي أُصلح الميناء عدة مرات وبنيت فيه عدة أرصفة كما نشطت فيه الحركة التجارية مع بداية ذلك العهد، فكانت ترسو في ميناء ينبع البواخر المحملة بالبضائع القادمة من مصر والهند وعدن والحبشة وبريطانيا[٤]، وتكمن أهميتها خلال موسم الحج في استقبال الحجاج وتوديعهم بحرًا، ولذلك كان لوكلاء المطوفين في مدينة جدة مندوبين فيها مهمتهم استقبال الحجاج وتهيئة أوضاعهم المعيشية، ومن ثم ترحيلهم إلى مكة المكرمة أو المدينة المنورة[٥]. وقد أقر مجلس الشورى النظام الخاص لأمين المطوفين في مدينة ينبع والمباشرين ورئيسهم قبل الحج وبعده في اثنتين وعشرين مادة[٦]. ومن خلال الدراسة التحليلية لهذا

---

(١) «تعليمات هيئة المطوفين»، وثيقة رقم ٧١٤، في ٢٩/ ١١/ ١٣٥٠هـ (ملف رقم ٢/ج/ ٢، معهد الإدارةالعامة).

(٢) المرجع السابق.

(٣) الأمين هو أحد أفراد الطائفة الذي يكل إليه رئيسها القيام بشأن الحاج الباقي أمره. انظر نظام المطوفين العام، وزارة المالية والاقتصاد الوطني، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة ١٢٨١هـ.

(٤) عبدالكريم محمود الخطيب. تاريخ ينبع، (الرياض مطابع الشرق الأوسط، ١٤٠٥هـ) ص ص٣٤ ـ ٣٦.

(٥) حسين عبدالله عابد. مطوف (مقابلة شخصية).

(٦) «تعليمات أمين المطوفين في ينبع والمباشرين» ، وثيقة رقم ١٩٥، في ٢٥/ ١٠/ ١٣٥١هـ، (ملف رقم ٢/ ج/ ٢، معهد الإدارة العامة).

النظام تبين أنه وضع لفترة مؤقتة لمعالجة أوضاع طارئة؛ إذ تم توحيد هذا النظام فيما بعد بمثيله نظام وكلاء المطوفين في جدة، ولكن مع مراعاة الفوارق والاستثناءات التي تميز كل مدينة عن الأخرى، وقد تم تحديد المباشرين بأن يكونوا من أهالي مدينة ينبع، وفيما يتعلق بالرسوم التي تؤخذ من الحجاج، فتم توحيدها بما هو سائر في مدينة جدة ومكة المكرمة، وفيما يختص بالأشخاص المرشحين للأمانة فقد كان يتم انتخاب أمين المطوفين في ينبع من لدن هيئة المطوفين ثم ترفع إلى وزارة الداخلية، وكان يتم حضور الأمين ومعاونه حين قدوم الباخرة التي تحمل الحجاج ومعهما رئيس المباشرين وشخصان من المباشرين ويقومون بسؤال الحجاج عن بلدهم ومطوفهم ثم يسلم الأمين الحجاج لرئيس المباشرين ليوزعهم على المباشرين(1).

ويطلع بعد ذلك على جوازات الحجاج، ويسجل عليها اسم مطوف الحاج بمكة ثم تُسلم لرئيس المباشرين ليوزعها على الحجاج بعد أن يتقاضى منهم المقررات والعوائد اللازمة، ويقوم الأمين بتحرير بيان إلى رئيس المطوفين بمكة مشتملاً عدد الحجاج وبلدانهم ومطوفيهم، أما المباشرون ورئيسهم فقد كان يتم حضورهم لدى الأمين ومعاونه حين قدوم الباخرة لاستلام الحجاج مع الأمين. كما كان رئيس المباشرين بعد تمام نزول الحجاج يقوم بتفقد منازلهم وراحتهم واستلام جوازاتهم من الأمين، إضافة إلى قيامه باستلام كافة العوائد والمقررات التي على الحاج من المباشرين، ويسلمهم جوازات الحجاج ليسلموها بدورهم للحجاج حين سفرهم، وكان المباشرون يقومون بعد استلامهم الحجاج بتنزيلهم في أماكن تليق بهم ويتفقدون أحوالهم ويسعون في تسهيل أمورهم(2)، ونلاحظ في هذا النظام أن علاقة المباشرين ومسؤوليتهم بالأمين، كما كانت مسؤولية الأمين مرتبطة بمشيخة

---

(١) «تعليمات أمين المطوفين في ينبع والمباشرين»، وثيقة رقم ١٩٥، في ٢٥/ ١٠/ ١٣٥١هـ، (ملف رقم ٢/ ج/ ٢، معهد الإدارة العامة).

(٢) المرجع السابق.

المطوفين بمكة المكرمة، أما رئاسة المطوفين فهي مسؤولة عن تصرفات الأمين المالية والإدارية.

د ـ صبيان المطوفين:

ويتبع المطوفين فئة ملحقة بهم تعمل تحت إشرافهم تسمى فئة صبيان المطوفين. وقد كان يتم استخدام الصبي وفقًا لعدة شروط من أهمها التوسم وسماحة الأخلاق والأدب والدين وهي شروط عامة يجب توافرها في المطوف والصبي عل حد سواء[1]، وكان الصبيان على عدة أنواع فهناك صبي طوافة أي مختص بتطويف الحاج، وهناك صبي خاص بإنزال ممتلكات الحاج من الجمل أو السيارة، وهناك صبي مختص للطبخ، وهناك صبي مختص للشاي والقهوة[2]، وهذه الفئة تباشر شؤون وفود بيت الله ويتناولون من مستخدميهم المطوفين أجورًا يتفق عليها، ذلك أن كثرة الحجاج لدى كل مطوف تستلزم وجود عدد من المساعدين لكي يقوموا بمباشرة الحجاج وخدمتهم وتطويفهم والاعتناء بشؤونهم، ونظرًا لأن المطوف فرد في حال عدم وجود أبناء له أو عدة أفراد في حال وجود أبناء له؛ فإن هذا العدد لا يكفي لكي يفي بمتطلبات الحجاج ورعايتهم وإدارة شؤونهم، ومن هنا فرضت الحاجة وجود مساعدين أو صبية كما كان يعبر عنهم لكي يقوموا ببعض الأعمال غير الرئيسة. وبالتالي فإن الصبي أو المساعد الذي يعمل مع مطوفه لفترة تتراوح ما بين خمس عشرة سنة وعشرين سنة؛ فإنه في هذه الحالة يصبح مدركًا للمهنة ولأسرارها وخباياها وبذلك يكون مهيئًا للانتقال من عمله كصبي أو مساعد إلى عمله كمطوف مستقل[3].

(١) حسين عبدالله عابد. مطوف (مقابلة شخصية).

(٢) محمد أمين إسماعيل سيف الدين. مطوف (مقابلة شخصية).

(٣) هشام جميل أحمد إسماعيل. مطوف، من مواليد ١٣٤٧هـ، بدأ الطوافة في سن السادسة من عمره (مقابلة شخصية) في منزله، مدينة جدة، يوم السبت الموافق ١٤١٥/٩/٢٦هـ.

وهناك بعض الصبية الذين ينتقلون في العمل لدى عدة مطوفين فيحصلون من لدن كل مطوف على شهادة تسمى شهادة تامة تثبت ذلك وتثبت قدرتهم وحسن سلوكهم، ويتقدم الراغب منهم في الطوافة إلى رئاسة المطوفين وبموجب تلك الشهادات المعطاة ومقابل كذلك مبلغ من المال تسمى المصلحة ينال المعلمانية أي يصبح مطوفًا، ويبحث عن أي منطقة في العالم ويصبح مطوفًا لها ويثبت سؤاله فيها بشرط أن لا يكون لها مطوف آخر[١].

ومن هذا المنطلق قام الملك عبدالعزيز بتنظيم شؤونهم ووضع قواعد وأسس يلتزمون بها ويسيرون بموجبها. وقد صادق نائب الملك على نظامهم وتعليماتهم عندما رفع إليه قرار مجلس الوكلاء رقم ٢٢٣ وتاريخ ٢٣/ ٩/ ١٣٦٠هـ المؤيد لقرار مجلس الشورى رقم ٨٣ وتاريخ ٨/ ٦/ ١٣٦٠هـ، وقد اطلع مجلس الشورى على مشروع نظام صبيان المطوفين وسفرهم المعدل من لدن لجنة تمييز قضايا المطوفين بمقتضى قرارهما رقمي ٨٢ في ٩/ ٩/ ١٣٥٨هـ و١٠/ ٩/ ١٣٥٨هـ الذي سبق عرضه لدى هيئة المطوفين وهيئة أمناء مشائخ الجاوي[٢].

وجاءت موافقة مجلس الوكلاء على النظام المرفوع إليه بعد موافقة مجلس الشورى عليه[٣]. وقد وُضع النظام في ثلاث وعشرين مادة خصصت للتعريف بالصبيان والشروط الواجب توافرها فيهم للعمل كصبيان للمطوفين كخلوهم من الأمراض، وحسن سلوكهم، ثم واجباتهم وحقوقهم ومسؤوليتهم، وتحدث النظام كذلك عن أهم وأبرز أعمالهم، كما شمل النظام أهم الشروط التي يجب أن

(١) حسين عبدالله عابد. مطوف (مقابلة شخصية).

(٢) «نظام تعليمات صبيان المطوفين»، وثيقة رقم ٨٣، في ٨/ ٦/ ١٣٦٠هـ، (ملف رقم ٢/ج.٢، معهد الإدارة العامة).

(٣) «وثيقة صادرة من ديوان نائب الملك ورئيس مجلس الوكلاء إلى الجهات المختصة»، رقم ٢٢٣، في ٢/ ٩/ ١٣٦٠هـ، (ملف رقم ٢/ج/٢، معهد الإدارة العامة).

تتوافر في انتقال الصبي من مطوف إلى آخر، والطريقة المثلى التي يجب على الصبي أن يسلكها في سبيل نيل المعلمانية ليصبح معلمًا[١]، والحقوق والواجبات التي يجب أن يراعيها الصبي أثناء سفره إلى الخارج ليقوم بالدعاية للحج، من حيث التزام أوامر الحكومة وعدم تشويه سمعتها أو سمعة أحد المطوفين لصالح مطوف الآخر[٢].

هـ ـ نظام المطوفين العام:

لقد وضع الملك عبدالعزيز نظامًا للمطوفين في مكة المكرمة ينظم شؤونهم وأمورهم، ويقنن للطوافة الأنظمة الرسمية الخاصة بها، وهو مرتبط بهيئة المطوفين، حيث تشرف على تطبيق هذا النظام، كما يرتبط بهم أمين المطوفين في ينبع والمباشرين، إذ يعدّ هذا النظام المرجع الرئيس لهم. كما يعمل تحت رئاستهم وإشرافهم فئة صبيان المطوفين. ولاشك أن حالة الطوافة وشؤون المطوفين قديمًا كانت تراعى فيها التقارير والمراسيم الصادرة في الأزمنة الماضية من عهد الدولة العثمانية وعهد الأشراف، ثم رأى الملك عبدالعزيز أن تنظم الأمور وذلك بوضع أنظمة تضمن مصلحة المطوفين والأدلاء والزمازمة ومصلحة الحجاج[٣]. وقد صدر الأمر السامي رقم ٧٢٦٧ في ٣/ ١١/ ١٣٦٧هـ بالموافقة على نظام المطوفين وإنفاذه

(١) الصبي طالب المعلمانية الذي يشمله نظام المطوفين هو الشخص العامل الذي يباشر أعمال الطوافة المعتمد عليه في طواف الحجاج وفي تأديتهم مناسكهم عدا مشائخ الجاوي؛ فإن الصبي طالب المعلمانية منهم هو الوكيل الشرعي الذي يحل محل الشيخ ويقوم بجميع أعماله، انظر «نظام المطوفين العام»، المرجع السابق.

(٢) «وثيقة صادرة من مجلس الشورى»، رقم ٨٣، في ٨/ ٦/ ١٣٦٠هـ، (ملف رقم ٢/ج/ ٢، معهد الإدارة العامة). ولقد كانت الدعاية للحج من ضمن الأعمال التي يقوم بها المطوف أو أحد أعوانه حيث يقوم بالسفر إلى خارج المملكة للدعاية للحج ولترويج اسمه في المنطقة التي يمتلك سؤاله والتي يملك منها تقارير، محمد أمين إسماعيل سيف الدين. مطوف (مقابلة شخصية).

(٣) محيي الدين رضا. رحلتي إلى الحجاز (القاهرة: مطبعة المنار، د. ت) ص٣٣.

وهو يشمل مائة وخمسًا وأربعين مادة[١].

وقد تناول نظام المطوفين العام مفهوم الطوافة التي هي عبارة عن وظائف معينة يؤديها كل مطوف، والذي يشترط أن يكون سعوديًا، كما تحدث النظام عن الطوائف الثلاث وهي طائفة المطوفين، وطائفة مطوفي الهنود، وطائفة مشائخ الجاوى. وعرَّف النظام رئيس الطائفة وهو من تعينه الحكومة وتسند إليه أمر الرئاسة على أحد الطوائف الثلاث، وقد تناولت المواد من هذا النظام الشروط التي يجب أن تتوافر في كل مطوف، وبعد ذلك شرح النظام طريقة التوارث بين المطوف وأبنائه وأحفاده. وشرح النظام مفهوم المعلمانية والمعلم والطريقة النظامية للحصول عليها، وكذلك تناول النظام التقارير التي تصدر من ولاة الأمور لشخص أو عدة أشخاص، والتي يحملها العديد من المطوفين وتعطيهم أحقية في طوافة مناطق معينة من العالم الإسلامي، ثم ناقش النظام الكيفية التي يتم بموجبها تقرير جنس معين لمطوف معين[٢].

كما تناول النظام الطريقة المثلى في توزيع الحجاج عند قدومهم إلى الأراضي الحجازية سواء عن طريق البر أو البحر أو الجو على المطوفين، حيث وضعت الشروط الخاصة بالسؤال، كما تناول النظام التقاليد الواجب مراعاتها بين الشركاء وطريقة الانفصال، ثم تناول كذلك كيفية توزيع الحجاج بينهم، كما أن هذا النظام نظم العلاقة بين المطوف والمطوف الآخر[٣].

وهكذا نرى أن الأوضاع الإدارية والعملية الخاصة والمتعلقة بالمطوفين قد

---

(١) «نظام المطوفين العام»، المرجع السابق، وقد نشر النظام كاملاً في مجلة الحج في الأعداد التالية: العدد الحادي عشر، جمادى الأولى، ١٣٦٨هـ، السنة الثانية، ص ص ٩١ ـ ٩٤، وفي العدد الثاني عشر، جمادى الثانية، ١٣٦٨هـ، السنة الثانية، ص ص٧٧ ـ ٨٦.

(٢) «نظام المطوفين العام». المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

صيغت ووضعت على هيئة تعليمات وأنظمة يسير بموجبها المطوفون، ويلتزمون بها أمام الدولة وأمام حجاجهم، ومن ناحية أخرى تناول هذا النظام علاقة هؤلاء المطوفين بالحجاج بجميع جوانبها التفصيلية الدقيقة.

كما أننا نجد أن هذا النظام قد وفر المناخ الملائم والجيد والرؤية الواضحة للمطوف فيما يتعلق بعلاقته مع شركائه وانفصاله عنهم، وفيما يتعلق كذلك بتوريث الطوافة لأبنائه، وفي الوقت نفسه أصبحت هذه التعليمات ميسرة وسهلة التناول بالنسبة لأي مطوف لكي يطلع عليها، حيث تم طباعتها لتكون في متناول المطوفين.

و ـ نظام الزمازمة:

ومن المهن القديمة والمعروفة في مكة المكرمة مهنة الزمازمة وهم الذين يقومون بمهام السقيا في في الحرم المكي، والذين كانوا يستعملون الجرار الفخارية لتبريد ماء زمزم وقد كانت جرارهم على نوعين الكبير منها يسمى «الزير» والصغير هو «الدورق»، وهو الذي كان أكثر استعمالاً من لدن الزمازمة يحملونه على أكتافهم ويطوفون به في أرجاء المسجد يسقون منه الراغبين، وكان الزمازمة يحصلون على دخلهم مما تجود به نفس الشارب أو من أولئك الذين يطلبون منهم أن يوزعوا محتوى جرارهم على المحتاجين صدقة يتولون دفع تكلفتها للزمازمة[1].

ويشكل الزمازمة طائفة مستقلة عن بقية الطوائف الأخرى، ولهم شيخ يسمى «شيخ الزمازمة» يعدّ رئيس الطائفة وهو المكلف بحل مشكلاتها، ويتم تعيينه من لدن الملك عبدالعزيز، وتستوجب كل دعوى يستطيع شيخ الزمازمة حلها بين

(١) حسن عبدالحي قزاز. أهل الحجاز بعبقهم التاريخي، ط١ (جدة: مؤسسة المدينة للصحافة، ١٤١٥هـ) ص٨٧.

طائفته أن يرفع بموجبها تقريراً إلى رئيس لجنة إدارة الحج[١] .

ووظيفة الزمازمة سقي الحاج في المسجد الحرام من ماء زمزم وإيصاله إلى بيوت بعضهم ممن يرغب ذلك ، وقد يوقف بعض الحجاج سجاجيد للصلاة يتولى فرشها الزمزمي في أوقات الصلوات الخمس ليحفظها لديه[٢] ، ويستخرج ماء زمزم من البئر بواسطة الدلو ، ثم ينقل إلى الخلاوي الخاصة بالزمازمة والموجودة آنذاك داخل المسجد الحرام عن طريق القِرَب ، حيث يتم الاحتفاظ بماء زمزم داخل أوانٍ فخارية كبيرة تسمى الأزيار ، وبعد ذلك تملأ الدوارق الفخارية المرسوم على كلٍّ منها علامة خاصة يميز كل زمزمي عن الآخر استعداداً لتوزيعها على الحجاج في أماكن إقامتهم بمكة المكرمة بواسطة العمال ، حيث يتم ربط هذه الدوارق بالحبال ، وقد يصل مجموع ما يستطيع العامل حمله في المرة الواحدة إلى خمسة دوارق ، ويخصص دورق واحد مملوء بماء زمزم لكل اثنين من الحجاج يوميًا وفي مرحلة لاحقة تم استخدام العربات التي تدفع باليد لإيصال الدوارق إلى أماكن سكن الحجاج وكان للزمازمة أماكن خاصة بهم في الحصاوي الموجودة جوار المطاف ، حيث توضع الدوارق الفخارية لسقاية قاصدي بيت الله الحرام بماء زمزم . كما كان الزمزمي يجتمع بالحجاج المكلف بسقايتهم بجوار البئر وذلك بحضور المطوف ، حيث يتم التعارف والتبادل للأحاديث الودية بينهم[٣] .

وقد يختار بعض الحجاج إجراء سبيل في المسجد من ماء زمزم فيتولى سقاؤه تهيئة ذلك ، ومن حق المطوف توجيه من يقوم بخدمة حجاجه إلى السقاء الذي يختاره له من الطائفة نفسها ، وقد يكون لدى بعض الزمازمة تقارير من أمراء مكة

(١) «نظام إدارة الحج الزمازمة ووظائفهم»، أم القرى، العدد ١٠١ ، في ١٤/٥/١٣٤٥هـ، ص٣.

(٢) المرجع السابق.

(٣) فيصل محمد عبيد. زمزم والزمازمة (جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، ١٤١٥هـ) ص ص ١٣٦ - ١٣٧.

في سكان منطقة معينة من العالم الإسلامي عند ذلك لا يستطيع المطوف أن يختار الزمزمي الخاص بتلك المنطقة[١] . بهذا نرى أن العرف السائد بين الزمازمة هو النظام المتبع بينهم . وقد أخذت هذه الهيئة تتبلور خلال عهد الملك عبدالعزيز ، ومن خلال التطور الإداري للدولة تكونت بعض الأنظمة التي صاغت أوضاع الزمازمة وهيأت لهم مناخًا جديدًا وجعلت لهم حقوقًا وواجبات .

فلقد كانت الشكوى التي رفعت إلى لجنة إدارة الحج من لدن الزمازمة عاملاً مهمًا في تنظيم شؤون طائفة الزمازمة وتنسيق وترتيب أوضاعهم ، إذ قامت لجنة إدارة الحج بالاطلاع على الشكوى المقدمة من الزمازمة ضد وكيل شيخ الزمازمة ومن بعض هيئة الطائفة ، حيث تم فرض رسوم إضافية على المتعارف عليه بينهم من لدن وكيل شيخ الزمازمة ، وعندما علم وكيل شيخ الزمازمة بتقديمهم للشكوى منعهم جميعًا من مباشرة المهنة[٢] .

والواقع أن أساس هذه الشكوى ربما يكون ناتجًا عن أسباب عدة منها عدم وجود تعريفة رسمية تخول أخذ الرسوم وتحدده ، كذلك عدم وجود قواعد مقررة وأصول ثابتة تختص بالزمازمة .

ولذلك أرسلت لجنة إدارة الحج إلى شيخ الزمازمة تطلب منه تحديد المبلغ الذي يجب تقاضيه من كل زمزمي لوضع تعريفة رسمية يجرى العمل بمقتضاها إذا حازت على التصديق من المراجع العليا كما طلبت وضع قواعد تطبق في حق الزمازمة وتحفظ مصالحهم ومصالح الحجاج[٣] . وقد وصل إلى اللجنة قرار موقع

---

(١) حسين عبدالله عابد. مطوف (مقابلة شخصية)، وانظر كذلك محمد عمر رفيع. المرجع السابق، ص١٧٤ .

(٢) «تعليمات خاصة بجراري الزمازمة وصبيان الزمازمة». (ملف رقم ٢/ج/٦، معهد الإدارة العامة).

(٣) المرجع السابق.

عليه من شيخ الزمازمة ومن هيئته تحت عدد ٦ وتاريخ ٢/٨/ ١٣٥١هـ يحتوي على بيان ما تضمنه طلب لجنة إدارة الحج وبعد البحث رأت اللجنة أنه من الأنسب وضع تعليمات تختص بالزمازمة، ومثل ذلك تعليمات لصبيان الزمازمة وتعليمات توضح ما على رئيس طائفة الزمازمة وهيئته من حقوق وواجبات، وقد وضعت اللجنة تلك التعليمات وجعلتها مكونة من خمس عشرة مادة منقسمة إلى فصلين الفصل الأول بالزمازمة ويحتوي على عشر مواد، والفصل الثاني يختص بصبيان الزمازمة و يحتوي على خمس مواد[١]، ومن خلال دراسة تعليمات الزمازمة اتضح أنه يشترط لمن أراد الدخول في المهنة أن يكون سعوديًا لكي تكون له الأحقية في ممارسته المهنة، كما اتضح أن من يريد الدخول في سلك الزمازمة أن يقدم كفيلاً من معلمي الزمازمة إلى رئيس الطائفة وهيئته، وعليه أن يجدد كفالته سنويًا قبل حلول الموسم، أما الرسم المقرر سنويًا على كل واحد من الزمازمة فهو تسعة عشر قرشا أميريًا وربع القرش، وبذلك نجد أن هذه الشروط قد حددت من يدخل في المهنة ووضعت حدًا أمام الأشخاص غير المنتسبين للمهنة أن يدخلوا فيها، وذلك لكي تصبح المسؤوليات محددة ويصبح معروفًا من يدخل في هذه المهنة؛ نظرًا لأهمية هذه المهنة التي تتعامل مباشرة مع الحجاج[٢].

وقد تبين من خلال دراسة هذا النظام كذلك أن لا يكون للزمزمي فرش في المسجد الحرام. كما أن عليه أن يتعهد بعدم قبول الجرار السبل في الحرم الشريف وأن تكون دوارق الجرار نظيفة وماؤه مصفى، ولا يقوم الزمزمي بسقاية الحجاج في أماكنهم المعينة من لدن زمازمتهم في المسجد الحرام[٣]، وقد اشترط على الزمزمي أن يكون حائزًا على شهادة طبية رسمية بسلامة جسده من الأمراض

(١) المرجع السابق.

(٢) «تعليمات خاصة بحراري الزمازمة وصبيان الزمارمة»، (ملف رقم ٢/ ج/ ٦، معهد الإدارة العامة).

(٣) المرجع السابق.

السارية مدة خدمته في الزمزمية على الإطلاق ولا يسمح له بأن يشتغل في هذه المهنة إلا بعد حيازته لهذه الشهادة[١]، أما فيما يتعلق بصبيان الزمازمة؛ فإن الصبي في حرفة الزمازمة هو من يشتغل بصفة دائمة لدى معلم واحد مدة خمس عشرة سنة وإذا طلب الصبي بعد انقضاء المدة إخراجه معلمًا فلابد من أن يكون حائزاً على شهادة من معلمه بحسن أخلاقه وسلوكه مدة خدمته لديه. كما يشترط أن يكون الصبي حائزًا على شهادة طبية رسمية بسلامة جسده من الأمراض السارية مدة خدمته في الزمزمية ولا يسمح له بأن يشتغل في المهنة إلا بعد حيازته للشهادة المذكورة[٢].

والواقع أن هناك تشابها بين الشروط الواجب توافرها في صبيان المطوفين وصبيان الزمازمة وفيما يبدو أن مصدر هذا التشابه في هذه الشروط يكمن في أن عمل هذه الفئة ينحصر في المساعدة والمعاونة، ولذلك لم يكن هناك حاجة لوضع شروط متميزة لهذه الفئة.

ثالثًا ـ نظام الأدلاء[٣]:

إن الأدلاء يخدمون مصالح الحاج مدة إقامته في المدينة المنورة، وهم من أهل المدينة المنورة، وقد كان بعض هؤلاء الأدلاء معينون بموجب تقارير والبعض الآخر معينون من لدن المطوفين ومشائخ الجاوه بمكة المكرمة، وهم يتوارثونها عن آبائهم، وهم في ذلك ينقسمون إلى الأقسام نفسها التي ينقسم إليها المطوفون، فهناك أدلاء للحجاج الهنود وهناك أدلاء للحجاج الجاوى وهناك أدلاء لحجاج بقية أقطار

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) كان يطلق على الأدلاء اسم المزور، وهو الذي يقوم بإرشاد الحاج إلى الأماكن التي ينبغي له أن يزورها في المدينة المنورة شرعاً، حسين عبدالله عابد. مطوف (مقابلة شخصية).

العالم الإسلامي، فكان كل دليل يستقبل حجاج طائفته المختص بها[١].

ومن أهم وظائفهم وأعمالهم استقبال الحجاج وإنزالهم في منازل نظيفة والمحافظة على أمتعتهم وراحتهم مدة إقامتهم، ويعين رئيس الأدلاء من لدن الملك عبدالعزيز ويعدّ المرجع لجميع الأدلاء فيما يحدث بينهم من خلاف وإذا ما تعذر عليه إصلاح أية مشكلة يرفع أمرها لحاكم المدينة المنورة[٢]. ووظيفة الدليل في المدينة المنورة تشبه كثيراً وظيفة وكيل المطوف في جدة فالدليل في المدينة المنورة ينوب عن مطوفه الذي لديه وكالته في استقبال الحجاج في المدينة والقيام بتزويرهم المسجد النبوي وبعض الأماكن والمواقع الإسلامية، ثم ترحيلهم إلى مطوفهم في مكة المكرمة[٣]. وقد اطلع مجلس الشورى على نظام الأدلاء الوارد من المقام السامي برقم ٣٥٥٨ في ٥/ ٥/ ١٣٥٦هـ وقرر الموافقة على مواد النظام مع إدخال التعديلات اللازمة عليه[٤]. وقد تم إقرار هذا النظام بعد أن أرسل الملك عبدالعزيز إلى رئيس مجلس الوكلاء يطلب منه مراجعة نظام الأدلاء، خاصة فيما يتعلق بمسألة التوارث والتعصب[٥] بين الأدلاء، وقد طلب المقام السامي توضيح الاختلاف الذي حدث بين نظام الأدلاء في المدينة ونظام المطوفين بمكة في هذه المسألة واقتراح الأمر الذي يحل الإشكال[٦]. ثم أرسل الملك عبدالعزيز إلى رئيس

---

(١) هشام جميل أحمد إسماعيل. مطوف (مقابلة شخصية).

(٢) «نظام إدارة الحج: وكلاء المدينة المنورة»، أم القرى، العدد ١٠١، في ١٣٤٥/٥/١٤هـ، ص٣.

(٣) هشام جميل احمد إسماعيل. مطوف (مقابلة شخصية).

(٤) «وثيقة صادرة من مجلس الشورى»، رقم ٩٥، في ١٣٥٦/٦/٨هـ، (ملف رقم ٢/ ج/٢، معهد الإدارة العامة).

(٥) يقصد بالتوارث والتعصيب: توارث المهنة من الأب إلى أبنائه وعصبته.

(٦) «من ديوان الملك إلى رئيس مجلس الوكلاء»، وثيقة رقم ١٠٤/١/٥٤، في ١٥/ ١٣٥٦/١٠هـ، (معهد الإدارة العامة).

مجلس الوكلاء يطلعه بموافقته على قرار مجلس الشورى المتخذ حيال هذه النقطة[١]. وكان مجلس الشورى قد أعاد النظر في المواد الخاصة بالتوارث والتعصيب في كل من نظام المطوفين بمكة المكرمة ونظام الوكلاء في مدينة جدة فظهر أن التنظيم في المدينة المنورة لدى الأدلاء يختلف عن التنظيم لدى المطوفين في مكة المكرمة، وقد رأى مجلس الشورى أن من المصلحة أن تتمشى كل طائفة حسب التنظيم المناسب لها والمتعارف لديها قبل العهد السعودي، ذلك أن مجلس الشورى وجد أن لكل طائفة قواعد كانت تسير عليها من قبل العهد السعودي، وصدرت الأوامر العالية بالتمشي عليها. فقد قرر المجلس أن يبقى التعامل لدى طائفة الأدلاء في المدينة المنورة على ما كان عليه في السابق حسبما هو موضح في التعليمات المرفقة بقرار رقم ٩٥ في ٨/ ٦/ ١٣٥٦هـ[٢]. وعندما ننظر في نظام الأدلاء نجده يتكون من تسع وخمسين مادة، تناولت التعريف بالدليل وكيف يصبح الشخص الراغب في هذه المهنة دليلاً، وشمل كذلك التعريف لعدد من المصطلحات المتداولة بينهم كالتقرير والتمسك والسؤال والتبعية والسلخ[٣] والمعلم والصبي والملازم، ثم تعريف وشرح لماهية التقرير وشروط صحته. كما تم شرح الإرث في هذه المهنة والسؤال والقسمة بين الأولاد إذا مات أحد الأدلاء، وبعد ذلك تناول النظام كذلك بالشرح أحكام المعلمانية وبعض الأحكام العامة، وتناول كذلك طريقة انتخاب أعضاء هيئة الأدلاء كما تناول النظام بعض الأحكام الواجب التقيد بها من لدن رئيس الهيئة وأعضائها، ثم شرح النظام وظائف الأدلاء

(١) الوثيقة السابقة.

(٢) من مجلس الشورى إلى رئيس مجلس الوكلاء»، وثيقة رقم ٢٠٧، في ١٠/ ١١/ ١٣٥٦هـ، (ملف رقم ٢/ ج/ ٢، معهد الإدارة العامة).

(٣) هو الاقتطاع من بلدة مقررة بموجب تقرير أو أمر صدر من ولاة الأمور، انظر «نظام المطوفين العام»، المرجع السابق.

والمعلمين والصبيان والملازمين[١]. والمتتبع لهذا النظام يرى أنه قد شمل جميع أوضاع الأدلاء في المدينة المنورة، ونظّم علاقة بعضهم ببعض، ونظم الحقوق المكتسبة لكل دليل وكيفية التوارث بينهم، كما نظم علاقات الأدلاء بالحجاج القادمين إلى المدينة المنورة.

رابعًا ـ نظام الوكلاء:

يشترط عند وصول الحجاج إلى ميناء مدينة جدة أن يقفوا في منطقة تسمى «منطقة السؤال»، حيث تكون هناك هيئة تسمى هيئة السؤال في انتظارهم تشمل رئيس المطوفين ورئيس الوكلاء[٢]، وإذا كان الحاج قد أخطأ في نطق اسم المطوف وكان يتبع لأحد من أصحاب التقارير فإن هذه الهيئة تقوم بإرسال هذا الحاج إلى أصحاب التقارير[٣]، وهيئة رسمية تسأل الحجاج بلغاتهم عن أسماء مطوفيهم[٤] ويكون وكلاء المطوفين حاضرين لاستقبال الحجاج التابعين لهم إذ يتولون إسكانهم في بيوتهم التي يستأجرونها، ثم يتولون ترحيلهم وأمتعتهم إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة حسب رغبة هؤلاء الحجاج ومواعيد وصولهم[٥]، حيث يقومون بتوفير وسائل النقل اللازمة مع دفع أجرة ذلك[٦]، ولقد جرت العادة أن يبرق وكيل المطوف إلى المطوف بعدد الحجاج القادمين إليه ليستقبلهم خارج مكة أو يرسل من

---

(١) «من مجلس الشورى إلى رئيس مجلس الوكلاء»، وثيقة رقم ١٠٠٤٤، في ٢٤/ ١٠ ,١٣٥٦هـ، (ملف رقم ٢/ ج/ ٢، معهد الإدارة العامة).

(٢) حسين عبدالله عابد. مطوف (مقابلة شخصية).

(٣) محمد أمين إسماعيل سيف الدين. مطوف (مقابلة شخصية).

(٤) يقصد بالسؤال أول كلمة أو جملة يفضي بها الحاج لاختياره المطوف الذي يرغب من أبناء الطائفة، انظر «نظام المطوفين العام»، المرجع السابق.

(٥) محمد علي مغربي. ملامح الحياة الاجتماعية، ص ص ١٤٨ ـ ١٤٩.

(٦) أحمد يوسف خلف. النفحات الإلهية في البقاع الحجازية، (د. م، د. ن، د. ت) ص١٢.

يستقبلهم عنه[١]، وعمل الضيافة اللازمة لهم أما إذا كانوا من حجاج الجاوى فيقوم مطوفهم بعمل الضيافة لهم لمدة ثلاثة أيام[٢]. وكان الوكلاء في جدة يتنافسون على أخذ وكالات المطوفين الذين ترد لهم أعداد كبيرة من الحجاج، ويبذلون الأموال الطائلة للمطوفين لإعطائهم هذه الوكالات[٣]؛ وبالتالي فإننا نجد أن هناك وكلاء يختصون بكل منطقة من مناطق العالم الإسلامي وهم ينقسمون في ذلك إلى الطوائف الثلاث التي ينقسم إليها المطوفون والأدلاء فهناك وكلاء الجاوي، وهناك وكلاء الهنود، وهناك وكلاء لبقية مناطق العالم الإسلامي. وفي الوقت نفسه؛ فإن الوكيل قد يحصل على وكالة أكثر من مطوف من الطائفة نفسها[٤]، وعلى الرغم من هذا التقسيم فإن جميع الوكلاء يخضعون لرئيس واحد يسمى رئيس الوكلاء[٥]. واستكمالاً للاهتمام الذي كان يوليه الملك عبدالعزيز لجميع الهيئات التي لها علاقة بالحجاج في تنظيم أوضاعها وتنسيق أمورها وبتوجيهات منه فقد تم وضع نظام الوكلاء من لدن لجنة الحج العليا برقم ١٦٢ في ٢٨/ ٦/ ١٣٥٥هـ في ستة أبواب وخمسة فصول شملت ستًا وأربعين مادة، حيث تناول الباب الأول تعريف مفهوم المشيخة والشيخ، وقد تناول هذا الباب كذلك التوارث في المشيخة وحكم رعاية الأحفاد. كما تناول النظام بالتفصيل الانفصال بين الشركاء وتنظيمه بما يكفل حقوق كل شريك، وقد تناول النظام كافة الشؤون المتعلقة بالوكلاء كموضوع قسمة المصلحة والسؤال وحكم الشراكة في الاسم، وتعليق الحاج في

---

(١) محيي الدين رضا. رحلتي إلى الحجاز، ص ٣٢.

(٢) هذه الضيافة كان يقوم بها المطوف لجميع الحجاج لأنها تكون بمثابة الدعاية له، وخاصة عندما يعود الحاج لبلده ويخبر أهله وأصدقاءه عن حسن وفادة هذا المطوف له، محمد أمين إسماعيل سيف الدين مطوف (مقابلة شخصية).

(٣) محمد علي مغربي. ملامح الحياة الاجتماعية، ص ١٤٩.

(٤) هشام جميل احمد إسماعيل. مطوف (مقابلة شخصية).

(٥) حسين عبدالله عابد. مطوف (مقابلة شخصية).

السؤال على رفاقه وحكم تبعية الزوجة لزوجها والولد غير البالغ لوليه وفي حكم انتقال الحاج لشيخ غير مسؤول عنه[١]، ومن جهة أخرى؛ وفيما يتعلق بوضع نظام خاص لمشائخ الجاوى فقد قرر مجلس الشورى أن نظام المطوفين هو الأساس الذي يجب أن يسار عليه لدن كل الطوائف، وأن كل تعارض في نظام المطوفين من حيث التطبيق بالنسبة للطوائف المختلفة تقدم به لوائح خاصة تدرس لدى أمناء كل طائفة على أساس جوهر النظام المذكور، فما خرج عنه أو لم يذكر فيه بتاتًا ينظر فيه وفيما ينبغي إجراؤه نحوه، ويتم ذلك بعد موافقة النائب العام عليه ولذلك فقد رأى المجلس أن لا موجب لوضع نظام خاص لمشائخ الجاوي[٢]، ورُفِع هذا القرار إلى النائب العام في ١٥/ ٨/ ١٣٥٥هـ[٣]. وفي عام ١٣٥٧هـ أصبح هناك نظام موحد لكافة الوكلاء في مدينة جدة، فقد تم وضع تعليمات شملت جميع وكلاء المطوفين ومشائخ الجاوه في سبع عشرة مادة في ٢٦/ ٣/ ١٣٥٧هـ[٤]، ثم أعيد صياغة هذه التعليمات في ٢٨/ ٢/ ١٣٦٢هـ[٥]. وقد تبين من ناحية أخرى أن التعليمات التي اشتمل عليها قرار مجلس الشورى رقم ٣١ في ٥/ ٣/ ١٣٦٢هـ، والتعديلات التي اشتمل عليها القرار ٢١٨ في ٢٨/ ١١/ ١٣٥٩هـ ستكون كلها ملحقة بنظام الوكلاء الذي صدرت الموافقة عليه، وحيث إن إقرار ما جاء بالقرارين المنوّه عنهما سيجعل

---

(١) «من لجنة الحج العليا إلى نائب الملك»، وثيقة رقم ١٦٢، في ٢٨/ ٦/ ١٣٥٥هـ، (ملف رقم ٢/ ج/ ٥، معهد الإدارة العامة).

(٢) «وثيقة صادرة من مجلس الشورى»، رقم ٢١٨، في ١٢/ ٨/ ١٣٥٥هـ، (ملف ٢/ ج/ ٥، معهد الإدارة العامة).

(٣) الوثيقة السابقة.

(٤) «من مجلس الشورى إلى نائب جلالة الملك»، وثيقة رقم ٦٦، في ٢٦/ ٣/ ١٣٥٧هـ، (ملف رقم ٢/ ج/ ٥، معهد الإدارة العامة).

(٥) «من مجلس الشورى إلى نائب جلالة الملك»، وثيقة رقم ٥٩٦، في ٢٨/ ٢/ ١٣٦٢هـ، (ملف رقم ٢/ ج/ ٥، معهد الإدارة العامة).

تعليمات الوكلاء مجزأة في عدة قرارات فقد تم دمج ما اشتمل عليه القراران وذلك توحيدًا للنظام[١]. وقد صدر الأمر السامي رقم ٨/ ٤٥ في ٢١/ ١٠/ ١٣٦٥هـ بالموافقة على نظام وكلاء المطوفين ومشائخ الجاوه الذي جاء على فصلين، الفصل الأول: تعريف الوكالة والنقل والمعلمانية وأحكام التوريث والانفصال وتوزيع المصلحة، الفصل الثاني: الواجبات والأحكام العامة[٢]. ومن ضمن تعليمات الوكلاء التي كانت تصدرها الدولة خلال مواسم الحج أنه لا يجوز لأكثر من وكيل واحد أن يشتركوا في مكتب واحد؛ بل لابد أن يكون للوكيل مكتب خاص به وليقوم بأعماله مباشرة. كما أنه لا يجوز له أن ينيب عنه في أعمال الحجاج وكيلاً آخر إلا لوكيل ليس لديه وكالات تشغله عن القيام بهذا التوكيل، ويصبح مسؤولاً عن خدمة حجاجه وإنجاز مصالحهم في الدوائر المختصة سواء كانت في الدوائر الحكومية أو في الشركة أو في البنك أو في المفوضيات أو في أية جهة أخرى، أما الوكيل الذي يهمل حجاجه ولا ينظر في مصالحهم ويثبت ذلك عليه عن طريق مراجعة الحجاج للجهات المسؤولة؛ فإنه يكون معرضاً للجزاء ولمضاعفة ذلك الجزاء إذا تكرر منه ذلك[٣]. ويشترط على الوكيل أن يتخذ الأماكن اللازمة لسكن الحجاج وتجهيزها بالفراش والنور والماء الكامل والخدم، أما الذي يترك حجاجه في الشارع ولا يتخذ مقرًا لسكنهم يعاقب بحرمانه من مصلحة أولئك الحجاج لأول مرة، وإذا تكرر ذلك منه يضاعف عليه الجزاء، وهو مسؤول عن تعقيب الأشياء الضائعة لحجاجه سواء في مستودع المراقبة أو في الرصيف أو في بيوت الوكلاء

---

(١) «من مجلس الشورى إلى نائب جلالة الملك»، وثيقة رقم ٥٩٦، في ٢٨/ ٢/ ١٣٦٢هـ، (ملف رقم ٢/ ج/ ٥، معهد الإدارة العامة).

(٢) «من مجلس الشورى إلى نائب جلالة الملك»، وثيقة رقم ١٣٤، في ١١/ ١٠/ ١٣٦٥هـ، (ملف رقم ٢/ ج/ ٥، معهد الإدارة العامة).

(٣) «تعليمات الوكلاء». مجلة الحج، العدد الرابع، شوال ١٣٦٧هـ، السنة الثانية، مكة المكرمة، ص ص٨٩ - ٩٠.

وإذا ثبت وصولها إلى داره فهو مسؤول عنها، كما يجب عليه أن ينظم سجلاته، بحيث تحتوي على أسماء الحجاج وعلى جوازاتهم وبطاقاتهم وبيان دفعهم الرسوم نقدًا أو تحويلاً من الخارج ورقم التحويل، وعليه أن يطبع كمية كبيرة من البطاقات تحتوي على اسمه ومحل سكنه وتوزيعها على حجاجه ليهتدوا بموجبها عليه، وأن يضع إشارة خاصة لخدمه تكون مهمتهم الاهتمام بنظافة منازل الحجاج[١].

صندوق ديون وكلاء المطوفين بجدة:

لقد تم إنشاء لجنة من وكلاء المطوفين في مدينة جدة، تكون مؤلفة من رئيس وأربعة أعضاء، وتسمى هذه اللجنة باسم لجنة ديون وكلاء المطوفين بجدة، ويخصص لهذه اللجنة صندوق وكاتب وأمين صندوق[٢]. وهدف هذه اللجنة أن تتحصل من كل وكيل مديون على نصف أجرته المقررة التي على كل حاج بعد خصم قرشين منها أجرة الخدم وقرشين باسم أجرة برقيات وتحارير، وذلك في نطاق سداد ديون الوكيل. والواقع أن الأجرة المقررة للوكيل على كل حاج هي خمسة وعشرون قرشًا أميريًا؛ قرشان منها أجرة خدم، وقرشان أجرة برقيات وتحارير لصندوق اللجنة، وعشرة قروش وعشرون بارة لصندوق اللجنة، وعشرة قروش وبارتان تكون مصرفًا للوكيل وقوت عائلته. وعند انتهاء موسم الحج تقوم لجنة ديون وكلاء المطوفين بجدة بحصر ما جمع لكل وكيل من الوكلاء المدينين في صندوق الديون وتوزيعه على دائنيه. أما تسجيل الديون؛ فإنه بناء على أوامر الملك عبدالعزيز فقد تقرر أن من له دين وقع خلال السنوات التي تبتدئ من عام ١٣٤٥هـ حتى عام ١٣٤٩هـ يجب عليه أن يتقدم إلى جهة الاختصاص لتسجيله بعد إثباته أما الديون التي قبل عام ١٣٤٥هـ فبعد إثباتها بالوجه الشرعي وبعد

(١) «تعليمات الوكلاء». مجلة الحج، العدد الرابع، شوال ١٣٦٧هـ، السنة الثانية، مكة المكرمة، ص ص٨٩ - ٩٠.

(٢) «نظام صندوق وكلاء المطوفين»، (ملف رقم ٢/ ج/٥، معهد الإدارة العامة).

تسديد ديون السنوات المنوّه عنها ؛ فإنه ينظر في الإجراءات الواجب إجراؤها لتسديد الديون[١] .

خامسًا ـ نظام هيئة مراقبة الحجاج بجدة:

لقد تم تشكيل هيئة مراقبة شؤون الحجاج بجدة في عام ١٣٤٩هـ، وقد اشترط في رئيس الهيئة وأعضائها أن يكون لديهم العلم بالقراءة والكتابة . كما اشترط كذلك إلمام بعض أعضائها ببعض لغات الحجاج ، هذا وقد كانت هذه الهيئة مرتبطة في قرارتها ومراسلاتها بالحكومة بجدة[٢] . وقد تم تنسيق أوضاع هذه الهيئة ووضع نظام لها تكوّن من ثلاث عشرة مادة في ١٢/ ٦/ ١٣٤٩هـ، وقد شمل الفصل الأول تكوينات الهيئة ، أما الفصل الثاني فقد شمل أهم الوظائف الرئيسة لهذه الهيئة ، أما الفصل الثالث فشمل أعمال الهيئة المقدمة للحجاج منذ وصولهم إلى ميناء جدة وحتى نزولهم في المساكن المعدة لسكنهم[٣] ، وتقوم هذه الهيئة بمراقبة الحجاج عند نزولهم من البواخر والقيام بحفظ المفقودات لهم في أماكن خاصة بذلك ، حيث تسلم لأصحابها بعد أخذ الإيصالات اللازمة بها ، وتنبه على الوكلاء بواسطة النقباء بإنارة أماكن الحجاج وتنظيفها ووضع الأثاث المناسب فيها عند قرب قدوم الحجاج[٤] ، وتقوم الهيئة كذلك بالتنبيه على وكلاء الحجاج بعدم تنزيل ممتلكات الحجاج من السنابك[٥] إلى الميناء إلا بحضور الحجاج أنفسهم

---

(١) «نظام صندوق وكلاء المطوفين»، المصدر السابق.

(٢) «نظام هيئة مراقبة شؤون الحجاج بجدة»، في ١٢/٦/١٣٤٩هـ، (ملف رقم ٢/ج/١، معهد الإدارة العامة).

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) السنابك مفردها سنبوك. وهي زوارق صغيرة تنقل الركاب والبضائع من السفن الكبيرة التي ترسو في ميناء جدة إلى منطقة الجمرك، وذلك نظرًا لأن هذه السفن كانت ترسو بعيدًا عن الميناء.

أصحاب تلك الأمتعة والتأكد من عدم نقصها، وتسعى كذلك للتنبيه على شيخ الحُمَّال وطائفته بإحضار العمال اللازمين لنقل أمتعة الحجاج والمحافظة عليها[١].

كما أن من صلاحية الهيئة إشعار إدارة الصحة بنقل المريض من الحجاج أو من يموت منهم على الرصيف وبتطهير المظلة، كما تشعر دائرة الكنداسة[٢] بإحضار الماء في الأسبلة المعدة برصيف المحجر الصحي وبمظلة الحجاج التي أسستها الحكومة للحجاج، كما تقوم ملاحظة استيفاء الأجور المقررة حسب التعريفة الرسمية المعلنة من لدن الحكومة وملاحظة أسعار العملة[٣].

ونستطيع أن نقول إن كل مخالفة تراها هيئة مراقبة الحجاج بجدة فيما يتعلق باختصاصها من أي فرد أو جهة ذات علاقة بالحجاج بجدة ترفع بها تقريراً إلى الحكومة.

سادساً ـ نظام تسجيل المتوفين من الحجاج وضبط تركاتهم:

ومن الأمور التنظيمية التي اهتم بها الملك عبدالعزيز أمر المتوفين من حجاج بيت الله الحرام، فوضع نظامًا يبين واجبات المسؤولين عن أمور الحج لتتمكن الحكومة من معرفة هوية المتوفين والمحافظة على تركاتهم وتسليمها لورثتهم. وقد رأت الحكومة زيادة في الحيطة أن تتخذ تدابير في تسجيل الحجاج الذين يفدون إلى

---

(١) «نظام هيئة مراقبة شؤون الحجاج بجدة»، في ١٢/٦/١٣٤٩هـ، (ملف رقم ٢/ج/١، معهد الإدارة العامة).

(٢) دائرة الكنداسة هي الهيئة التي تقوم بالإشراف على تحلية المياه في مدينة جدة، ويسمى سكان جدة آلة تحلية المياه الكنداسة وهي مأخوذة من الكلمة Condenser ، وهي عبارة عن آلة خاصة لتكرير ماء البحر المالح فيعود عذبًا صافيًا، وتركب بجانب البحر فتكرر الماء وتقطره كالبخار فالماء الحلو المقطر يذهب إلى مواضع خاصة لاستعمال الناس والماء المالح المنفصل من الآلة يجري إلى البحر ثانيًا.

(٣) «نظام هيئة مراقبة شؤون الحجاج بجدة»، في ١٢/٦/١٣٤٩هـ، (ملف رقم ٢/ج/١، معهد الإدارة العامة).

بيت الله الحرام فأصدرت تعليمات خاصة تحتم على قلم الجوازات وعلى النقباء والوكلاء تسجيل أسماء الحجاج الذين يحضرون بموجب جوازاتهم وجنسياتهم، لكي يكون استلام الحجاج لدى وصولهم البلاد واستلامهم فيما بين الوكلاء والقائمين على أمورهم مستندًا إلى سجلات لا يمكن التلاعب بها[١].

وقد صدر الأمر السامي بالموافقة على نظام تسجيل المتوفين من الحجاج وضبط مخلفاتهم في ٢٨ ربيع الثاني عام ١٣٤٦هـ وهو يشمل ثلاثين مادة، تناولت التعريف بالمصطلحات المستعملة والمدلولات الموجودة في النظام[٢].

وقد تناول النظام التأكيد على المطوف بتدوين أسماء حجاجه في كشوفات خاصة به تحفظ لديه إلى حين طلبها من لدن الحكومة، حيث يكون المطوف مسؤولاً أمام الحكومة عن حجاجه وتقديم المعلومات اللازمة عنه، كما تسجل في كشوفات أخرى جميع منقولات الحاج[٣].

أما في حالة وفاة الحاج؛ فإنه يجب على المطوف أن يقوم بإعلام إدارة الصحة وبحصر تركات الحاج وذلك بوجود وريث أو وصي المتوفى، ثم يقوم المطوف كذلك بإخبار مأمور بيت المال بذلك أما في حالة أن المتوفى ليس له مطوف؛ فإن مأمور الشرطة والصحة والبلدية مسؤولون عن حفظ المخلفات وتسليمها إلى أقرب مركز شرطة[٤].

(١) «في سبيل راحة الحجاج»، أم القرى، العدد ٢٢٣، في ٢٥/ ١٠/ ١٣٤٧هـ، ص١.

(٢) «نظام تسجيل المتوفين من الحجاج وضبط مخلفاتهم» ، في ٢٨/ ٤/ ١٣٤٦هـ، مطبعة أم القرى، مكة المكرمة، (ملف رقم ٢/ ج/ ١٢، معهد الإدارة العامة).

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

ومن جهة أخرى؛ فإن مأمور بيت المال يقوم بقيد أسماء المتوفين من الحجاج في كشوفات يومية تدون فيها التفاصيل الخاصة بكل حاج متوفى، ثم يقوم بتسليم المخلفات وبحفظها في مخازنه، أما ورثة المتوفى فعليهم إثبات ادعائهم في المحكمة والتي بدورها تقوم بإثبات شرعية ادعائهم[١].

وقد اطلع مجلس الوكلاء على المواد الملحقة بنظام تسجيل المتوفين الأجانب ووافق عليها[٢]، وكان هذا الملحق قد صدر بناءً على اقتراح وزارة الخارجية رقم ١٥٣/ ١٤/ ١٠ وتاريخ ٦/ ٤/ ١٣٥٧هـ[٣]، المتضمن أن كثيرًا من الأجانب الذين يقيمون بهذه البلاد والمحتفظين بجنسيتهم الأجنبية يتملكون عقارات وأموال منقولة وثابتة فيها، ورغمًا من إقامتهم الدائمة بهذه البلاد واشتغالهم بالتجارة فيها إلا أنهم كانوا محتفظين بجنسيتهم الأصلية ويعدّون بالتالي أجانب في نظر الدولة طبقًا لنظام الإقامة[٤]، وبما أن الاتفاقات القائمة بين الحكومة السعودية والحكومات الأجنبية بخصوص تسليم تركات المتوفين للأجانب لا تشملهم لأنهم ليسوا من الحجاج الذين عنت بهم تلك الاتفاقات فقد أرفقت الوزارة مشروعًا ملحقًا بتنظيم تسليم تركات المتوفين من الأجانب في هذه البلاد من غير الحجاج[٥]. ولدى الرجوع إلى الملحق ومناقشة مواده، ومراجعة نظام تسجيل المتوفين من الحجاج وضبط مخلفاتهم، ظهر أنه لا يشمل الأجانب المقيمين بهذه البلاد من غير

---

(١) «نظام تسجيل المتوفين من الحجاج وضبط مخلفاتهم»، في ٢٨/٤/١٣٤٦هـ، مطبعة أم القرى، مكة المكرمة، (ملف رقم ٢/ج/١٢، معهد الإدارة العامة).

(٢) «قرار مجلس الوكلاء»، وثيقة رقم ٤١١، في ٧/ ١٠/ ١٣٥٧هـ، (ملف رقم ٢/ج/ ١٢، معهد الإدارة العامة).

(٣) «قرار صادر من مجلس الشورى»، وثيقة رقم ١١٦، في ٢٢/ ٥/ ١٣٥٧هـ، (ملف رقم ٢/ج/ ١٢، معهد الإدارة العامة).

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

الحجاج، وقد تمت الموافقة على هذا الملحق بعد إجراء التعديل اللازم عليه[١]. وقد كان يتم إضافة بعض المواد التي يرى أهمية ضمها فقد ألحقت مادة في سنة ١٣٥٨هـ بالنظام كما سبق أن ألحقت به مواد في سنة ١٣٥٥هـ وسنة ١٣٥٦هـ وسنة ١٣٥٨هـ[٢].

سابعًا ـ نظام دخول المعتنقين الدين الإسلامي للحرمين الشريفين:

لقد كانت منطقة الحجاز منذ القرن السادس عشر الميلادي تتعرض لقدوم بعض الرحالة الغربيين وكان منهم من يدعي الإسلام ويتسمى بأسماء إسلامية، وهدفهم من ذلك تسهيل مهمة دخولهم إلى الأراضي المقدسة لدراسة الحج بكافة جوانبه الشرعية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وهم في ذلك تدفعهم دوافع استعمارية وتنصيرية متعددة[٣].

وقد حرص الملك عبدالعزيز على منع هؤلاء من دخول الأراضي المقدسة، وللتمييز بينهم وبين الحجاج الأجانب الذين يعتنقون الدين الإسلامي ويرغبون في دخول الحرمين الشريفين لأداء فريضة الحج فقد رفعت وزارة الخارجية مشروع النظام إلى الملك عبدالعزيز برقم ١٦٥/ ٢/ ٤ وتاريخ ١٦/ ٦/ ١٣٥٦هـ وقد صدر الأمر السامي بالموافقة برقم ٢٩/ ٨/ ١٢ في ١٨/ ٧/ ١٣٥٦هـ[٤].

وقد تقرر أنه يجب على كل من اعتنق الإسلام حديثًا وقدم إلى جدة بقصد الحج أو

---

(١) المرجع السابق.

(٢) «من مجلس الشورى إلى نائب الملك»، وثيقة رقم ١١٠، في ١/٦/١٣٥٨هـ، (ملف رقم ٢/ج/١٢، معهد الإدارة العامة).

(٣) انظر حول رحلات هؤلاء الرحالة روبن بدول. الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية (الرياض ١٤٠٩هـ) ترجمة عبدالله آدم نصيف.

(٤) «من وزارة الخارجية إلى نائب الملك»، وثيقة رقم ١٦٥/٢/٦، في ٢٣/٧/١٣٥٦هـ، (ملف رقم ٢/ج/ ٤، معهد الإدارة العامة).

الاعتمـار أو زيارة المدينة المنورة إبراز الوثائق المثبتـة ادعاءه إلى الهيئة الدينيـة لها، وتشكل الهيئة الدينية فـي جدة، التي يحق لها النظر في شهادات معتنقي الإسلام أو اختبار معتنق الإسلام الذي لا يحمل شـهادة ما من رئيس المحكمة الشـرعية بجدة، ورئيس هيـئة الأمر بالمعروف والنهـي عن المنكر، وأحد العلماء الـذين ترى الحكومة كفـاءتهم للقيـام بالعمل المقصـود. وإذا رغب في دخول أحد الحـرمين عليه أن يقدم للهـيئة الدينيـة المعينة من لدن الحكومة في جدة الشـهادات المصدقة من الجهـة التي اعتنق الإسلام أمامهـا. أما الشخص الذي يحمل شهادات مصدقة من هيئة إسلامية عليا معتبرة في البلاد الإسلامية الأخرى أو من أحد كبـار العلماء المسلمين المعروفين لدى الحكومة يحق له دخـول الحرمين الشريفين بعد التـصديق على شهادة إسـلامه من الهيئـة الدينية في جدة. وفي حالة عـدم حمله هذه الشهادة ينظر في طلبـه من لدن الهيئة الدينية، ويظـل مدة خمسة عشـر يومًا في جدة رهن الاختـبار حـتى إذا صح ادعاؤه وثبت إسـلامه يرخص له بدخـول الحرمين الشريـفين بعد إخراج إعلام المحكمة الشرعيـة بجدة باعتناقه الدين الإسلامي[1]. وقد احتفظت الحكومة السعودية في أحقيتها المطلقة في عـدم التصريح بدخول الحرمين الشريفين لمن تشتبه في أن لهم أغراضًا سياسية أو عسكرية أو غيرها[2].

ثامنًا ـ التعليمات الخاصة بالحجاج المشاة:

كمـا اهتم الملك عـبدالعزيـز بالحجاج الذيـن يسافرون مـشيًـا على الأقدام للمـدينة المنورة، وكان أغلبهم من الحجاج الفقراء من دولة نيجيريا الذين كانوا تحت رعاية مطوفهم في ذلك الوقت بكر شرف[3]، حيث تواجه هذه الفـئة مشكلات عدة، منها ما قـد يصيبهم من الأمراض من جراء ضربات الـشمس أو ما قد يتعرضون له من الجـوع والعطش والتيه

(١) «نظام دخول المـعتنقين الدين الإسـلامي الحنيف للحرمين الشـريفين»، (ملف رقم ٢/ج/٤، معـهد الإدارة العامة).

(٢) المرجع السابق.

(٣) حسين عبدالله عابد. مطوف (مقابلة شخصية).

والضيـاع في البادية أو اعتداء الحـيوانات المفترسـة، لكن ذلك لا يمنع أن يذهب بعض من الحجاج وخاصة من دولة سوريا إلى عرفات ومزدلفة مشيًا على الأقدام، وفي اعتقادهم أن ذلك يكسـبـهم الأجـر والثـواب، ولـم يـكـن يمانع المطوف في ذلك؛ بل ويـقـوم برد المال المخـصص للنقل، إضافـة إلى ذلك فإن المطـوف يقوم بجـمع الحجـاج الذين يرغبـون في السفـر مشـيًا على الأقـدام ويرسل معـهم أحد صـبيانـه ومعهم بيـرق مكتوب علـيه اسم المطوف ليتم التـعرف عليهـم إلى أن يصلوا إلى مخيـمهم[1]. وقد بذل منذ عام ١٣٤٥هـ جهـود لتنظيم انتـقال الـحجاج الفـقراء الذين يريدون السـفر من جـدة أو ينبع إلى المدينة المنورة مشيًـا على الأقدام، وذلك سعيًا للـحفاظ على حياة هؤلاء الـحجاج من الهلاك في الصحراء، وحـفاظًا كذلك على قدرتهم وطاقتهـم لكي يؤدوا نسكهم براحة ويسر، إذ إن هؤلاء الحجاج كـانوا لا يحتاطون لأنفـسهم في سفرهم إلى المدينة المنورة. وقـد أمر الملك عبـدالعزيز أن يخطر كل حاج من الحجـاج المشاة بهذه المصـاعب، كما أنه قد أمـر باتخاذ الاحتـياطات الممكنة لذلك والتـي كان منها إقـامة دوريات أمنيـة بين المراكز المختـلفة في الطريق بين مكة المكرمة والمدينة المنورة سواء كـانت هذه الدوريات من الهجانة أو بواسطة السيـارات، ويوضع لهذه الدوريات نظام خـاص، بحيث يحـتم على أفرادها أن يجـتازوا طريق مكة المكرمة ـ المدينـة المنورة بأكمله في كل يوم[2]. وفي الوقت نفسه تكون وظائف هذه الدوريات إعانة المنقطعين من الحجـاج وإعلام السلطات عن الذين ينقطعون منهـم أو المرضى أو المتوفين أو غير ذلك. كـذلك كان من ضمن الترتيبات إجبـار سائقي السيارات في طريق مكة المكرمة والمدينة المنورة علـى الوقوف، وذلك عند مشاهدتهم حاجًـا منقطعًا أو محتاجًا إلى الماء لإمـداده بما يحتاج إليه[3]. ولقد صدرت التعليمـات الخاصة بالحجاج

(١) محمد أمين إسماعيل سيف الدين. مطوف (مقابلة شخصية).

(٢) «في سبيل راحة الحجاج» ، أم القرى، العدد ٢٢٣، في ٢٥/ ١٠/ ١٣٤٧هـ، ص١

(٣) أم القرى المرجع السابق.

المشاة بقـرار من مجلس الشـورى رقم ٥٦٦ في ١٢/ ٩/ ١٣٥٠هـ بناءً على طلب النائب العام للملك[١].

وقد طالبت هذه التـعليمات الحـاج الفقيـر الذي يريد الذهاب للمدينة المنورة مشـيًا الحصول على الرخصـة الرسمية من مطوفه الذي تعطى له من وكالة المالية ليـعرضها على الجنود في المراكـز الأمنيـة في الطريق بين مكة المكرمـة والمدينة المنورة. كـما فـوَّضت هذه التعليـمات إمارة المدينة بالبـحث عن الذين لا يحملون التصـريح الرسمي ومعرفـة سبب ذلك، كما نصت هذه التعليمات أن على المطوف وشيخ مـشائخ الجاوي إذا فقد حاجًا من حجـاجه وذلك إذا سـافر دون علمـه أن يخبـر مديرية الشـرطة في مـدة لا تتجاوز أربـعًا وعشرين ساعة، أما الحجاج الفـقراء المعفون من الرسوم إذا أرادوا السفر إلى المدينة المنورة مشيًا، فـيكون سفرهم جماعة ويعطى لهم فسح من شـيخ المطوفين بعد تعيين رئيس منهم عليهم، أمـا الحاج الذي يحصل على رخصـة السفر مـشيًا ويوجد راكـبًا في طريق المدينة المنورة فكان على مأموري المراكز استحـصال رسم الكوشان المقرر عليه منه وإعطاؤه سندًا باستلام المبلغ الذي تقاضاه[٢].

هذا وقد ناقـشت هيئـة الحج بالاشتراك مع مـدير وكالة الماليـة العامة اقـتراح رئيس المطوفين وهيئتـه الخاص بالحجاج الراغبين في السفـر مشيًا[٣]، وقد توصل المجتمعون إلى عدم السـماح للحـاج بالذهاب مشـيًا إذا لم يحمـل تذكرة تصرح له بذلك وعـلى المراكز إرجاع من يجدونه غير حامل لهذه التـذكرة، وعلى المطوف أن يبلغ الشرطة إذا فقد حاجاً

(١) «قرار من مجلس الشورى بناء على طلب نـائب الملك»، وثيقة رقم ٧٥٨ في عام ١٣٥٠هـ، (ملف رقم ٢/ ج/ ٧، معهد الإدارة العامة).

(٢) «تعليمـات الحجاج المشاة»، وثيـقة رقم ٥٦٦، في ١٢/ ٩/ ١٣٥٠هـ، (ملف رقم ٢/ ج/ ٧، معـهد الإدارة العامة).

(٣) «التعليمات الخاصـة بالحجاج الذين يذهبون للمدينة مشيًا»، هيـئة الحج، (ملف رقم ٢/ ج/ ٧، معهد الإداة العامة).

ولم يأخذ الرخصة المنوّه عنها خلال أربع وعشرين ساعة إلى ثمان وأربعين ساعة(١).

إن الحقيقة التي لا يمكن أن نتجاهلها أو نهملها كثرة شكاوى الحجاج ونداءاتهم لولاة الأمور بما كانوا يعانونه من صعاب وعقبات كانت تقف أمام أدائهم للمناسك بالشكل المطلوب. وكما ذكرنا في مكان سابق حول الأسباب التي دعت الملك عبدالعزيز أن يضم الحجاز، فلقد كان من الأولويات التي شجعته على ذلك تلك الشكاوى التي كانت ترفع له من أهل الحجاز وتطالبه برفع الظلم عنهم، وتطلب منه التدخل لحماية الحجاج نظرًا لزيادة حدة الأوضاع السيئة في المنطقة على كافة الأصعدة والمستويات(٢).

وفي رأي الباحث أن قيام الملك عبدالعزيز بتثبيت دعائم الأمن في جميع أرجاء البلاد كان سببًا رئيسًا لتفرغه فيما بعد للاهتمام بتطوير الدولة وتحديثها ذلك أن استتباب الأمن يعدّ عاملاً مهمًا للتطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لأية دولة.

وهكذا نجد أن الأوضاع المتعلقة بمرافق الحج وخدماته التي كانت سائدة قبل العهد السعودي في المنطقة لم تكن منظمة مما أدى إلى تردي تلك المرافق والخدمات؛ بل إن الملاحظ أن معظم الهيئات المعنية بالحج كانت تسير بمقتضى الأعراف السائدة والتقاليد المتبعة بينهم وهي التي تحكم تعاملهم مع الحجاج، وبهذا نرى أن المصلحة قد جُعلت في صف تلك الهيئات، إضافة إلى ذلك؛ فإن عدم وجود السلطة القوية القادرة على تطبيق النظام كان من أسباب الفوضى التي كانت سائدة بين السلطة الحاكمة وطوائف الحجاج، وبين هذه الطوائف والحجاج أنفسهم.

لذا؛ اتجه الملك عبدالعزيز منذ دخوله الحجاز نحو إجراء التطوير والتغيير المناسب لمرافق الحج وخدماته من خلال وسائل متعددة قامت على تحديث وتطوير الأنظمة الإدارية المتعلقة بالحج، ونتج عن هذا التطوير والاهتمام ـ كما رأينا في هذا الفصل ـ بناء القاعدة التنظيمية الإدارية لمعظم مرافق الحج وخدماته.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) «وثيقة مجهولة الكاتب، مرسلة إلى الملك عبدالعزيز من المدينة المنورة»، في ٤٣/٢/١٣٤٣هـ.

الفصل الثالث

الخدمات الأمنية خلال موسم الحج

أولا ـ الوسائل الأمنية في موسم الحج.

ثانيا ـ الأمن في طرق الحج.

ثالثاً ـ الأمن في المشاعر المقدسة.

رابعًا ـ الأمن في المدن الرئيسة في الحجاز.

أمن الحج قبل العهد السعودي:

كان الوضع الأمني العام في بلاد الحجاز خلال حكم الأشراف يتسم بالاضطراب وذلك لتنازع الأشراف وقوة وضعف من يتولى منصب أمير مكة[١]. ونتج عن ذلك عدم استقرار الأوضاع الأمنية في المنطقة في تلك الفترة وتدهورها، ولم تصل إلى ذلك المستوى الذي يوفر المناخ الملائم للحجاج لكي يؤدوا فريضتهم بكل اطمئنان. وقد كان من ضمن المهمات المنوطة بالأشراف استقبالهم للحجاج في مكة، وتوفير الوسائل والخدمات التي تعينهم على تأدية الفريضة والنسك بكل سهولة وراحة؛ وبالتالي فإن توفير الحماية والاحتياجات الأمنية للحجاج في مقدمة المهام التي كُلّف بها الشريف من لدن الدولة العثمانية بوصفه أميرًا على الحجاز[٢]. ولكن في حقيقة الأمر لم يستطع هؤلاء الحكام توفير هذه الخدمة للحجاج رغم أهميتها، ولم يستطيعوا الوفاء بالالتزامات الأمنية، ولم تكن السياسات الأمنية كافية لتغطية كافة المتطلبات الأمنية التي يحتاجها الحجاج. فقد ذكر محمد صادق صاحب كتاب موكب الحج أنه في موسم حج عام ١٣٠٢هـ عندما كان في مكة في عهد عثمان باشا نوري، قد شاهد اثنين من حجاج الأتراك القادمين من طريق المدينة المنورة يشكوان من الجمَّالة، حيث قدما معهم من المدينة المنورة لأداء الحج ولما وصلوا بهما إلى منطقة تقع ما بين رابغ ومكة انفردوا بهما وضربوهما وسلبوهما وتركوهما عاريين حافيين وشجوا رأس أحدهما، وعندما وصلا إلى مكة عرضا حالهما على الوالي في ذلك الوقت الذي تأسف عليهما ورفق بهما ووعدهما بالنظر في أمرهما بعد النزول من عرفات[٣].

---

(١) أحمد السباعي. المرجع السابق، ج٢، ص٩٩.

(٢) انظر نص فرمان تولية إمارة مكة إبراهيم رفعت. المرجع السابق، ج٢، ص ص ١٩١ ـ ١٩٥.

(٣) محمد صادق. موكب الحج في سفر المحمل بحرا وسيرا وبرا، ط١ (القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٣٠٣هـ) ص١٨ ـ ١٩.

ولم يتحسن الحال في المنطقة في السنوات التي تلت السنة فقد استمر الوضع الأمني متدهوراً، ولم يشهد أية محاولات جادة لإصلاحه، ففي بداية سنة ١٣٢١هـ قدم بعض الرحالة وصفًا كاملاً لسوء الأوضاع الأمنية وترديها في المنطقة وخاصة في الطرق المؤدية إلى المدن الرئيسة في الحجاز كالطريق من جدة إلى مكة المكرمة[١]، وقد تحدث عن المعاناة التي يعانيها الحجاج كثيراً من جراء هجوم قطاع الطرق عليهم؛ وبالتالي فإن تدهور حالة الأمن قد شمل المنطقة بأكملها بما في ذلك طرق الحج فلا يستطيع الحاج اجتياز الطرق إلا في حماية جهة قوية تحميه من القتل والنهب[٢].

إلا أن معاناة منطقة الحجاز كثيراً من اضطراب الأمن وتذبذب مستوياته كان واضحًا وجليًا في فترة حكم الشريف حسين ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م-١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م، سواء كان هذا الاضطراب في داخل المدن أم خارجها، ففي داخل المدن عانى الأهالي من عدم استقرار الوضع الاقتصادي فقد أثقل الشريف حسين كاهل الحجازيين والحجاج بالضرائب التي فرضها عليهم، ولم يسع إلى توفير مستويات المعيشة المناسبة لسكان المنطقة حيث وصلت صفيحة الماء التي تباع للحجاج بجنيه إنجليزي، كما كانت صور الظلم والتفرقة موجودة بكافة أوجهها[٣].

أما في خارج المدن فلم يكن الحال جيداً، إذ لم تتوافر للحجاج الحماية على أرواحهم وعلى تأمين وصول قوافلهم دون أية مشكلات أمنية، بل وجدت سيطرة القبائل على طرق الحجيج وفرضهم المكوس والضرائب أو القتل والسلب[٤].

لقد كان الناس في حالة يرثى لها من الشتات والفرقة والتنازع على الأرض ولقمة

(١) إبراهيم رفعت. المرجع السابق، ج٢، ص٧٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) عبدالعزيز الأحيدب، المرجع السابق، ص٥١.

(٤) إبراهيم رفعت. المرجع السابق، ج٢، ص ص ٢١٠ - ٢١٣.

العيش، وكان الإنسان لا يأمن على نفسه وأهله وماله أثناء سفره من مكان إلى مكان[١].

والحقيقة أن أهم المشكلات التي كان يعاني منها الحجاج أثناء رحلتهم إلى بيت الله الحرام، نستطيع أن نحصرها في الرسوم العالية التي كانت تؤخذ منهم عند وصولهم، إلى المدن الحجازية، وكذلك في أجور الجمال المرتفعة التي كانت ترفع أحيانًا وتنخفض أحيانًا على حسب مطامع الأمراء والولاة، وكذلك في تعديات الأعراب أثناء سفر هؤلاء الحجاج إلى المدينة المنورة والعودة منها، وأخيرًا في المعاملة السيئة التي يلقاها الحجاج من المطوفين[٢].

وقد تغيرت الأوضاع الأمنية كثيرًا عندما دخلت المنطقة تحت حكم الملك عبدالعزيز الذي استطاع أن يفرض سيطرته الكاملة على المنطقة وأن يرسي قواعد الأمن التي كانت شبه مفقودة، وأن يقدم خدمات متعددة أسهمت في استقرار المنطقة.

ومما لا شك فيه أن الغاية التي كانت تستهدفها خدمات الأمن التي سعى الملك عبدالعزيز لتحقيقها هي حفظ النظام في المنطقة والقضاء على الجرائم وتعقب المجرمين وإعطاء الحرية التي كلفها الشرع لكافة أهالي المنطقة. كما أن مهمة رجال الأمن كانت تهدف إلى المحافظة على حياة الناس وأموالهم، وإلى تنظيم حركة المرور بين وسائط النقل والمارين، وإلى جباية الرسوم، إضافة إلى الواجبات الإدارية والعدلية والقضائية والخُلقية[٣]. كما كان من مهمات رجال الأمن تيسير سبل الراحة لأولئك الذين يفدون من جميع أقطار المعمورة ليؤدوا مناسكهم، وحفظ النظام بين الحجيج، ورد ضائعاتهم،

---

(١) فالح الشراخ. مسن في الخرمة يتحدث عن تجاربه في الحياة، جريدة الرياض، العدد ٩٨٩٩، السنة الثانية والثلاثون، الثلاثاء ٥/٣/١٤١٦هـ، ص٨.

(٢) سليمان عبدالغني مالكي؛ سعد الدين أونال. المرجع السابق، ص٥٢.

(٣) علي جميل. «الغاية التي تستهدفها خدمات الأمن»، المنهل، السنة ٨، الجزء ١١ و١٢، ذو القعدة وذو الحجة، ١٣٦٧هـ، ص ص ٤٣٣ - ٤٣٤.

وإسعاف مريضهم، وتنظيم شؤون حركاتهم في حلهم وترحالهم[1].

لقد سعى الملك عبدالعزيز إلى تحقيق الأمن في جميع المناطق التي ضمها ووحدها، ولذلك قام بوضع ترتيبات أمنية عديدة كان الهدف منها سلامة الأرواح والأعراض والأموال وخاصة في منطقة الحجاز؛ لأنها مقصد جميع المسلمين خلال مواسم الحج، ولقد تنوعت خدمات الأمن المقدمة للحجاج خلال مواسم الحج بحيث شملت كافة الأماكن والمناطق التي يرتادها الحجاج والتي كانوا في العهد السابق للعهدالسعودي يعانون من عدم وجودها. وكان من أهم الخدمات الأمنية التي قدمت للحجاج تلك التي قدمت لهم في طرق الحج، والتي كانت قديمًا المصدر الرئيس لكافة المتاعب الأمنية والقلق العصبي والنفسي الذي عانى منه سكان المنطقة والحجاج على حدٍّ سواء والتي عجز السابقون لحكم الملك عبدالعزيز عن السيطرة عليه سيطرة تامة وكاملة، حيث كانت سيطرة بعض الحكام في بعض الأحوال والأوقات سيطرة جزئية أو وقتية، وذلك بإرسال فرق عسكرية ترافق قوافل الحجاج والمسافرين، وبالتالي لم يكن هناك اقتلاع لجذور الجريمة والسرقة من المنطقة. كما أن قيام الملك عبدالعزيز بتوفير الأمن داخل المدن الرئيسة في الحجاز أدى إلى هدوء الأوضاع فيها وإلى تمتع سكان هذه المدن والحجاج بمناخ أمني كان عاملاً مهمًا ساعد في نشر الأمن في المشاعر المقدسة.

أولاً ـ الوسائل الأمنية في موسم الحج:

لقد أدرك الملك عبدالعزيز أن إيجاد الأمن وتطبيقه لابد أن تتوافر له وسائله وإمكاناته، إذ لا يمكن تطبيق الأمن ونشره بدونها، إلا أنه قد وضع أمام عينيه أن هذه الوسائل لابد لها من شروط حتى يكتب لها النجاح، ولعل من أهمها أن تكون هذه الوسائل موافقة للمبادىء الإسلامية الأصيلة، كما أنه قد استخدم وسائل أمنية لاقت

---

(١) علي جميل. «الغاية التي تستهدفها خدمات الأمن»، المنهل، السنة ٨. الجزء ١١ و١٢، ذو القعدة وذو الحجة، ١٣٦٧هـ، ص ص ٤٣٣ ـ ٤٣٤.

القبـول والاستحسـان من السكان ولـم تكن غريبة عنهم، إضـافة إلى أن استخـدامه لتلك الوسائل كانت بطريقة مقنعة غير منفرة ليتم إقناع السكان بها.

أ ـ الوسيلة الأولى : تطبيق الشريعة الإسلامية.

لقد قام الملـك عبدالعزيز بتطبيـق الشريعة الإسلامـية وأحكامها في مخـتلف شؤون الدولة منذ بداية توحـيد المملكة العربيـة السعودية، وأصـبحت هي المصدر الوحـيد الذي استـمد منه دسـتور الدولة، ونظرًا للاخـتلال الذي حـدث في الموازين الأمنية فـي الجزيرة العربـية وفي منطقـة الحجاز في السـابق، فقـد قام الملك عـبدالعـزيز بعدة إجراءات أمـنية وأصدر عـدة قوانين كـانت جميـعهـا مشتـقة من الدين الإسـلامي الذي كان هو السـبيل الوحيد في إخراج الحجاز من حالة الفوضى وانعدام الأمن إلى الاستقرار والهدوء، حيث كان لهـا الأثر في سيـادة الأمن والنظام في أنحـاء الحجاز خـلال وقت قصـير، وقـد كان الحجاج في مـقدمة المستـفيدين من ذلك[1]. كما كـان القضاء القائم على تطبـيق الشريعة الإسلاميـة هي القناة الشرعية لإقـامة الحدود الإسلاميـة، فأصبحت كل الجرائم الصـغيرة والكبيرة تحال إلى القضاء الشرعي فيصـدر فيها الحكم العادل، ثم تتولى إدارة الأمن تنفيذ ذلك الحكم مما أدى إلى تضـاؤل حوادث الإجـرام. وقد اهـتم الملك عبـدالعزيز بأوضـاع المحـاكم ففي اليـوم الرابع من شـهـر صفـر عـام ١٣٤٦هـ صدر المرسـوم الملكي المتـعلق بأوضاع المحاكم الشرعية وتشـكيلاتها، الذي يعدّ ناسخًا للتعليمات العثـمانية وملغيًا لها، وكان الفصل الأول منه في تشكيل المحـاكم الشرعية ووظائفهـا ويقضي بأن تنشأ في مكة المكرمـة والمدينة المنورة وجـدة مـحكمـة الأمـور المسـتعـجلة الأولى، ومـحكمـة الأمـور المستعجلة الثانية، والمحكمة الشرعية الكبـرى ونص على أن تؤلف هيئة للمراقبة القضائية

---

(١) حسن عبدالحي قـزاز. الأمن الذي نعيشه، ج١، ص٣٣، وانظر حامد غنيم أبوسعـيد. الحج في عهد الملك عبدالعزيز الأماكن المقدسة والرجل الأمين، ندوة العـلاقات المصرية السعودية في النصف الأول من القرن العشرين، ١٩٨٧م/ ١٤٠٧هـ، جامعة الزقازيق ورابطة الجـامعات الإسلامية، ١٤١٠هـ، المجلد الثالث، ص١٥٣.

تكون وظيفتها الإشراف على سائر المحاكم الشرعية والتفتيش من حين إلى آخر وسير القضايا[١].

ب ـ الوسيلة الثانية : سعيه لاكتساب ثقة الناس

ومن ضمن الوسائل الأمنية التي قام بها الملك عبدالعزيز سعيه لاكتساب ثقة الناس[٢]، تلك الثقة التي حصل عليها من خلال قيامه بأمور متعددة أسهمت كثيراً في وجودها، ولعل من أهم هذه الأمور تطبيقه للشريعة الإسلامية، في كل الأمور الدينية والدنيوية. هذا الإعلان عن تطبيق الشريعة الإسلامية لم يكن كلاماً نظريًا، بل صاحبه التطبيق العملي للشريعة الإسلامية وإقامة الحدود بشكل صريح ومعلن، كما أن هذا التطبيق للشريعة الإسلامية وحدودها كان شاملاً مما أدى إلى زيادة الثقة وتوطدها. وكان من أسباب زيادة الثقة قيام الملك عبدالعزيز بتأمين الناس على أرواحهم أثناء فترة توحيد المملكة العربية السعودية فما من منطقة استطاع دخولها وضمها إلا وأعلن لسكانها الأمان لهم وعلى أرواحهم وأموالهم وأعراضهم[٣].

وهذا كان عاملاً قويًا في ترحيب مناطق عديدة بقدوم الملك عبدالعزيز إليها والدخول تحت حكمه سلمًا. ومن أسباب اكتساب الثقة كذلك قيام الملك عبدالعزيز بتطوير البلاد تطويرًا تدريجيًا دون أن يحدث ذلك اختلال في عادات المجتمع السعودي وتقاليده، فكان ذلك سببًا للقضاء على الفوضى والجريمة والرعب والقلق الذي كان سائدًا في السابق. إن هذه الأسباب جميعًا جعلت الثقة متبادلة بين الملك عبدالعزيز وبين أفراد

(١) حسن عبدالله آل الشيخ. التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية، ط١ (جدة: تهامة، ١٤٠٣هـ) ص ص ٣٤ ـ ٣٥.

(٢) حسن عبدالحي قزاز. الأمن الذي نعيشه، ج١ (جدة: دار العلم للطباعة والنشر، ١٤٠٩هـ) ص٣٦.

(٣) كانت تلك سياسة الملك عبدالعزيز مع جميع المناطق فعندما سيطر على منطقة الأحساء أمر مناديًا يقول: الملك لله ثم لابن سعود من أراد السلامة يلزم مكانه. انظر أمين الريحاني. تاريخ نجد الحديث، ص٢٠٩.

شعبه ولاشك أن هذه الثقة ساعدته كثيراً في مساعيه التي قام بها لنشر الأمن والقضاء على الجريمة وأسبابها.

ج ـ الوسيلة الثالثة : نشر التعليم في الدولة.

لاشك أن الثقافة والعلم تهذب كثيراً من أخلاق الإنسان، وأن التعليم له دور في استقرار المجتمعات وتحولها من البداوة إلى المدنية والحضارة، ومن هذه الركيزة انطلق الملك عبدالعزيز في نشر التعليم والعلم في كافة أنحاء المملكة العربية السعودية هذا الانتشار الذي جعل أهالي هذه البلاد يخرجون من دائرة الظلام إلى دائرة النور وأعطى تحولاً حضارياً للمجتمع السعودي بصفة عامة وساعد بصفة خاصة المجتمعات القبلية على الاستقرار، التي أصبحت بدورها عاملاً فعالاً في استقرار الأوضاع الأمنية في البلاد.

فلقد اهتم الملك عبدالعزيز بنشر التعليم والثقافة الإسلامية، كما ساند جهود الوعاظ والعلماء، وأسهم وشجع على فتح المدارس وقام في سبيل التطوير العلمي بابتعاث الطلاب لاستكمال تعليمهم خارج المملكة العربية السعودية والإسهام كذلك بطبع الكتب العلمية والفقهية والشرعية والتاريخية وتوزيعها بالمجان[١].

فقد استعان الملك عبدالعزيز بفوزان السابق وكيله في مصر الذي كان على علاقة بمطبعة المنار التي يملكها محمد رشيد رضا وقام بإحضار كميات كبيرة من الكتب تم تخزينها في مكة المكرمة في منطقة الشامية في مقر دار البلاد السعودية سابقاً، وكان محمد سحيمي مشرفاً على تخزين هذه الكتب من لدن الملك عبدالعزيز، ثم بعد ذلك تم توزيعها على العلماء في مكة المكرمة وغيرها من مدن المملكة العربية السعودية[٢].

---

(١) خير الدين الزركلي. المرجع السابق، ج٤، ص ص١٠٢٩ ـ ١٠٣١.

(٢) حسن عبدالحي قزاز. أهل الحجاز بعبقهم التاريخي، ص ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

د ـ الوسيلة الرابعة: توطيد الأمن في البادية.

سعى الملك عبدالعزيز إلى استتباب الوضع الأمني في البادية ذلك أن اختلال الأمن لدى الأعراب وسكان البادية في العهود السابقة كان قد سبب مشكلات متعددة للحجاج. ومن هنا فقد لجأ إلى اقتلاع فكرة الغزو أو الإغارة التي كانت مترسبة في أعماق نفوس بعض القبائل البدوية، تلك الفكرة التي كانت موردًا أساسيًا لمعيشتهم على مدى عشرات السنين، وكان الحجاج بطبيعة الحال يأتون في المقدمة بين ضحايا الغزو[١]، وفي ضوء هذا دعا الملك عبدالعزيز شيوخ القبائل حيث أبلغهم بحدود كل عشيرة في البادية ومداه، وأن شيخ كل عشيرة سوف يصبح هو المسؤول عن كل ما يقع في مدى عشيرته مما يخل بالنظام والأمن، فحظر الغزو ومَنَعَ الضرائب وشجع على إقامة الهجر ليُعَلِّم العشائر الزراعة والاستقرار بدل الرعي والترحال، كما أمرهم بالمحافظة على عابري السبيل من الحجاج والجمال على الطرق العامة ليشعر المسافرون بالاطمئنان على أنفسهم وأموالهم وتجارتهم، وبذلك تحولت القبائل المغيرة إلى قبائل مدافعة عن الأمن[٢].

وقد تطور وضع هذه القبائل إذ أعطاهم الملك عبدالعزيز المزيد من الثقة، تلك الثقة التي غيرت كثيراً من مجرى حياتهم عندما كلف القبائل الملتزمة بحماية الطرق بمراقبة البضائع المهربة من السواحل، التي لا يتم دفع رسومها الجمركية وحدد لكل جماعة حدودًا أصبحوا مسؤولين عنها، وقد طالبهم في حالة حصولهم على شيء من هذه البضائع المهربة بأخذها إلى أقرب مركز رسمي من مراكز الحكومة وتسليمها مع أصحابها المهربين إلى الحكومة مقابل مكافأة تعطى لهم من هذه البضائع، أما المهربون فتصادر جميع أموالهم ويتم سجنهم مدة ستة أشهر ويمنعون من البيع والشراء في المنطقة، وفي الوقت نفسه إذا علمت الحكومة بمرور البضائع المهربة ولم تقم القبيلة المكلفة بمراقبة

(١) حسن عبدالحي قزاز. الأمن الذي نعيشه، ج١ ص٤٨.

(٢) أم القرى، العدد ٦٠، في ٦/ ٨/ ١٣٤٤هـ، ص٣.

الطريق بالتبليغ عنها؛ فإن هذه الجماعة تجازى بجزاء صارم[١].

هـ ـ الوسيلة الخامسة : التنظيم الإداري للأمن العام.

ومن الوسائل الأمنية التي اتخذها الملك عبدالعزيز تنظيم أعمال الشرطة والهيئات الأمنية. فقد ضمن الملك عبدالعزيز التعليمات الأساسية للمملكة الحجازية الأمور الداخلية والعسكرية وذلك لضبط الأمن في منطقة الحجاز بعد توحيدها[٢].

فقد اشتملت التعليمات الأساسية على ستة أقسام هي: قسم الأمور الشرعية، وقسم الأمور الداخلية، وقسم الأمور الخارجية، وقسم الأمور المالية، وقسم أمور المعارف العمومية، وقسم الأمور العسكرية، وكانت شؤون الأمن العام من اختصاص الأمور الداخلية، وقد قضت هذه التعليمات بأن تكون الأمور الداخلية تحت إشراف النيابة العامة، وفوضت مدير الأمن العام بإيجاد الوظائف المناسبة لجهاز الأمن[٣].

لقد كانت مهمة مديرية الأمن العام الرئيسة هي حفظ الأمن في البلاد والحيلولة دون وقوع الجرائم وضبطها في حالة الوقوع، وكان أول مدير للأمن العام هو حسن رفقي الذي اكتفى بمديرية شرطة العاصمة التي يرأسها عبدالعزيز بغدادي وبمديريات شرطة الملحقات، ثم عُين مهدي المصلح مديراً عامًا للشرطة فمديراً للأمن العام حتى سنة ١٣٦٦هـ ثم عُين بعده علي جميل[٤]، الذي وضع نظامًا جديداً للأمن العام حل محل النظام السابق وأقره مجلس الشورى بقراره رقم ٢٣٧ وتاريخ ٦/ ١١/ ١٣٦٨هـ بعد إدخال بعض التعديلات عليه واقترن بالتصديق العالي الملكي برقم ١٠/ ٨/ ٢٨١٧

(١) أم القرى، العدد ٦٠، في ٦/٨/ ١٣٤٤هـ، ص٣.

(٢) أم القرى، العدد، ٩٠ في ٢٥/ ٢/ ١٣٤٥هـ، والعدد ٩١، في ٣/ ٣/ ١٣٤٥هـ، التعليمات الأساسية للمملكة الحجازية.

(٣) أم القرى، المرجع السابق.

(٤) فؤاد رضا. «تعريف بوضعنا الإداري. الأمن العام»، المنهل، المجلد ١٠، عدد ذو القعدة وذو الحجة، ١٣٦٩هـ ص ص ٣٦٢ ـ ٣٦٦.

وتاريخ ٢٨/ ١/ ١٣٦٩هـ، فجاء هذا النظام في ٤٦٣ مادة محتويًا على مقدمة، وواحد وثلاثين فصلاً، وقد جاء في المقدمة تقسيم موظفي الأمن العام إلى قسمين: عسكري ومدني، فالقسم العسكري هو القوات المسلحة المسؤولة عن المحافظة على النظام وصيانة الأمن العام وتوفير أسباب الراحة العامة بمنع الجرائم قبل وقوعها وضبطها بعد ارتكابها وتنفيذ كل ما يطلب منها تنفيذه من أنظمة وتعليمات ولوائح وأوامر، وتتألف هذه القوات من مديري الشرطة والمفوضين وصف الضباط والجنود على اختلاف درجاتهم، والقسم الذي يتألف من موظفين مدنيين غير مسلحين، وهم المحاسبون والكتّاب بحسب وظائفهم ودرجاتهم وكافة الموظفين والمأمورين الذين ينتمون إلى وظائف الأمن العام[١]. وقد شمل هذا التنظيم كافة التفاصيل التنفيذية التي تتعلق مسؤولياتها بالأمن العام، فقد تم تكوين الهيكل التنفيذي للإدارة وما يتعلق بها من أقسام وارتباطات بعضها ببعض مع تحديد أهم واجباتها ومسؤولياتها، كما شمل قواعد التحقيق والإجراءات التنفيذية الواجب اتباعها تجاه الحالات الجنائية والقضايا الأمنية، والضمانات التي يجب أن تتوافر لمن يشملهم التحقيق من متهمين أو شهود أو مبلغين؛ ولذلك فإن الأسس التي قام عليها هذا النظام قد استمدت جميعها من الشريعة الإسلامية[٢].

وكانت إدارة الشرطة منحصرة في ثلاث مدن في بداية نشأتها هي مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة، ثم بعد ذلك توسعت وأنشئت إدارات في معظم أنحاء المملكة العربية السعودية، وكما زاد عدد المراكز التي تعمل الشرطة فيها كذلك زاد عدد أفرادها وضباطها[٣]. ويلحق بإدارة الشرطة العامة عدا قوة الشرطة مدرسة الشرطة[٤]، وإدارة

---

(١) فؤاد رضا. «تعريف بوضعنا الإداري. الأمن العام»، المرجع السابق.

(٢) حسن عبدالحي قزاز. الأمن الذي نعيشه، ج١ ، (جدة: ١٤٠٩هـ) ص ص ٦٥ ـ ٦٦.

(٣) حسن عبدالحي قزاز. الأمن الذي نعيشه، ج١ ، (جدة: ١٤٠٩هـ) ص ص ٧٨.

(٤) كان يتم الإعلان عن الدورات التي تنظمها مدرسة الشرطة لإخراج المفوضين في جريدة أم القرى الرسمية، وكان يشترط للالتحاق بهذه الدورات الحصول على الشهادة الابتدائية من المدارس الأميرية أو الفلاحية أو الأهلية، انظر أم القرى، العدد ٧٢٥، في ١٣٥٧/٩/٥هـ، ص٥.

الجوازات ومهمتها إصدار الجوازات ومراقبة المسافرين، ومصلحة السجون، وقلم تفتيش الرقيق، ومكتب التابعية، ومكتب عمد المحلات والعسس ومهمته الإشراف على سير أمور عمد المحلات وإدارة الحراسة الليلية في المدن[١].

ولقد كانت أهم مديريات الشرطة في تلك الفترة مديرية شرطة مكة المكرمة التي تتألف من قسم العدل ويختص بالتحقيق في الحوادث الجنائية وضبط المجرمين ويرتبط به قلم السوابق، ثم القسم الإداري ومهمته تنفيذ الأحكام الشرعية والأوامر الإدارية وترتيب الدوريات للحراسة العامة، ثم القسم المركزي ويقوم بتدريب الجنود والإشراف على شؤونهم، ولتسهيل مهمة الإشراف على الأمن في مكة قسمت إلى مناطق ثلاث وجعل في كل منطقة من هذه المناطق مركزًا أو أكثر من مركز تبعًا لاتساعها، وبالإضافة إلى ذلك فقد جعل لكل محلات مكة البالغ عددها ثلاث عشرة محلة عمدة، يعدّ رئيسًا لسكانها ومهمته مساعدة المنطقة في مراقبة الحوادث والسرقات، ويقوم بإدارة العسس وغير ذلك من المهام، ويشترط في العمدة أن يختار من خيرة الناس خلقًا ومقدرة وكفاءةً، ثم قسم شرطة الحرم المكي ومهمته المحافظة على الأمن داخل الحرم وحفظ الأشياء التي يفقدها أصحابها واستتباب الهدوء والطمأنينة، ثم شرطة حماية الأخلاق ووظيفتها صون الآداب العامة في الشوارع والمجتمعات[٢].

و ـ الوسيلة السادسة : استخدام وسائل النقل الحديثة.

لقد كانت وسائل النقل قديمًا محصورة في الجمال والبغال والحمير، وكانت أعداد الحجيج تتعرض للمشاق والمتاعب والسرقات والجرائم بسبب بدائية هذه الوسائط، واهتمامًا من الملك عبدالعزيز في تطوير هذه الوسائل فقد اهتم بدخول وسائل النقل

---

(١) فؤاد حمزة. البلاد العربية السعودية، ص٢٢٣.

(٢) فؤاد رضا. «تعريف بوضعنا الإداري. الأمن العام»، المنهل، المجلد ١١، الجزء الأول عدد المحرم، ١٣٧٠هـ ص ص ١٣ ـ ٢٥.

الحديثة والسريعة والتي تعطي للمسافر الشعور بالأمن والراحة، ولذلك قام ببدء ربط أرجاء البلاد بالطرق الحديثة التي تساعد على قربها، وللمحافظة على سلامة المستخدمين لهذه الطرق وعلى أرواحهم تم نشر مراكز أمنية في مختلف هذه الطرق، وذلك للمحافظة على الأمن ولتقديم المساعدة لكل محتاج. ولقد كانت البداية في تحقيق ربط المدن الرئيسة للمملكة إلا أن رغبة الملك عبدالعزيز كانت في ربط جميع مدن المملكة شمالاً وجنوبًا وشرقًا وغربًا بعضها ببعض[١].

وقد استفاد الملك عبدالعزيز استفادة كبيرة من تطور المواصلات والاتصالات الواسعة؛ هذا الاتساع الذي قد يشكل عائقًا أمام استقرار الأوضاع الأمنية فيه إلا أن ربط مرافق الدولة وإدارتها بشبكة اتصالات ساعدته على تسيير إدارة الدولة من أي موقع. كما سهلت له معرفته بكل ما يحدث في أنحاء البلاد ومعرفة الأمور في وقتها وبأسرع زمن ممكن، فأمر في عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م بشراء عدد من الأجهزة اللاسلكية، حيث وضع أول جهاز منها في رابغ، ثم أمر بتخصيص سيارتين لنقل البريد بين مكة المكرمة ورابغ، ثم أدخل التلفون اللاسلكي بعد ذلك بمدة قصيرة، وفي عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م صدرت التشكيلات الإدارية للدولة التي تضمنت إنشاء مديرية للبرق والبريد مرتبطة بنائب الملك في الحجاز، ثم أنشئ في العام نفسه مركز للاتصالات البرقية[٢]، وقد أمر الملك عبدالعزيز بإحضار آلة لاسلكي وإرسالها إلى منطقة جيزان، وذلك لتأمين المواصلات الإدارية والتجارية بين تلك المناطق النائية والمدن الرئيسة للمملكة[٣]، وقد أرسلت الحكومة بعثة من السعوديين للتدرب على استخدام هذه الأجهزة إلى إنجلترا، وذلك لمدة ستة أشهر، وقد رجعت تلك البعثة التي كانت مكونة من أربعة أشخاص في عام ١٣٥٠هـ لتسلم

---

(١) ك. س. تويتشل، إدوارد. ج. جورجي. المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٥م) ترجمة شكيب الأموي، ص ص٦٥ ـ ٦٨

(٢) وزارة المواصلات، النقل والمواصلات خطوات وإنجازات، ١٤٠٦هـ، المملكة العربية السعودية، ص٧.

(٣) أم القرى، العدد ١٤٧، في ١١/٤/١٣٤٦هـ، ص٣.

مهامها[١]، كما أقيمت مراكز لأجهزة الهاتف واللاسلكي في كل من مكة المكرمة والرياض، وفي عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م بدئ بنقل البريد بين مكة المكرمة والرياض بواسطة السيارات، ثم استخدمت الطائرات في هذه المهمة[٢].

ثانيًا ـ الأمن في طرق الحج:

كان الحجاج يعانون في الماضي من أجل المحافظة على أرواحهم وممتلكاتهم في حلهم وترحالهم خلال مواسم الحج، وكانت طرق الحج قبل العهد السعودي تشكل عبئًا كبيرًا على الحجاج وضغطًا نفسيًا سواء كانت هذه الطرق داخلية في منطقة الحجاز تقوم بربط المدن الحجازية بالأماكن المقدسة، أو طرق الحج الخارجية التي تربط الأماكن المقدسة بالعالم الإسلامي، مثل طرق الحج الشامي والأفريقي والهندي وغيرها. وقد قاسى الحجاج القادمون عبر طرق الحج الخارجية في القرن الثاني عشر الهجري وأوائل القرن الثالث عشر الهجري من مشكلات عديدة منها عدم توافر ماء الشرب وذلك لكون قوافل الحجاج كانت تقطع صحارى شحيحة المياه، فيؤدى ذلك إلى وفاة بعض الحجاج. كما كانت قوافل الحجاج تتعرض إلى العواصف المليئة بالأتربة مما كان يعيق مسيرة القافلة لعدم وضوح الرؤية وضياع الطريق في معظم الأحيان، كما كان يسلك الحجاج الغابات المليئة بالحيوانات المتوحشة والمفترسة وما إليها، أما القوافل التي تسلك البحر فكانت مشكلاتها تتلخص في تحمل الأهوال التي تعتري ركوب البحار كالعواصف والرياح التي تغير وجهة المراكب التي كان يسافر بها الحجيج، ولا تقدر على مواجهة الرياح والعواصف، إضافة إلى مهاجمة بعض الحيتان الكبيرة لتلك المراكب[٣]. كما تتعرض قوافل الحجيج لقطاع الطرق وهذا ما كان يثير الرعب في قلوب الحجيج[٤]. فقد كانت

(١) أم القرى، العدد ٣٤٣، في ٢٤/ ٢/ ١٣٥٠هـ، ص٣.

(٢) وزارة المواصلات، النقل والمواصلات خطوات وإنجازات، ١٤٠٦هـ، المملكة العربية السعودية، ص٧.

(٣) سليمان عبدالغني مالكي؛ سعد الدين أونال. المرجع السابق، ص٨٢.

(٤) سليمان عبدالغني مالكي؛ سعد الدين أونال. المرجع السابق، ص٧٠.

معاناة الحجاج المسلمين للوصول إلى الأراضي المقدسة شديدة ولم تتحسن هذه الظروف إلا بعد استقرار الأحوال السياسية وتنظيم الوسائل الأمنية في الجزيرة العربية خصوصًا الأراضي السعودية بعد توحيدها على يد الملك عبدالعزيز.

أما الوضع الأمني للطرق الداخلية في منطقة الحجاز في عهد الشريف حسين فلم تكن آمنة، فقد حاول الشريف حسين أن يفرض سيطرته على تلك الطرق واتخذ من رؤساء القبائل حراسًا عليها، وذلك عن طريق إعطائهم المال أو عن طريق التودد إليهم حتى تتيسر له طاعتهم، ونتج عن ذلك سيطرته الأمنية في بعض الأحوال وفي بعض الطرق في حال وجود المال وانعدام تلك السيطرة في حال عدم وجود المال كالطريق بين مكة المكرمة وجدة والطريق بين مكة المكرمة والطائف. أما الطريق بين مكة المكرمة والمدينة المنورة فلم يستطع أن يسيطر عليه لعدم رضاء القبائل الموجودة في هذا الطريق بما يدفعه من المال[1]. وفي أواخر عهد الشريف حسين سارت قافلة من الحجاج متجهة إلى المدينة المنورة، وكان قد أخذ من كل حاج في هذه القافلة خمسة عشر جنيهًا ونصف الجنيه، نصفها لنفسه والنصف الآخر لأصحاب الجمال، وعندما أصبح الحاج في منتصف الطريق اعترضهم البدو وصدوهم وحجزوهم حتى رجعوا دون الوصول إلى المدينة المنورة فضاعت أموالهم مقابل اعتذار الشريف حسين عن ذلك[2]. وقد كان الملك عبدالعزيز قد أعطى أولوية اهتمامه لإقرار الأمن وبصورة خاصة في الحجاز مقصد حجاج بيت الله الحرام الذي كان حبل الأمن فيه مختلاً، حيث كانت العصابات تعبث بالأمن على طول الطرق التي يجتازها الحجاج في قدومهم إلى المنطقة، وقد بلغ من سطوة هذه العصابات عجز الدولة العثمانية الحد من خطورتهم وحماية الحجاج منهم فكانت ترسل مع كل

(١) حسين محمد نصيف. المرجع السابق، ص ص ١٠٠ ـ ١٠١، وانظر أم القرى، العدد ٧، في ٢٨/٦/١٣٤٣هـ، ص١.

(٢) From consul Bullard to the Marquess Curzon of Kedleston - (Received. November 26. 1923) [E 11323/120/9] Records of Hajj, vol 5, p, 496.

قافلة من الحجاج فرقة عسكرية لحمايتها[١]. وقد سعى الملك عبدالعزيز على النطاق المحلي منذ دخوله الحجاز إلى تأمين الطرق للحجاج، ولكي يصل إلى هدفه هذا اتخذ في سنة ١٣٤٣هـ وأثناء حصار مدينة جدة عدة تدابير فعالة لتأمين راحة الحجاج وأمنهم في الحل والترحال، حيث أرسل إلى رابغ أناس مخصصون لاستقبالهم وتأمين راحتهم، ورتبت الجمال على ذلك الطريق لتنقلهم إلى مكة المكرمة[٢].

وقد أعلن عن ترحيبه لقدوم الحجاج في هذه السنة وتكفله بتأمين راحتهم والمحافظة عليهم من خلال أحد الموانئ التي أعلن عنها وهي رابغ أو الليث أو القنفدة[٣]. وفي نطاق ذلك بعث إلى قناصل الدول بكتاب أخبرهم فيه بعزمه على أداء فريضة الحج، وأن الأمن العام في مكة المكرمة وفي الطرق المؤدية إليها من الموانئ رابغ والليث والقنفدة مستعدة لاستقبال الحجاج وأنه قد اتخذ أدق أنواع الحيطة للمحافظة على سلامة الحجاج الوافدين[٤]، وكان الغرض من هذا الكتاب هو طمأنة القناصل على المسلمين من رعاياهم الذين قدموا لمنطقة الحجاز لأداء مناسك الحج.

وقد حاول الشريف علي أن يعكر صفو حج ذلك العام ١٣٤٣هـ عندما أذاع عبر بعض المنشورات أن الحج في هذا العام فيه تهلكة، وأن السلب والنهب والاضطراب في المشاعر المقدسة على قدم وساق، وأن الحاج لا يمكنه الرجوع إلى أهله سالمًا، وأخذ يدعو الناس إلى ترك الحج في هذا العام، وعندما رأى أن الحجاج لم يمتثلوا لما أعلن عنه أرسل باخرة من بواخره إلى رابغ وأخذ يقذفها عن بعد ببعض القنابل ثم أشاع أن رابغ تحت الحصار من البر والبحر وفي القدوم إليها تهلكة، وقد تأخرت بعض القوافل في سواكن أحد عشر يومًا نتيجة ذلك، وقد تقصت الحكومة الإنجليزية عن حقيقة الأمر وعرفت جلية

(١) حسن عبدالحي قزاز. الأمن الذي تعيشه، ج١، ص ٧٧.

(٢) أم القرى، العدد ٢٣، في ١٣٤٣/١١/٦هـ، ص٢.

(٣) أم القرى، العدد ١٢، في ١٣٤٣/٨/٣هـ، ص٢.

(٤) أم القرى، العدد ٢٧، في ١٣٤٣/١٢/٥هـ، ص٢.

الخبر، وأنه لا يوجد أي خطر في القدوم إلى رابغ[1].

وفيما يتعلق بطرق الحج الداخلية؛ فإن الطريق من مدينة الطائف إلى مكة المكرمة الممتد عبر جبل الكرا، وكان يعرف بطريق الحجاج؛ إذ كان أهالي المنطقة يستخدمونه في نقل البضائع إلى مكة المكرمة خاصة أيام الحج، لم يكن به لصوص أو قطاع طرق إلا أنه لم يخلو من الأخطار بسبب السباع والوحوش[2]، أما الطريق بين مكة المكرمة والمدينة المنورة فُيعدُّ أهم طرق الحج في منطقة الحجاز، وذلك أن الحجاج كانوا دائمًا ما يسيرون في هذا الطريق قبل أو بعد انتهائهم من أداء فريضة الحج لزيارة مسجد الرسول، صلى الله عليه وسلم. وقد سبب هذا الطريق في القديم مشكلات عديدة للحجاج نظرًا لتمركز كثير من الأعراب ناشرين الذعر والخوف بينهم.

وقد تغيرت هذه الأوضاع في العهد السعودي بعدما دخل الملك عبدالعزيز الحجاز واستطاع فرض الأمن والاستقرار والهدوء في المنطقة برمتها وخاصة في طرق الحج، وقد نهج في ذلك نهجًا خاصًا، إذ استدعى جميع رؤساء قبائل الحجاز من حرب وجهينة وبلي وخلافهم، التي كان معظمها في السابق مصدر إزعاج وقلق للحجاج والسكان على حدٍّ سواء في أواخر رجب سنة ١٣٤٤هـ وقسم لهم الطرق في الحجاز إلى مناطِق وحددها، وتعهد كل رئيس قبيلة منهم ضمن الحدود التي التزمها أنه يتحمل المسؤولية عن قبيلته ويتعهد كذلك أن كل مخالفة تقع منه أو من أحد أفراد قبيلته فهو المسؤول عنه[3].وفي المقابل اشترط عليهم الملك عبدالعزيز بأن يلتزموا شريعة الإسلام ويعملوا بها. وأن يؤدوا ما فرض الله عليهم من زكاة إبل أو غنم أو حبوب أو نخيل أو خلافها إلى

---

(١) أم القرى، العدد ٢٨، في ١٨/١٢/١٣٤٣هـ، ص٣.

(٢) عطا الله الجعيد. عبر جبل كرا بالطائف إلى مكة المكرمة استثمار طريق الحجاج القديم سياحيًا، مقابلة مع أحد أعيان منطقة جبل الكرا: حسين عمر القرشي، جريدة عكاظ، العدد ١٠٥٢، في ٩/١/١٤١٦هـ، السنة السابعة والثلاثون، ص١٠.

(٣) أم القرى، العدد ٦٠، في ٦/٨/ ١٣٤٤هـ ، ص٣.

عامله في أوقاتها. وأن يبادروا إلى الجهاد في سبيل الله مع المسلمين إذا صدر إليهم الأمر منه. كما أن عليهم المحافظة على عابري السبيل من الحجاج أو الجمال، وذلك أنه ليس لهم فيها شيء من الحقوق إلا ما يأمر به الملك عبدالعزيز من بيت مال المسلمين، وقد بين لهم أنه لا يحكم فيها إلا ما تأمر به الشريعة الإسلامية وقد اشترطوا على أنفسهم أنه لا يدخل في قبائلهم عدو له[1].

ولقد رضخ لهذه الشروط العديد من القبائل إلا أنه قد حاولت بعض قبائل حرب أن تتمرد لترجع إلى ما كانت عليه في السابق، لكن الملك عبدالعزيز كان حازمًا في هذا المجال فلم يتردد في اتخاذ موقف صريح إذ بعث إليهم مجموعة من (الأخوان) قامت بإلزامهم بالشروط التي اتفق عليها الملك عبدالعزيز مع القبائل، وهكذا أصبح سكان البادية القاطنين على طرق الحج يتهيبون الاقتراب من معسكر قوافل الحجاج بعد أن كان الحجاج في السابق يهابونهم، وما ذلك سوى أن الملك عبدالعزيز قد ضمن لكل قبيلة حدودها فإذا فقد بعض الحجاج شيئا له داخل حدود قبيلة ما كلفت تلك القبيلة بإحضاره أو ضمان ثمنه[2]، وإذا ضاع متاع أي حاج أثناء الطريق فالجمَّال هو المسؤول، فلقد حدث أن البعض ممن حج في عام ١٣٥٤هـ بلغ عن ضياع بعض الأشياء الخاصة في الطريق بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، فأمر مدير الشرطة بسجن الجمَّالين وألزمهم بالأشياء الضائعة، ولم يفرج عن الجمالين إلا بعد ماعفا الحجاج عنهم[3].

ولم يقتصر الأمر على ذلك ففي السابق كان للمطوفين سلطة وهيبة على الحجاج إذ كانوا يستبدون بالحاج ويفرضون عليه رسوماً وضرائب من تلقاء أنفسهم وليس هناك من قانون يردعهم، فإذا كتب أمير الحج إلى الشريف أو الوالي رسميًا في رفع هذه المظالم كان

(١) أم القرى، العدد ٦٠، في ٦/٨/١٣٤٤هـ ، ص٣.

(٢) محمد عمر رفيع. المرجع السابق، ص ١٧٩.

(٣) أحمد يوس خلف. المرجع السابق ص ص ٤٢ ـ ٤٣.

جوابهما إنا لا نتدخل في أمور الحج[١]، أما في عهد الملك عبدالعزيز فقد انتفت تلك المظالم وأصبحت الشريعة تطبق في حق كل من يتجاوز حدودها وأصبحت هناك مراقبة، ومن ثم محاسبة للمطوفين إذا ما أساءوا لأحد من الحجاج وقد حدث أن حاول بعض المطوفين التعرض لقافلة من قوافل الحجاج كانت راجعة من المدينة المنورة بين رابغ وذهبان وأوقفها وطلب من كل حاج أربع روبيات لنفسه باسم المحافظة على القافلة، وعندما ثبت ذلك عليه سجنه وطرده من طائفة المطوفين وعدم استخدامه في خدمة الحجاج[٢].

ومن جانب آخر ازداد اهتمام الملك عبدالعزيز بالحجاج وتجلى ذلك في توفير الظروف الأمنية لهم، حيث تم تخصيص دوريات متنقلة وثابتة في الطرق لتسهيل راحة الحجاج وكان من أبرز مهام هذه الدوريات، التأكد من عدم إزعاجهم من ناحية السائقين أو أصحاب المقاهي والشحاذين ومنع البدو من الاقتراب من الحجاج وسياراتهم، وملاحظة تطبيق التعليمات الصادرة بشأن ترتيب سفريات الحجاج، وملاحظة تطبيق التعليمات الصادرة بشأن معاملة السائقين، بعدم السرعة بهم والوقوف بهم للراحة والصلوات والمبيت بهم في الأماكن المقررة، وملاحظة وجود الوقود والماء والأدوات الاحتياطية كاملة في المراكز الثابتة في الطرق وفي كل سيارة من السيارات المتنقلة، والإخبار برقيا حالاً عن أي نقص لتكليف الشركة بتأمين النواقص[٣]. كما كان على جميع المراكز والدوريات الاتصال بالحجاج والبحث معهم والاستماع إلى شكواهم والعمل على إزالتها ومعاقبة المعتدي من سائق أو صاحب مقهى أو أي شخص، والاطمئنان على سير الحجاج وإقامتهم وسفرهم وراحتهم، وتسجيل كل ما يمر على الموظف من حوادث واتخاذ محضر بذلك ورفعه من لدن كل موظف إلى مرجعه وقد

---

(١) إبراهيم رفعت. المرجع السابق، ج٢، ص١١٩.

(٢) أم القرى، العدد ٨٨، في ١١/ ٢/ ١٣٤٥هـ، ص٣.

(٣) «تعليمات لموظفي الدوريات المتنقلة والثابتة في الطرق لتسهيل راحة الحجاج» مجلة الحج، العدد الخامس، ذو القعدة ١٣٦٧هـ، السنة الثانية، مكة المكرمة، ص ص ٤٩ - ٥١.

كانت هذه التوجيهات بناء على تعدد شكاوى الحجاج من معاملة السائقين وإسراعهم في السير وعدم مراعاة نظام المرور، وما ينجم عن ذلك من أضرار وتلف في الأرواح والأموال[١].

وفي المقابل اهتم بتوفير وسائل النقل المريحة للحجاج، حيث وجه اهتمامه بالعناية بالسيارات التي تنقل الحجاج فأصدر تعليماته على وجوب اتخاذ كل سيارة تنقل الحجاج جميع الاحتياطات والأدوات التي تعينها في السفر حتى لا تتعرض للعطل أو الخلل أو التأخير[٢]، كما أصدر تعليمات بشأن سفر سيارات الحجاج في مواعيد مخصصة ومعينة من جدة إلى مكة المكرمة، ومن جدة إلى المدينة المنورة. كما تم تحديد مناطق الاستراحة التي تقف فيها هذه السيارات[٣]. كما كان من ضمن ذلك الاهتمام أن قام بوضع نقاط ومراكز أمنية في طرق الحج للمحافظة على أرواح الحجاج ولتيسير سفرهم وتنقلاتهم، إذ أقيم عدد من هذه المراكز في الطريق بين جدة ومكة المكرمة في منطقة الرغامة ومنطقة أم السلم ومنطقة أم الدود وغيرها، ويتوافر في هذه المراكز رجال الأمن الذين يقومون بمراقبة السيارات وتنظيم حركة سيرها ومراقبة بطاقات الحجاج، إضافة إلى أن لجنة شؤون الحج قد وضعت مأموراً من لدنها لتسهيل أوضاع الحجاج[٤].

وفي نطاق الاهتمام بالأمن في طرق الحج قام الملك عبدالعزيز بوضع إجراءات وتنظيمات أمنية رغب من خلالها في إضفاء المزيد من الاستقرار والهدوء في المنطقة. ومن ضمن هذه الإجراءات تم في عام ١٣٤٥هـ إعطاء الشرطة في السواحل ووكلاء

---

(١) تعليمات لموظفي الدوريات المتنقلة والثابتة في الطرق لتسهيل راحة الحجاج». مجلة الحج، العدد الخامس، ذو القعدة ١٣٦٧هـ، السنة الثانية، مكة المكرمة، ص ص ٤٩ ـ ٥١.

(٢) «تعليمات بشأن الأدوات الاحتياطية العائدة لسيارات الحجاج» مجلة الحج، العدد الخامس، ذو القعدة ١٣٦٧هـ، السنة الثانية، مكة المكرمة، ص٥٥.

(٣) «تعليمات بشأن سفر سيارات الحجاج». مجلة الحج، العدد الخامس، ذو القعدة ١٣٦٧هـ، السنة الثانية، مكة المكرمة، ص ص ٥٢ ـ ٥٤.

(٤) محمد السلاح. وثبة الديار الحجازية (د. م، د. ن، د. ت) ص ص ٣٨ ـ ٤١.

المطوفين والمطوفين والشـرطة في المدينة المنورة ومكة المكرمة سـجلات يدون فـيها أسـماء الحجاج حين قدومهم، ثم يقدمون كشوفًا بأسمائهم للحكومة[١].

وهو إجراء تنظيمي الهدف منه تنظيم تسجيل وقيـد الحجاج، ومعرفة القادمين منهم وجنسياتهم وأعدادهم، وذلك لوضع الخطط الأمنية اللازمة لحمايتهم وراحتهم.

ومن ضمن هذه الإجراءات كذلك حرص الملك عبدالعزيز على تنظيم سفر الحجاج من مكة المكرمـة إلى المدينة المنورة، حيث قـامت السلطات المعنيـة بتبليغ هذا الأمـر إلى المعنيين به كالمطوفين والحـجاج والمخرجين، وأن الحاج الذي يسافر إلـى المدينة المنورة بغير علم من مطوفه ومخرجه؛ فإنه يتحمل مسؤولية ذلك[٢].

إن الذي دعا لهذا الإجراء التنظيمي أن بعض ضعاف النفوس يقومون بإغراء بعض الحـجاج لأخـذهم على رواحلهم بـدون علم من الحكومـة، ثم إذا خرجـوا بهم للخـارج سرقوهم وسلبـوهم، وبالتالي فإن الحكومة لا علم لها بالشـخص الذي أخذ الحاج، لذلك أوجبت على كل من يريد السفـر إلى المدينة المنورة أن يسافر بمعرفة مطوفه ومُـخرِّجه حتى إذا فقد شيئا توجه الحكومة المسؤولية على المتسببين[٣].

ولقد برز اهـتمام الملك عـبدالعـزيز بالوضع الأمني في منطقـة الحجاز منذ الـبداية، حيث اسـتطاع فرض سيطرته على طرق الحج وإيـقاف الأعمال غـير المشروعـة التي كان يقوم بها قطاع الطرق، وقد انعكس هذا الاهتمام على شعور المسلمين، حيث أبدى الكثير منهم ارتيـاحهم للوضع الأمني الجـديد وخاصـة ممن عاصـروا العهد الـسابق لعهـد الملك عبدالعزيز، حيث كانت تسرق القوافل ويقتل الحجاج من لدن قطاع الطرق[٤].

---

(١) «من نائب الملك إلى رئيس الديوان العالي»، وثيقة رقم ٢١/ ١/ ١٢، في ٢/ ١/ ١٣٤٥هـ، المكتب الخاص، معهد الإدارة العامة.

(٢) أم القرى، العدد ٧٨، في ١٩/ ١٢/ ١٣٤٤هـ ص٤.

(٣) أم القرى، المرجع السابق.

(٤) Acting Consul Jordan to sir Austen Chamberlain- (Received September 14, 1926) [E 5283/155/9] Records of the Hajj, Vol.6.p.49.

ثالثا ـ الأمن في المشاعر المقدسة:

تعدّ المشاعر المقدسة أساس الحج، حيث يتجمَّع المسلمون فيها، وبذلك تكتظ هذه الأماكن وتزدحم بهم؛ وبالتالي فإن توافر الأمن فيها مطلب ضروري لكي يؤدي الحاج حجه بسهولة ويسر.

فمما لا شك فيه أن هذه الأماكن التي تزدحم بالناس تكون مكاناً جيداً للأشرار لممارسة عمليات السرقة والنهب، إضافة إلى أن البعض من أصحاب الخدمات المتعلقة بالحجاج من ذوي النفوس الضعيفة قد تنتهز تلك الفرصة في فرض شروطهم وطلباتهم تجاه الحجاج.

ولهذه الأمور فقد قدم الملك عبدالعزيز خدمات أمنية متعددة للحجاج من خلال المراكز والمرافق الأمنية التي كانت تقدم خدماتها تجاه الحجاج، وتمد المساعدة لهم مما أضاف لهم المزيد من الراحة والاطمئنان فترة تأديتهم لنسكهم.

أ – الحرم المكي والمسجد النبوي:

لقد سعى الملك عبدالعزيز من خلال جهوده الأمنية لاستقرار الأوضاع في المسجد الحرام والمسجد النبوي بوصفهما أطهر بقعتين في العالم، فقد جعل للمسجد الحرام إدارة خاصة سميت «مجلس إدارة الحرم» وتجلت وظيفتها في القيام بإدارة شؤون المسجد الحرام[١].

ولقد لاقت هذه الإدارة عناية خاصة من لدن الملك عبدالعزيز إذ أمر بصرف مرتبات خدمة المسجد الحرام من صندوق المالية بعد أن تم تعديلها، حيث زاد في مرتب البوابين والمؤذنين وغيرهم ضعف ما كان يصرف لهم في عهد الدولة العثمانية[٢].

(١) فؤاد حمزة. البلاد العربية السعودية، ص٢٢٥.

(٢) محمد طاهر الكردى/ التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، (مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة، ١٤١٢هـ) ج٥، ص ص٣٠٦ ـ ٣٠٨.

كما ألحق بالمسجد الحرام مركز شرطة ومركزًا لهيئة الأمر بالمعروف ولهما جنود منتشرين في المسجد وذلك للمحافظة التامة على المصلين[١]. ويشرف على هيئات الأمر بالمعروف مدير الشرطة العام[٢]، ويقوم بإدارة شرطة المسجد النبوي مفوضان خاصان يتم تعيينهما من لدن الأمن العام وقد خصص لهما مكان معين، كما حدد لهما مهام ثابتة من أهمها: الحد من اندساس النشالين بين المصلين أو الطائفين، وإيجاد بعض الجنود بجوار الركن ليمنعوا ازدحام الناس على الحجر الأسود[٣]. كما أنه من ضمن مهامهما منع استعمال المسجد الحرام والمسجد النبوي كمكان للنوم بصفة دائمة إلا لمن تحقق اعتكافه، ومن ضمن المهام كذلك منع اختلاط الرجال بالنساء بواسطة أغوات الحرم المختصين لهذه الغاية، ومراقبة المشبوهين وذوي السوابق والمجذوبين والمجانين والقبض عليهم، وترتيب وضع الدوريات الكافية ليلاً ونهاراً[٤]. كما أن من ضمن هذه الأعمال الإسراع بنقل من يصاب بمرض عارض أو إغماء أو نحوهما إلى أقرب مستشفى بواسطة رجال الإسعاف، وحراسة جميع موجودات الحرم وملاحظة عدم إحداث أي شيء فيها، والقيام بوضع الحرس الكافي وتوزيعهم في كافة أنحاء المسجد لا سيما في الأماكن التي يكثر فيها الازدحام كالأبواب التي يكثر فيها دخول وخروج المصلين[٥]. كذلك من مهام إدارة شرطة المسجد الحرام الإسراع عند هطول الأمطار بوضع الحواجز على الأبواب لمنع مياه الأمطار من دخول المسجد الحرام، ومنع إلقاء الورق المكتوب والخرق والشعر داخل مقام إبراهيم ـ عليه السلام ـ وعدم تعليق شيء بشباكه أو التمسح به، واتخاذ سجل خاص لقيد جميع

(١) محمد طاهر الكردي، المرجع السابق، ج٥، ص ص ٣٠٦ ـ ٣٠٨.

(٢) فؤاد حمزة. البلاد العربية السعودية، ص ٢٢٤.

(٣) مصطفى محمد. في المملكة الروحية للعالم الإسلامي، ط١ (المدينة المنورة، د. ن، ١٣٤٩هـ) ص٩٤.

(٤) فؤاد رضا. «تعريف بوضعنا الإداري. الأمن العام»، المنهل، المجلد ١١، الجزء الأول عدد المحرم، ١٣٧٠هـ ص ص١٣ ـ ٢٥.

(٥) فؤاد رضا. «تعريف بوضعنا الإداري. الأمن العام» المنهل، المجلد ١١، الجزء الأول عدد المحرم، ١٣٧٠هـ ص ص١٣ ـ ٢٥.

اللقطات التي يعثر عليها بداخل الحرم وتقديمها للجهات المختصة أو تسليمها لأصحابها إذا كانت بسيطة، وتنظيم المحاضر اللازمة بالأشياء التي يعثر عليها والباقي منها والمسلم لأصحابه ونشر ذلك أسبوعيًا في الجريدة الرسمية، ومنع تعدد الأئمة وقت صلاة الإمام الراتب والتراويح، ذلك أن تعدد الأئمة وفق المذاهب الأربعة السنية قد تؤدي إلى تعصب كل فرقة إلى فرقتها مما يؤدي إلى اضطراب الأمن، والقيام بتنفيذ جميع ما يصدر إليها من تعليمات مصدقة مبلغة إلى رئاسة القضاة أو هيئة الأمر بالمعروف مما هو ضمن اختصاصاتها الدينية[1].

ب ـ الترتيبات الأمنية في المشاعر المقدسة:

أسهمت الترتيبات الأمنية التي وضعت في منى وعرفات ومزدلفة ومكة المكرمة إلى حد كبير في استقرار الوضع الأمني، ولم تقتصر هذه الترتيبات على جانب واحد وأغفلت جانبًا آخر؛ بل شملت جميع الجوانب الأمنية، وعلى كافة المستويات والأصعدة، ففي مجال تحرك الحجاج وتنقلهم من منى إلى عرفات ومنعا للمشكلات المرورية التي قد تحدث بين الحجاج والمطوفين نتيجة للازدحام بينهم ورغبة كل مطوف أو حاج أن يسرع في المسير ويتجاوز غيره[2]؛ فإنه عند اقتراب موسم الحج كانت تؤخذ قوة من رجال الشرطة من قسم المرور لتغطية خطة المرور في الحج[3].

وقد كانت مديرية الأمن العام تصدر تعليماتها خلال مواسم الحج لتنظيم السيارات أيام الحج، وهذه التعليمات كانت تشمل ترتيب الصعود إلى عرفات وهي خاصة بالسيارات سواء كانت محملة أو فارغة، وتبدأ من غرة ذي الحجة وحتى نهاية اليوم التاسع، ثم بعد ذلك ترتيب نزولها من عرفات إلى مزدلفة، ثم تنظيم النزول من مزدلفة

---

(١) عبدالعزيز الأحيدب. المرجع السابق، ص ص ٢٢٠ ـ ٢٢٣.

(٢) هشام جميل أحمد إسماعيل. مطوف (مقابلة شخصية).

(٣) عبدالعزيز الأحيدب. المرجع السابق، ص ص ٦٦ ـ ٦٧.

إلى منى ثم تنظيم دخول السيارات إلى مكة في اليوم الثالث من أيام التشريق وما بعده، كما تشمل هذه التعليمات والترتيبات تنسيق وتنظيم صعود ونزول الجمال والشقادف إلى مكة المكرمة[١]. وقد كانت هذه التعليمات والإرشادات تصدر سنويا من لدن مديرية الأمن العام، وذلك منذ بداية شهر الحج من كل عام وتنشر في الصحيفة الرسمية للدولة وبقية الصحف والمجلات[٢]

والحقيقة أن هذه التنظيمات والترتيبات المرورية قد ساعدت كثيراً الحجاج، وسهلت تنقلاتهم بالسيارات والدواب المختلفة في المشاعر المقدسة بشكل تنظيمي وفي أوقات محددة، بحيث لم تقع حوادث اصطدام كبيرة سببت خسائر في الأجسام أو الأرواح[٣].

أما موسم ١٣٦٤هـ فلقد تم تنظيم الحركة المرورية بشكل متطور وفعال[٤]، واستمر هذا التطور في المواسم اللاحقة ففي موسم عام ١٣٦٥هـ لم تحدث حوادث مرورية للسيارات تستحق الذكر سوى حادثة واحدة نتج عنها ثلاث إصابات بسيطة نتيجة لتعرضهم للسير في طرق السيارات المعبدة بالأسفلت، وقد كانت ترتيبات تنظيم حركة المرور التي وضعتها هذه الإدارة طيبة[٥].

وفي موسم حج عام ١٣٧٠هـ استطاع قسم المرور أن ينظم مرور ما يزيد على ٥٠ ألف سيارة نقلت الحجيج من مكة إلى عرفات في الذهاب ومثلها في الإياب، وقد كانت السيارات تسير على خطوط متوازية في خط واحد وفي اتجاه واحد ممتد من مكة إلى

---

(١) أم القرى، ١٢٣٠، في ٥/ ١٢/ ١٣٦٧هـ، ص٣.

(٢) أم القرى، العدد، ١١٣٠، في ٣٠/ ١١/ ١٣٦٥هـ، ص٢، انظر أم القرى، العدد ١٤٧٧، في ١١/ ١٢/ ١٣٧٢هـ، «تعليمات عامة عن تنظيم حركة سير السيارات في أيام الحج عام ١٣٧٢هـ»، ص٣، وانظر المنهل، مجلد ١٢، السنة ١٢، الجزء العاشر والحادي عشر، ١٣٧١هـ، ص٤٧٤.

(٣) أم القرى، العدد ٧٨٨، في ١٦/ ١٢/ ١٣٥٨هـ، ص٥.

(٤) أم القرى، العدد ١٠٨٦، في ٢٤/ ١/ ١٣٦٥هـ، ص١.

(٥) أم القرى، العدد ١١٥٢، في ١٥/ ١٢/ ١٣٦٥هـ، ص٤.

عرفات على مسافة خمسة وعشرين كم[١].

ولقد شمل الاهتمام كذلك صيانة و عناية السيارات المستخدمة لنقل الحجاج من جدة إلى مكة المكرمة ومن جدة إلى المدينة المنورة، ففي عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٨، خصص مهندس بريطاني لفحص السيارات قبل استخدامها في جدة، لتلافي تعطل السيارات أثناء السفر؛ وبذلك فإن الحوادث التي قد تحدث كانت ضئيلة جدا[٢].

والحقيقة أن هذا التطور في تنظيم حركة المرور للحجاج من موسم إلى آخر كان ناتجا عن الخبرة المكتسبة والمتزايدة للجهاز الأمني المروري خلال السنوات العديدة، وذلك من خلال وضع الخطط المرورية.

ولكن وعلى الرغم من كثرة الحجاج واختلاطهم بأجناس وطبقات وبيئات مختلفة وعلى الرغم من شدة الازدحام وكثرة أعداد السيارات المتنوعة في الزحام، التي زادت بحيث فاقت قدرة شوارع مكة المكرمة في استيعابها تلك الشوارع التي لم تكن في الواقع مهيأة ومعدة لاستخدام السيارات إلا أن إدارة الأمن العام لم تسجل في حج عام ١٣٦٨هـ أية إصابات أو حوادث مرورية لافتة للنظر[٣].

ومن هنا نرى أن الحفاظ على أمن الحجاج في مناطق تجمعهم وتقديم المساعدة لهم في تنقلاتهم بين المشاعر قد لاقى اهتماماً بالغا من الملك عبدالعزيز مما انعكس أثره في نجاح مواسم الحج.

---

(١) علي جميل. المنهل، مجلد ١٢، الجزء الأول، المحرم ١٣٧١هـ، ص ص ٥ ـ ٦.

(٢) Report on the Pilgrimage. 1928, [E 4867/58/91] Vol., 14, p28, British Documents on Foreign Affairs: Reportsand papers from the Foreign Office Confidential Print, General Editors: Kenneth Bourne and D. Cameron Watt. Part II Series B. "Pilgrimage in the reign of Ibn Saudi 1927-1939," (University?? Publication of America).

(٣) محمد السلاح. ثبة الديار الحجازية، ص١٠٢.

ج ـ الحوادث والسرقات:

لقد شهد هذا الجانب تطوراً ملحوظًا وانخفاضًا في نسبة الحوادث والسرقات، وذلك من خلال متابعة وتعقب المجرمين وإقامة وتطبيق الحدود الشرعية عليهم، ومنذ بداية الحكم السعودي للمنطقة اهتم الملك عبدالعزيز بالحد من خطورة هؤلاء المجرمين والتقليل من نسبة هذه الحوادث وانتشارها، وذلك من خلال الجهود المبذولة لمراقبة الأجانب وغير الأجانب القادمين للمنطقة وخاصة المشتبه فيهم[١].

والواقع أن ذلك قد ساعد كثيرا في انخفاض نسبة الحوادث كثيرا، ففي سنة ١٣٥٨هـ على سبيل المثال قلت حوادث السرقة أو الاعتداءات ولم يتعرض الحجاج ولا أمتعتهم لأي حادث بارز من هذه الحوادث، وذلك حسب البيانات الرسمية التي نشرت في صحيفة أم القرى[٢].

فقد انتهى ذلك الموسم دون أن ترصد دوائر الأمن حادثة من حوادث السرقات المميزة أو الكبيرة سوى بعض الذين قدموا بقصد الحج حاولوا العبث بالأمن وممارسة بعض النشاط غير المشروع غير أنه تم القبض عليهم[٣].

وقد استمر المؤشر الأمني في الارتفاع والتطور نتيجة لتلك الجهود الأمنية المبذولة، فقد كانت الحالة الأمنية لموسم حج عام ١٣٦٤هـ مستقرة، ولم ترصد الدوائر الأمنية فيه مشكلة مميزة، ونظمت بشكل ذي فاعلية[٤]. وقد استمرت هذه الأوضاع الأمنية تتطور وتتحسن فلم تسجل إدارة الأمن العام خلال موسم حج عام ١٣٦٥هـ أي حادث سطو أو

---

(١) مصطفى محمد. المرجع السابق، ص٩٤.

(٢) أم القرى، العدد ٧٨٨، في ١٦/١٢/١٣٥٨هـ ص٥.

(٣) أم القرى، العدد ٧٤١، في ٥/١/١٣٥٨هـ، ص١.

(٤) أم القرى، العدد ١٠٨٦، في ٢٤/١/١٣٦٥هـ، ص١.

سرقة سوى بعض المفقودات البسيطة قد غفل عنها أصحابها وسلمت لهم[1]. وقد أوضح محمد سرور الصبان مدير المالية نجاح موسم عام ١٣٦٦هـ إذ لم يسجل فيه أية حوادث سطو أو سرقة أو ما شابه ذلك يمكن أن تذكر سوى المفقودات التي يغفل عنها أصحابها ثم تسلم لهم بعد ذلك[2]. ولا شك أن تجمع الألوف من المسلمين في بقعة معينة كان مرتعا مناسبا للعديد من المنحرفين لممارسة أعمالهم السيئة من سرقة ونهب، وقد ركزت إدارة الأمن العام جهودها في هذه الناحية وخاصة في مراقبة أولئك المنحرفين الذين يتكرر قدومهم ودخولهم للمنطقة بأشكال وهيئات مختلفة[3]. أما المفقودات فقد يحدث أن كثيرا من الحجاج يفقدون بعض أمتعتهم إما بسبب سقوطها منهم أثناء ركوبهم في التنقل بين الأماكن المقدسة أو بين المدن وإما عن طريق نسيانها في بعض الأمكنة كرصيف الميناء، فكان لها تنظيم خاص يقوم بجمع جميع هذه اللقطات من أماكنها وترسل إلى مديرية الأمن العام، حيث تسلم هذه الأشياء إلى أصحابها بموجب سندات محفوظة في الدائرة المذكورة[4]، أو تقوم إدارة الأمن العام بنشر النشرات التي تبين مقدار ومحتويات الأشياء القيمة والنفيسة ، التي كانت تسلم إلى أصحابها لمجرد مراجعتهم مديرية الشرطة[5].

د. إرشاد التائهين إلى أماكنهم:

ومن ضمن الخدمات الأمنية التي كانت إدارة الأمن العام تقدمها كانت هناك خدمة إنسانية تؤديها لحجاج بيت الله الحرام، وهي إرشاد الضائعين من الحجاج إلى أماكن إقامتهم. فقد حدث كثيرا في عرفات ومنى أن بعض الحجاج يخرجون من خيامهم

(١) أم القرى، العدد ١١٥٢، في ١٥/ ١٢/ ١٣٦٥هـ، ص٤.

(٢) محمد السلاح. عبدالعزيز والحج (حلب، د. ن، ١٣٥٩هـ) كلمة بقلم محمد سرور الصبان، ص ص١١٥ _ ١١٩.

(٣) المنهل، «شهرية الأنباء»، المجلد ١٤، عدد المحرم، الجزء الأول، السنة ١٤، ١٣٧٣هـ، ص٦٨.

(٤) أم القرى ، العدد ٧٤١، في ٥/ ١/ ١٣٥٨هـ، ص١

(٥) أم القرى، ٦٤٢، في ١٣/ ١/ ١٣٥٦هـ، ص٣.

ويتجـولون فيشتـبه عليهم الحال ويخـتلط عليهم الأمر فلا يعـرفون سبيـلا إلى العودة إلى أمـاكنهم، فكانت مديرية الأمن الـعام من خـلال مراكـزها المنتشـرة في كل جهـة من هذه الجهـات تؤدي لهؤلاء الضـائعين هذه الخدمـة، إذ هي في الغالـب المرجع الوحيـد لهؤلاء التائهين، حيث كانت تـؤويهم وتقيهم حر الهجيرة ثم ترشـدهم إلى أماكنهم وتعمل على عودتهم إلى مقرهم[١]. إن خدمة الحجاج في المشاعر المقدسة لم تكن بالعمل السهل الذي يمكننا أن نتـصوره خاصـة في ظل وجود مـئات الألوف من الحـجاج مـوجودين في بقـعة محـددة من الأرض، إذ إن هذا العـمل يتطلب قدرات مـالية وإمكانات إدارية وعـسكرية تمكن العاملين في هذا المجال من السيطرة على الوضع، والدولة الـسعودية في بداية نشأتها كانت تحاول جاهدة تدبير هذه الإمكانات. وعلى الرغم من ذلك فقد كانت الخدمات التي تقدم للحجـاج تتطور من عام إلى آخر مع ازدياد الخبـرة في هذا المجال وتطور الإمكانات، ويدل ذلك على رغبة الملك عبدالعزيز الأكيدة في خدمـته للحجاج وسعيه لتقديم الأفضل لهم.

رابعا ـ الأمن في المدن الرئيسة في الحجاز:

لقد شكل الاضطراب الأمني في المنطقة قلقا للعـالم الإسلامي ومدخلا للدول غير الإسلامـية للتـدخل في شؤون الحج، وأحـد الأهداف الأساسـية للملك عـبدالعزيـز بعد دخوله الحجاز الـسعي لاستقرار الأمور فيه، وتحقـيق الأمن، ذلك أنه خلال حكم الشريف حسين لهـذه المنطقة كان العديد من البـدو قطاع الطرق يهاجمون الناس المتـوجهين للحج ويغيرون على قـوافل التجارة وكانت المنطقـة في خطر نتيجة تهـديد هؤلاء البدو الذين لـم تكن عساكر الحسين بقادرة على مـواجهتهم والقضاء عليهم[٢]. ولاشك أن تصميم الملك

(١) أم القرى، العدد ٧٤١، في ٥/ ١/ ١٣٥٨هـ، ص١، وانظر أم القرى، العدد ٦٩٠، في ٢٥/ ١٢/ ١٣٥٦هـ، ص١.

(٢) إيجيرو ناكانو. الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م) (الرياض: دار الملك عبدالعزيز ١٤١٦هـ) ترجمة سارة تاكاهاشي، ص١٢.

عبدالعزيز على تطبيق الشريعة الإسلامية وعدم تهاونه في ذلك كان له تأثير كبير على استتباب الأمن في المنطقة، وقد بين ذلك إلى الأهالي في بداية دخوله وشدد على تمسكه بتطبيق الشريعة الإسلامية وأن هدفه الأول هو إزالة المظالم التي وضعها الأشراف في المنطقة[١]. كان هذا التصميم من لدن الملك عبدالعزيز راسخا رغم دعاوى بعض الدول المستعمرة للبلدان الإسلامية لمقاطعة الحج أو أن يسمح لها بالتدخل في أمور الحجاز الداخلية، حيث كانت ترغب في الإبقاء على البدع والضلالات ومظاهر الشرك بحجة أن ذلك من أسباب جمع كلمة المسلمين[٢]. والحقيقة أن لتطبيق الشريعة الإسلامية في جميع جوانب الحياة أثرا كبيرا على استقرار الوضع الأمني في المنطقة، حيث ساعد ذلك على قلة أعمال السرقة والنهب في مدن المنطقة، كما كان للصرامة وعدم التهاون في تطبيق الحدود الذي كان يشمل جميع المواطنين انعكاس بالغ الأثر في استقرار الأمور، ومن خلال هذا بدأ الملك عبدالعزيز في تحقيق البناء الأمني للمملكة العربية السعودية[٣].

أ - الوضع الأمني في البادية:

ومن ناحية أخرى؛ فإن صرامة الملك عبدالعزيز مع سكان البادية وعدم تهاونه معهم في إقامة الحدود وتطبيق الشريعة الإسلامية كانت من الأسباب الواضحة التي جعلتهم يتوقفون عن كثير من أعمال السلب والنهب التي كانوا يقومون بها في السابق، إذ إن القبيلة التي تحدث في حدودها السرقة أو الجريمة؛ فإن زعماء هذه القبيلة مسؤولون عن إحضار المتهم أو إرشاد الحكومة عنه لتنفيذ حكم الحد عليه[٤].

---

(١) أم القرى، العدد ١، في، ١٥/٥/١٣٤٣هـ، ص١.

(٢) أم القرى ، العدد ١١٦، في ٢٩/٨/١٣٤٥هـ، ص١.

(٣) Actong Consul Jordan to sir Austen Chamberlain- (Received September 14 1926). [E 5283/155/91] Records of the Hajj, Vol. 6.p.49.

(٤) أم القرى، العدد ٦٠، في ٦/٨/١٣٤٤هـ، ص٣.

والحقيقة أننا لو رجعنا إلى أهم مسببات السرقة التي كانت تحدث في منطقة الحجاز، نجد أن أهمها هو الفقر الذي عانى منه سكان المنطقة قديما معاناة شديدة مما جعل كثيرا من القبائل تمارس عملية الغزو، وحينما دخل الملك عبدالعزيز الحجاز لم يكن الوضع الاقتصادي للدولة السعودية ملائما مثلها مثل أي دولة ناشئة، ورغم ذلك كان عطفه على الأهالي واضحا ومن ذلك تلك الميزة الملكية التي أنشأها والتي تقوم بتوزيع الطعام على السكان المحتاجين له[١].

وبذلك عبر الكثير من الحجاج المسلمين عن الفرق بين العهد الهاشمي والعهد السعودي، حيث كان الحجاج يخشون في العهد السابق للعهد السعودي الخروج بمفردهم خوفا من أذى سكان البادية، أما في العهد السعودي فقد استقر الوضع الأمني في المدن، فنجد الحاج عندما يزور المدينة المنورة يتجول فيها بدون خوف أو أذى يتعرض له وقد كانت تزداد دهشته حينما يرى التاجر يترك حانوته شبه مغلقة ويذهب للصلاة في وقتها[٢].

وليس هذا مقتصرا على المدينة المنورة فحسب؛ بل يشمل جميع المدن الرئيسة في الحجاز فمدينة الطائف التي كانت في السابق كثيرا ما تتعرض لحوادث السلب والنهب والقتل اختلف الوضع الأمني فيها في العهد السعودي، حيث تطور إلى الأفضل وتميزت بوجود الأمن وأصبحت اللقطات التي يتم العثور عليها تسلم إلى الجهات المختصة من غير نقصان[٣]. أما مكة المكرمة فقد انتشرت فيها دوريات الشرطة والعسس التي تقوم بمراقبة شوارع مكة المكرمة وحاراتها ودروبها ليلاً[٤].

(١) محمد السلاح. وثبة الديار الحجازية، ص١٤.

(٢) مصطفى محمد. المرجع السابق، ص٢٠٢.

(٣) شكيب أرسلان. الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف (الطائف: مكتبة المعارف، د. ت)، ص١٧٢.

(٤) عبدالعزيز الأحيدب. المرجع السابق، ص٦٥.

ب ـ الخدمات الأمنية للحجاج في المدن:

ومن الجوانب المهـمة التي ساعدت على انتشـار الأمن في المنطقة استتبابه في المدن، ولاشك أن استقـرار الأمن في المدن الحجازية وفي طرق الحج عداً مـن أهم عوامل رسوخ الأمن في المنطقـة بأكملـها، وقـد أسهم الغطاء الأمني الـذي أوجده الملك عـبدالعـزيز في جميع أنحاء البلاد في ازدهار واستقرار الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في المدن مما أدى إلى تغير وتقدم في تركيبة المجتمع السعودي.

وقد أسـهمت مديرية الأمن العام من خـلال أجهزتهـا الإدارية والعسكرية في زيادة الاهتمـام والعناية بشـؤون حجاج بيـت الله الحرام خـلال مكثهم في مـدن منطقة الحـجاز الرئيسة، ومن مظاهر هذا الاهتمام الأمني قيام مديرية الأمن العام سنويا بالإعلان للقادمين إلى الأراضي المقدسة من الحـجاج عن أسماء مراكز الشـرطة ومواقعها للاستـعانة بها عند اللزوم فـيمـا يتعلق بالإخـبار عن حـاج تائه أو فقـدان شيء للحجـاج أو تعدٍّ عليـهم من غيرهم[1]، ومنعًا لاختـلاط الأمور أمام الحـجاج وتمييزا لـهذه المراكز حتى يسـتطيع الحاج الاهتداء إليه زودت بالمصابيح الحمراء التي كانت توضع عليـها وهي: خمسة عشر مركزًا في مكة المكرمة، وخـمسة مراكـز في منطقة عرفـات، وستة مراكـز في منطقة منى[2]. وقد تزيد هذه المراكز أو تنقص حسب الحاجة إليها في بعض السنوات[3]. حيث كانت في سنة ١٣٥٨هـ خمـسة عشر مـركزًا في مكة المكرمة، وأربعة مـراكز في عرفات، ومـركزين في مزدلفة، وستة مراكز في منى[4].

وعدا هذه المراكز والنقـاط توجد أماكن مراقبة ثابتة في الأسـواق والمنعطفات علاوة على دوريات المشاة والخيالة وسيارات الجيب والدراجات النارية لتنظيم حركة المرور ومنع

(١) أم القرى، العدد ١٣٢٧، في ٢٥/١١/١٣٦٩هـ، ص٤.

(٢) أم القرى، المرجع السابق.

(٣) أم القرى، العدد ٨٨٧، في ١١/١٢/١٣٦٠هـ، ص٤.

(٤) أم القرى، العدد ٧٨٥، في ٢٥/١١/١٣٥٨هـ، ص٥.

الازدحام والمحافظة على النظام[١].

ومما هو جدير بالذكر أنه بعد انتهاء الحج وعودة الحجيج إلى مكة المكرمة، فإنه تنتقل مراكز الأمن العام إلى دوائرها في مكة ثم تقوم بإذاعة بلاغات ونشرات عن تنقلات الحجاج وحالتهم الأمنية، وتبين للحجاج اللقطات التي تم العثور عليها في أماكن متعددة، كما تبين هذه النشرات أن بعض هذه اللقطات قد سُلمت لأصحابها الذين أثبتوا أنها لهم، أما المفقودات التي لم يتعرف عليها أحد؛ فإنها تبقى محفوظة في مستودعات مديرية الأمن العام[٢] . لقد أعطت هذه الإجراءات الأمنية التنظيمية القدرة للدولة السعودية على وضع الطرق والأساليب المناسبة لها لاستقرار الأمن فيها.

---

(١) أم القرى، العدد ١٣٢٧، في ٢٥/ ١١/ ١٣٦٩هـ، ص٤.

(٢) محمد السلاح. وثبة الديار الحجازية ص ١٠١.

الفصل الرابع
الخدمات الصحية خلال موسم الحج

أولا ـ الأوضاع الصحية في الحج.

ثانيا ـ وسائل الخدمات الصحية والوقائية في الحج.

ثالثا ـ الأمراض والأوبئة في موسم الحج وسبل مكافحتها.

ـ الأوضاع الصحية قبل العهد السعودي

اعتمد الطب في الحجاز في أوائل القرن الرابع عشر الهجري على الطريقة القديمة وعلى العقاقير والأعشاب النباتية البسيطة، وكان بعض من أهل الهند يمارسون بمكة هذه الصناعة[١]، ولذلك فإن المستشفيات في بداية أمرها كانت تستقبل القليل من المرضى في ظل وجود العطار وتمتعه بكامل نفوذه بين أبناء مدينته الذين يرفضون أي تشكيك في قدرات شيخهم العطار بالذهاب إلى المستشفى[٢]، وقد تأسس مستشفى أجياد عام ١٢٨٨هـ وكان في عهد الحكومة العثمانية دار للمدفعية وحُوِّل إلى مستشفى عسكري، ولم يكن به سوى خمسة أطباء فقط[٣]. أما الصيدليات فقد أسس إبراهيم حسنين أول صيدلية في مكة ثم تلاه شخص تركي يدعى عدنان، وتلا ذلك صيدلية أسسها رمضان أفندي وهو رجل من مجاوري الهنود، ثم قام نفر من الأتراك المقيمين بمكة المكرمة وأسسوا صيدلية سميت «حجازة أجزخانة سي»[٤]، ثم كان بجوار المسجد الحرام، بضعة دكاكين عطارة، يباع فيها شيء من الأدوية المستخرجة من الأعشاب والحبوب الهندية[٥]. وكانت الأدوية والعقاقير ووسائل الفحص والتشخيص محدودة ونادرة والمراجعون قليلو العدد، ولا يتجاوز عدد الأطباء في كل مدينة من مدن الحجاز الاثنين أو الثلاثة[٦]. ولذلك نجد أن الأوضاع الصحية في المنطقة لم تكن جيدة؛ بل كانت تعاني عجزًا في هذا المجال الذي ساعد في انتشار الأمراض، كما أصبح وسيلة ضغط من بعض الدول للتدخل في

---

(١) محمد عمر رفيع. المرجع السابق، ص ص٢٢٧ ـ ٢٢٨.

(٢) عبدالعزيز عمر أبو زيد. حكايات العطارين في جدة القديمة، (جدة: دار السلام للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ) ص٣٤.

(٣) محمد طاهر الكردي. المرجع السابق، ج٢، ص ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

(٤) محمد عمر رفيع. المرجع السابق، ص ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩.

(٥) محمد طاهر الكردي. المرجع السابق، ج٢، ص ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

(٦) بشير الرومي. «تطورنا الصحي في ربع قرن»، المنهل، المجلد٩، السنة التاسعة الجزء ١١ و ١٢ ذوالقعدة وذوالحجة، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، ص ص ٤٧٠ ـ ٤٧٣.

مواسم الحج، ولذلك لم تحظ الصحة بعناية يمكن أن تذكر رغم الحاجة الملحة لذلك خاصة في بلد كالحجاز يتعرض سنويًا للأوبئة والأمراض التي تفد مع الحجاج، فقد كانت المستشفيات في العهد العثماني غير كافية، ولم يكن الجهاز الصحي الموجود فعالاً مما جعل الضعف يعتري المرافق الصحية حتى باتت عاجزة عن أداء مهمتها، أما في العهد الهاشمي ورغم تأسيس دائرة للصحة في عام ١٣٣٤هـ كان يرأسها طبيب يدعى نديم صلاح من أهالي نابلس[١]. إلا أنه قد شكلت الأمراض والأوبئة في هذه الفترة مشكلة خطيرة فالحالة الصحية كانت سيئة، والحميات والأمراض منتشرة بسبب انعدام الوقاية والمكافحة والعلاج مما جعلت الدول الأخرى تأخذ بكافة أسباب الحذر وفرض كل التدابير الاحتياطية لسلامة القادمين إليها وصيانة بلادهم من انتقال أوبئة وأمراض القادمين إليها[٢]. والواقع أن الوضع الصحي للمنازل في مكة المكرمة في عهد الشريف حسين لم يكن حسناً، ذلك أن المنازل التي بنيت لإيواء الحجاج كانت نادرًا ما تكون نظيفة، فقد كان تحت كل منزل حفرة للمجاري بفتحة صغيرة لا تقفل أبداً ويتم استخدامها من لدن الجميع؛ وبهذا فإن الرائحة الكريهة تعم المنزل بأكمله. ومن جانب آخر؛ فإن تكدس الحجاج داخل الغرفة الواحدة يساعد كثيرًا على نشر الأمراض[٣].

أولا ـ الأوضاع الصحية خلال موسم الحج:

كانت سياسة الملك عبدالعزيز الداخلية في بداية إنشائه للدولة السعودية تقوم على إصلاح المرافق العامة للدولة والنهوض بها، ولذلك قام بتصحيح الأوضاع الصحية السائدة في تلك الفترة، من إنشاء المستشفيات الجديدة أو إصلاح وتوسعة ما كان موجودا

---

(١) محمد عمر رفيع، المرجع السابق، ص ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩.

(٢) محمود أبار. «اليوبيل الفضي الحجاز بين الماضي والحاضر»، المنهل، المجلد ٩، السنة التاسعة الجزء ١١ و١٢ ذو القعدة وذوالحجة، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، ص٤٦٤.

(٣) From Baymond Davis, American Consul, Jeddah, to Department of State, Washington, D.C. November, 6, 1923, Records of the Hajj: Vol. 5. p. 502.

منها، وقد كان الاهتمام الصحي منصبا عـلى منطقة الحجاز ذلك أنها معرضة لقدوم آلاف من المسلمين في فترات مواسم الحج. كما أن هذا الاهتمام الصحي كان ممهداً للجهود التي وضعها الملك عـبدالعزيز لإنشاء البنية الصحيـة التحتية للمملكة العـربية السعودية ووضع الأسس التي ستقوم عليها المرافق الصحية المختلفة.

أ ـ المرافق الصحية:

لقـد جرى تـوسعـة مـبنى مسـتـشفـى أجيـاد، حـيث تم إدخال بعض الـتعـديلات والتوسعات عليه إلى أن أخذ شكله التربيـعي حيث تتوسطه حديقة، وكانت الجهة الأولى تشمل غرف الكشف والخدمات، والجهة الثانية تشمل المكاتب الإدارية والمالية والخدمات، أما الجهتان الأخريان فكانتا تحتـويان على عنابر وغرف التنويم وكانت طاقتهما ما بين ٥٠ و ٧٠ سريراً في تلك الفترة[١].

وفي سنة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م أصـبح يستـوعب ١٣٥ مريضًـا، وفيـه ست صالات كبيرة، وست قاعات متوسطة، وأربع قاعات خصوصية، وقاعة للعمليات الجراحية تتبعها بضع غرف، وقاعة للعـمليات النسائية وغرفهـا، ومؤسسة للجراثيم والكيميـاء، ومؤسسة للأشعـة والتداوي بالكهرباء والفحص والتـصوير، وعيادات خـارجية للأمراض البـاطنية والجلدية والزهرية وأمـراض الأذن والأسنان والحنجـرة والأمـراض النسائيـة، وصـيدليـة تصرف الأدوية لمن في المستشفى ولمراجعي العيادات[٢].

وقد تأسس مـستشفى باب شريف فـي مدينة جدة عام ١٣٠٨هـ؛، وكـان عبارة عن حوش به مجموعـة غرف من دور واحد وقد تم تحسينه وتنسيقه في عـهد الملك عبدالعزيز

(١) خير الدين الزركلي . المرجع السابق، ج١، ص٤٠٨.

(٢) خير الدين الزركلي. المرجع السابق.

وإضافة مبانٍ وأجهزة طبية إليه ليستوعب ٨٠ ـ ٩٠ سريرا[١]، وأقيم مستوصف لأمراض العيون، وجدد بناء إدارة الكورنتينات «الحجر الصحي» وجهز بعيادة خاصة للحجاج، وأقيمت المراقبة على الرصيف للحجاج وأُلحق بها مخبر للتحاليل الجرثومية[٢].

وفي المدينة المنورة كان يوجد مستوصف واحد فقط ولكن صدر أمر الملك عبدالعزيز برقم ٦٤/ ٣/ ٧ في ٣/ ١٢/ ١٣٥٦هـ بإنشاء مستشفى بالمدينة المنورة[٣].

لقد واجه الملك عبدالعزيز مشكلات عدة وذلك في سعيه لتصحيح الوضع الصحي وتطويره، وقد تطلب لحل هذه المشكلات جهدًا ووقتا، فقد كانت البيوت السكنية في منطقة الحجاز سيئة من الناحية الصحية إذ لم يكن الصرف الصحي لها جيدًا[٤]، وذلك لكون بعض هذه المساكن قد أنشئت منذ زمن طويل وأصبحت غير صالحة للاستعمال وبعض هذه المساكن قد بنيت بناءً شعبيًا لم يراع فيه الجودة وخاصة عند كثرة استعمالها في مواسم الحج.

أما في المشاعر المقدسة؛ فإن ترك الأضاحي ملقاة على الأرض كان سببًا لانتشار الأمراض التي تلوث الهواء بالملاريا والدوسنتاريا[٥]، ذلك لعدم القدرة على الاستفادة من هذه الأضاحي وفي الوقت نفسه لم يكن هناك جهود صحية كافية تسعى لوقف انتشار الأمراض من خلال تحلل الجثث وتعفنها، وهناك مشكلة الحجاز الأزلية وخاصة خلال

---

(١) يوسف الحميدان؛ محمد العيسى. «الإنجازات الصحية في عهد الملك عبدالعزيز من عام ١٣١٩هـ ـ ١٣٧٣هـ»، المؤتمر العالمي لتاريخ الملك عبدالعزيز، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض : ١٩ ـ ٢٣ ربيع الأول ١٤٠٦هـ)، ص٨.

(٢) بشير الرومي : المرجع السابق، ص ص ٤٧٠ ـ ٤٧٣.

(٣) يوسف الحميدان؛ محمد العيسى. المرجع السابق، ص٨.

(٤) Acting Consul Jordan to sir Austen Chambrlain-(Received September 14 1926) [E 5283/155/91) Records of the Hajj, vol.6.pp. 47-48.

(٥) المرجع السابق.

مواسم الحج وهي قلة الماء، ولذلك سعى الملك عبدالعزيز لتوفيره في مدينة جدة، حيث قام بوضع آلة تحلية جديدة تقوم بتحلية الماء، والذي أصبح ينتج ١٧٠ طنا يوميا، ذلك أن المحول القديم كانت سعته ٣٠ طنا بالإضافة إلى أنه قد أصبح عديم الفعالية، وبهذا أصبح سعر الماء في متناول الجميع[١].

ب - المرافق الصحية في موسم الحج:

اهتم الملك عبدالعزيز منذ أن دخل الحجاز بتوفير الظروف الصحية الملائمة للحجاج، ففي موسم حج عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م أصدر تعليماته بأن تؤسس في منى ومزدلفة وعرفات نقاط إسعاف صحية للحجاج[٢].

كما حثت هذه التعليمات على أن يقوم المطوفون بإرسال مرضاهم وموتاهم إلى نقاط الإسعاف في منى ومزدلفة وعرفات، ونصت كذلك أن يحفر في منى من عشرين إلى ثلاثين حفرة كبيرة خاصة بدفن الأضاحي التي يضحي بها الحجاج[٣]. وقد تبرع بمبلغ من المال في موسم عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م خصص لتحسين الأحوال في منى. كما كانت هناك ترتيبات خاصة بمجزرة الأضاحي إذ تم بناء حظيرة خاصة محاطة بالسياج[٤]. وقد قام الملك عبدالعزيز في موسم حج عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م بتوفير المياه، وعمل مظلات للحجاج في الطريق بين منطقة عرفات ومدينة مكة المكرمة محاولاً توفير الراحة للحجاج في تنقلاتهم، وعمل على توفير عدد من سيارات الإسعاف الكبيرة التي تسير بين مدينة مكة المكرمة ومنطقة عرفات في موسم الحج لتحمل من الأرض الحجاج المتخلفين في

(١) Acting Consul Jordan to sir Austen Chambrlain-(Recceived September 14 1926) [E 5283/155/91) Reccords of the Hajj, vol.6.pp. 47-48.

(٢) أم القرى، العدد ٧٦، في ٤/ ١٢/ ١٣٤٤هـ، ص٤.

(٣) أم القرى ، المرجع السابق.

(٤) From Consul Stonehewer-Bird to sir Austen Chamberlain, (Received October 17, 1927) [E. 438/249/91] Records of the Hajj: Vol. 6. p. 126

الطرقـات لإسعافـهم، وكان مـجمـوع من حمل فـيها ممـن أصابتهـم ضربة الشمـس ألفاً وخمـسمائة حاج، وكلهـم حملوا إلى المراكز الصحية ولم يمت من الحجـاج سوى ٢٥٠ حاجا أكثرهم من كبار السن[١].

ولقـد تطورت الخدمـات الطبـية المقـدمـة للحجـاج ، فـفي موسم عـام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣١م كـان يوجد في مـدينة جـدة عـدد من المستـوصـفات في وسط البـلد إضافـة إلى المستشفى الرئيس[٢].

أما في مكة المكرمة؛ فإن المستشفى الرئيس لا يبعـد عن المسجد الحرام كثيرا، وقد تم إنشاء مـستشـفى مؤقت صـغير في منى بـسعة ١٢ سـريرا، وذلك لتقديم خـدماته الطبـية للحـجاج. كـما تم تـوفيـر الخدمـات الطبـية في كل من المدينـة المنورة، والطريق بين مكة المكرمة وعـرفات، والطريق بين مكة وجدة، وقد كـانت الأوضاع الصحيـة أفضل في هذا الموسم، فالطرق الرئيسـة كانت نظيفة، حيث كانت ترش بالماء بمعـدل ثلاث مرات يوميا، وذلك لمنع تطاير الرمـال[٣]. وفي مـوسم ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٢م طور المستـشـفى الرئيس في مكة المكرمة فقـد كانت التجهيـزات تشمل ٦٨٢ سريرا، بالإضافـة إلى ٤٠ سريرا تضاف عند ازدياد العمل[٤].

وأصـبح مسـتـشفى مـنى المؤقت يسع حـوالي ٢٤ سريرا يعـمل أيام مـوسم الحج، ويلحق به الموظفـون من مكة المكرمـة ويسـتخـدم في الحالات الطارئـة لتقـديم الخدمـات الإسعافية، حيث تحول الحـالات الخطيرة إلى مكة المكرمة، أما الطريق من مكة المكرمة إلى

(١) أم القرى، العدد ١٨١، في ١٩/١٢/١٣٤٦هـ، ص١.

(٢) Report on the Pilgrimage. of1931, (A. H. 1349), British Documents on Foreign Affairs, [E. 2865/100/25] Vol,14 pp 126-128.

(٣) المرجع السابق.

(٤) From Sir A. Ryan to Sir John Simon - (Received September 27, 1932.) (No. 379) [E 4942/ 103/25] Records of Hajj: Vol. 6. p. 497.

منطقة عرفات فقد أنشئ فيه تسعة عرائش للإسعافات الأولية مزودة بالإنارة ولوحات الإعلان والمياه متوافرة، وفي عرفات وفر الملك عبدالعزيز ست شاحنات وست سيارات صغيرة ودراجة نارية واحدة، وزودت كل سيارة بكمية من الأدوية الضرورية، إضافة إلى العناية بجثث الموتى[١].

وفي موسم ١٣٥١هـ/ ١٩٢٣م كانت هناك زيادة عددية في الموظفين الرسميين والعاملين في المجال الطبي مقارنة مع الأعوام السابقة، وذلك في كل من مكة المكرمة التي تطور العمل في المستشفى الرئيس بها وخاصة في أقسام الأشعة والتحليل، ومدينة جدة التي تم تطوير المستشفى فيها حيث أجري عدد من الإصلاحات الفنية فيها[٢].

كما أنشئ مستوصف في مركز مدينة جدة في سوق الندى مجهز بصيدلية فيها كافة أنواع العلاجات، وفيها مستشفى في حارة اليمن مستعد لقبول المرضى ولإجراء سائر أنواع العمليات، ولمديرية الصحة في المدينة المنورة مستوصف قرب باب السلام مجهز بصيدلية تحوي سائر أنواع العلاج، وفيها مستشفى لإيواء المرضى، وللصحة في ينبع والطائف مستوصف ومستشفى تقدم خدماتها الطبية للجميع[٣].

وفي موسم ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م تطور وضع المستشفيات، حيث وصلت أجهزة الأشعة بالمستشفى الرئيس في مكة المكرمة وتم إرسال أربعة طلاب إلى مصر كي يتعلموا استخدام الأشعة[٤].

وفي موسم ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٨م كان قسم الأشعة يعمل بصورة جيدة وعليه إقبال كبير، وتم تجهيز المستشفى بجهاز تعقيم بالبخار. أما المستوصف الخارجي فكان جيد

---

(١) From Sir A. Ryan to Sir John Simon - (Received September 27, 1932.) (No. 379) [E 4942/ 103/25] Records of Hajj: Vol. 6. p. 497-498.

(٢) Report on The Pilgrimage. of1933, (A. H. 1351), British Documents on Foreign Affairs, Vol, 14,p. 222.

(٣) أم القرى، العدد ٥٥٦، في ٩/٥/١٣٥٤هـ، ص١.

(٤) From Mr. Calvert to Mr. Eden - (Received August. 25, 1936.) [E 5367/27/25] Records of Hajj: Vol. 7. p. 114

التجهيز وتوجد وحدة تطهير تعمل بصورة جيدة، ومن ناحية أخرى أسهمت جمعية الإسعاف الخيرية بصورة إيجابية في تقديم الإسعافات الأولية إلى الحجاج الذين يصابون بالانهيار الناتج عن ضربات الشمس[١].

ج ـ البعوث الطبية الأجنبية:

كانت تصل بعوث طبية إسلامية في فترة موسم الحج موفدة من حكومات عربية وإسلامية مثل مصر والسودان وسورية ولبنان والجزائر وأفغانستان والباكستان والهند وجزر الهند الشرقية للعناية بشؤون الحجاج الصحية من رعاياها، وتخضع أثناء إقامتها بالحجاز لأنظمة وتعليمات الحكومة السعودية[٢].

فقد كانت سفارات هذه الدول تقوم بفتح مستوصفات أو عيادات لاستعمال مرضى رعاياهم الموجودين في البلاد، فكان هناك مستوصف السفارة البريطانية الذي يقوم على حساب حكومة الهند وكان يديره طبيب هندي يرافقه صيدلي، وهو مخصص لعلاج أفراد الجالية الهندية القادمين لغرض الحج والعمرة، ويستقبل كذلك الحالات التي تطرق بابه من أبناء جدة طوال العام حيث يقل عليه الضغط والإقبال[٣].

وكانت هناك عيادة السفارة الهولندية التي تقوم على حساب حكومة جاوه التي كانت مستعمرة هولندية ويديرها طبيب جاوي وصيدلي، ثم قامت حكومة إيطاليا بفتح عيادة لها في جدة بعد احتلال ليبيا وكان يدير هذه العيادة طبيب إيطالي، كما كانت هناك عيادة روسية حينما كانت روسيا ممثلة دبلوماسيا في جدة ويدير هذه العيادة طبيب

(١) From Mr. Trott to Viscount Halifax - (Received August. 29, 1938.) (No. 165) [E 5064/25/25] Records of Hajj: Vol. 7. p. 285

(٢) فؤاد رضا. «تعريف بوضعنا الإداري. مدرسة الصحة العامة»، المنهل، المجلد ٩، السنة التاسعة الجزء ١١ و ١٢ ذو القعدة وذو الحجة، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، ص٣٨٢. وانظر فؤاد حمزة. البلاد العربية السعودية، ص٢١٢.

(٣) عبدالعزيز عمر أبوريد. المرجع السابق، ص ص ٣٣ ـ ٣٤.

وصيدلي روسي[١]، بالإضافة إلى ذلك كانت هناك مستوصفات التكية المصرية بالقرب من الصفا وكانت تقوم بالغرض نفسه[٢].

وحرصا من الملك عبدالعزيز بتنظيم أمور هذه السفارات والقنصليات فقد أصدر الأمر السامي بالموافقة على نظام الأطباء والصيادلة وسواهم من الموظفين الصحيين والمستوصفات والأدوية التابعة للحكومات الأجنبية والملحق منها بالبعثات السياسية أو القنصلية أو التي ترد مؤقتا في موسم الحج[٣].

وهذا النظام يتكون من أربعة فصول، شملت تسع عشرة مادة، ومن أبرز ما تميز به هذا النظام اشتراط الحكومة السعودية أن يكون لديها علم بأسماء من تعينهم دولهم كأطباء أو الصيادلة وذلك كتابيا وتوضح هذه الدول المهام التي سوف تناط بهم، مع إرفاق صور من شهاداتهم العلمية[٤].

وحرصت الحكومة السعودية أن يكون عمل هؤلاء ضمن البعثة السياسية أو القنصلية التي تقدم الطلب. كما ركز هذا النظام على ضرورة التنسيق بين إدارة الصحة والطبيب المرخص له بمزاولة المهنة، أما الأطباء القادمون من الخارج مؤقتا وبرفقة الحجاج أو من يعينون للخدمة المؤقتة في موسم الحج من الأطباء والصيادلة المقيمين في الحجاز فتكون علاقتهم مع إدارة الصحة علاقة مباشرة، ومن خلال هذا النظام حرص الملك عبدالعزيز أن تكون هذه البعثات الطبية تحت السيطرة السعودية، لذلك لم يكن للأطباء أو الصيادلة أو سواهم من الموظفين الصحيين التابعين للحكومات الأجنبية سواء كانوا ملحقين بالبعثات السياسية أو القنصلية لتلك الحكومات أو القادمين مؤقتا لمرافقة الحجاج في موسم الحج أية حصانة أو امتياز أو إعفاء أو منحة. وفي المقابل؛ فإن المستوصفات

(١) محمد علي مغربي. أعلام الحجاز، ج١ ، ص١٩٩.

(٢) حسين عبدالله عابد . مطوف (مقابلة شخصية).

(٣) أم القرى، العدد ٥٦٥ ، في ٦/٧/١٣٥٤هـ، ص٢.

(٤) أم القرى، المرجع السابق.

تابعة للحكومات الأجنبية كانت خاضعة للشروط الصحية نفسها، التي تكون سارية لفعول على المستوصفات الأخرى. أما فيما يتعلق بالدواء، فقد أجاز النظام أن تعفى لأدوية التي يدخلها الأطباء والصيادلة أو المستوصفات التابعة للحكومات الأجنبية من رسوم بناء على طلب رسمي يقدم لذلك[1].

ورغبة من الملك عبدالعزيز في بقاء هذه البعوث الطبية في منطقة الحجاز خلال واسم الحج لكي ترى تلك الجهود الصحية السعودية المبذولة في هذا المجال وبالتالي يضع حداً للأقاويل التي تدعي تدهور الوضع الصحي في المنطقة وفي الوقت نفسه لكي لا كون لأي من هذه الدول فرصة للتدخل في أمور المنطقة بتلك الحجة، ومن خلال هذا لنظام نجد أن الملك عبدالعزيز قد حرص أن تكون هذه البعثات الطبية الأجنبية تحت لسيطرة السعودية، بحيث تكون متفرغة من أجل الأهداف التي جاءت من أجلها وليس لأمر آخر[2].

وفي الوقت نفسه كان الاهتمام بتنظيم أمور الأطباء والصيادلة العاملين في الدولة السعودية، حيث أصدر الملك عبدالعزيز تعليماته أنه لا يجوز لطبيب أو صيدلي تعاطي المهنة في المملكة الحجازية إلا بعد أخذ تصريح من مديرية الصحة، التي عليها أن تعطي هذا التصريح إلى الطبيب أو الصيدلي بعد التحقق من هويته، وأنه من ذوي الأخلاق الفاضلة، وأنه حائز على شهادة من إحدى المدارس الطبية المعتبرة، أما الأطباء والصيادلة الذين يزاولون مهنتهم في منطقة الحجاز قبل نشر هذه التعليمات فيعطى لهم تصاريح بمزاولة المهنة بشرط أن يكون لدى الأطباء شهادة تدل على أنهم درسوا العلوم الطبية في إحدى المدارس، ولكن إذا كان برنامج التعليم في هذه المدارس قاصراً محدداً فلمديرية الصحة العامة أن تحدد صلاحيتهم وأعمالهم والأدوية التي يستعملونها، أما الأطباء

(١) أم القرى، العدد ٥٦٥، في ٦/ ٧/ ١٣٥٤هـ، ص٣.

(٢) «تعليمات للأطباء والصيادلة»، أم القرى، العدد ٩١، في ٣/ ٣/ ١٣٤٥هـ، ص٤.

المتخصصون بطب الأسنان والصيادلة إن لم يكونوا من حائزي الشهادة المدرسية فيجب أن يكون مضى على وجودهم في الحجاز وهم يزاولون مهنتهم فيه مدة لا تقل عن السنوات العشر[١].

ثانيا ـ وسائل الخدمات الصحية والوقائية في الحج:

سعى الملك عبدالعزيز في بداية الأمر لوضع البنية الأساسية في مجال الصحة، ومن هنا كان تكليف الدكتور محمود حمدي حمودة بإعادة تنظيم الدوائر الصحية والإشراف عليها[٢]، فقد أمر بتعيين لجنة لفحص الموقف الصحي بدقة في الحجاز، ووضع خطة لإعادة تنظيمه، وأن يقدموا تقريراً عن الإجراءات الضرورية التي يجب اتخاذها لكي يتجنب تكرار الكوارث الصحية[٣].

أ ـ الوسيلة الأولى : إنشاء مصلحة الصحة العامة.

اهتم الملك عبدالعزيز بتطوير التنظيم الصحي وتحديثه في الحجاز، وذلك بإنشاء مصلحة الصحة العامة على النظام الحديث سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م وجعل مقرها مكة المكرمة وفروعها بجدة والمدينة المنورة والرياض، كما أُنشئت إدارة خاصة لمنطقة مكة المكرمة، وإدارة خاصة للحجر الصحي في جدة[٤].

وكانت إدارة الصحة العامة في بداية تأسيسها تتألف من مدير عام، ومعاون له، ومفتش عام ورئيس للصيادلة يساعده صيدليان قانونيان، وبضعة موظفين، يضاف إلى هذا ديوان يشتمل على رئيس وسكرتير ومترجم وكُتاب، وترتبط بالإدارة العامة شعب

---

(١) «تعليمات للأطباء والصيادلة»، أم القرى، العدد ٩١، في ٣/ ٣/ ١٣٤٥هـ، ص٤.

(٢) فؤاد حمزة. البلاد العربية السعودية، ص٢٠٧.

(٣) Acting Consul Jordan to sir Austen Chamberlain-(Received September 14 1926) [E 5283/155/91) Records of the Hajj, vol.6.pp. 47-48.

(٤) فؤاد حمزة. البلاد العربية السعودية، ص ص ٢٠٧ ـ ٢١١.

حاسبة والسجل والإحصاء والمستودعات، وقد تولى إدارة دائرة الصحة الدكتور محمود حمدي بك حمودة[١].

وتولت هذه الإدارة تحسين وتنظيم الموجود من المستشفيات والمستوصفات، وتأسيس مستشفيات جديدة وإدخال جميع الوسائل الكفيلة بتعميم منافعها وقد أُلحقت أغلبها صيدليات، وتوافرت فيها الأدوية المجانية وجيء ببعض الأطباء المختصين العامين[٢].

ومن أهم مهام مديرية الصحة العامة سواء في مكة المكرمة أو مديريات صحة المناطق القيام بعمليات لقاح واسعة عند كل ضرورة ضد الجدري وغيره من الأمراض للوقاية، وتُصدر خلال موسم الحج تعليمات وإرشادات صحية عامة للحجاج والسكان فيما ينبغي عليهم اتباعه من القواعد الصحية، والتحذير من لسع البعوض وضربات الشمس ونحو ذلك، كما تنشر بين كل آونة وأخرى نشرات ومقالات لبعض أطبائها عن الحشرات ومضارها وطرق إبادتها وبعض الأمراض وطرق الوقاية منها[٣].

ونلحظ أن مديرية الصحة العامة تقوم بالإسهام والاستشارة في المشاريع العامة، وهي تتعاون في ذلك مع الدوائر ذات العلاقة كمشاريع المياه وتعبيد الطرق ومراعاة النظافة، ثم الإسهام والاشتراك في المؤتمرات الصحية العالمية، وتطبيق الأنظمة المحلية والقوانين الدولية في المحاجر الصحية والسير بموجبها، وتعميم اللقاحات ضد الأوبئة، ثم تأسيس مستشفيات سيارة في الجهات التي ليس فيها أطباء وتأسيس المستوصفات

(١) فؤاد رضا. «تعريف بوضعنا الإداري. مديرية الصحة العامة»، المنهل، المجلد ٩، السنة التاسعة الجزء ١١ و ١٢ ذو القعدة وذوالحجة، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، ص ص ٣٧٧ - ٣٨٧.

(٢) عبدالله محمد الشهيل. فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة ١٣٣٣هـ - ١٣٥١هـ دراسة تاريخية تحليلية، ط١ (الرياض، دار الوطن ١٤٠٧هـ)، ص٢١١.

(٣) فؤاد رضا. «تعريف بوضعنا الإداري. مديرية الصحة العامة»، المنهل، المجلد ٩، السنة التاسعة الجزء ١١ و ١٢ ذو القعدة وذوالحجة، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، ص ٣٨٢.

والمستشفيات وإنماء عددها والاهتمام بتعيين الأطباء الاختصاصيين في المراكز الكبيرة والمدن العامة[١].

كما كانت تقوم بالإسهام في صياغة الأنظمة الطبية الخاصة بالمملكة، التي أسهمت في وضع القواعد الصحية الأولي في البلاد، ومن أهم هذه الأنظمة التي تمت موافقة الملك عبدالعزيز عليها نظام مصلحة الصحة العامة والإسعاف، والذي صدر في عام ١٣٤٥هـ[٢]، ونظام الطبابة والصيدلة في الحجاز، الذي صدر في عام ١٣٤٦هـ[٣]؛ ونظام التطعيم ضد الجدري، الذي صدر في عام ١٣٤٩هـ[٤]؛ ونظام الاحتياطات الصحية للوقاية من الأمراض المعدية الذي صدر في عام ١٣٤٦هـ[٥]. ومن هنا كانت انطلاقة هذه الإدارة بتوجيهات من الملك عبدالعزيز بتطوير الجوانب الوقائية الصحية في مكة المكرمة، حيث كانت تلك النصائح الصحية والطبية التي كان الدكتور محمود حمدي حمودة ينشرها في جريدة أم القرى بين الحين والآخر لمنع انتشار الأمراض والأوبئة، حيث نادى بتطبيق قواعد صحة البيئة في مكة المكرمة[٦].

وقد قام بصياغة تعليمات خاصة لباعة الخضر واللحوم والخبز وباعة المأكولات والمشروبات من لدن إدارة الصحة، كذلك وضع تعليمات للبيوت التي ينزل فيها الحجاج للحفاظ على صحتهم ومنع الازدحام فيها[٧].

---

(١) أديب الحبال. «من مظاهر نهضة إدارة الصحة العامة»، المنهل، مجلد ٨، السنة الثامنة، الجزء ١١ و١٢، ذو القعدة وذوالحجة، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م، ص ص ٤٣٧ ـ ٤٤٢.

(٢) أم القرى، العدد ١١٢، في ١/٨/ ١٣٤٥هـ، ص٤، وينبع في الأعداد ١١٣، ١١٤، ١١٥.

(٣) أم القرى، العدد ١٩١، في ١٢/٣/١٣٤٦هـ، ص٢.

(٤) أم القرى، العدد ٢٩٧، في ٢١/٣/١٣٤٩هـ، ص٣، واستكمل نشر النظام في الأعداد ٢٩٨، ٢٩٩.

(٥) أم القرى، العدد ٥١١، في ١٩/٦/١٣٥٣هـ، ص٣، واستكمل نشر النظام في الأعداد ٥١٢، ٥١٤.

(٦) محمود حمدي. «التدابير والتشكيلات الصحية في مكة المكرمة»، أم القرى، العدد ١١، في ٢٦/٧/ ١٣٤٣هـ، ص٤.

(٧) محمود حمدي/ المرجع السابق.

ثم بعد ذلك أخذت العناية بالحجاج نمطا آخر فقد كان ذروة التنظيم الإداري للشؤون الصحية هو إنشاء وزارة الصحة في عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م وتعيين الأمير عبدالله الفيصل وزيراً للصحة، وقد كانت الوزارة المنطلق فيما بعد للمشاريع الصحية[١]، التي من أهمها مستشفى الملك عبدالعزيز ومستشفى الولادة بباب الشام في مكة المكرمة[٢].

ب ــ الوسيلة الثانية : إنشاء جمعية الإسعاف الصحي.

لقد كان المرضي في الماضي يلاقون صعوبات جمة للوصول إلى المستشفيات، وقد تألفت خلال الحرب السعودية اليمنية لجنة من المواطنين قاموا بجمع التبرعات للعناية بالإسعاف الصحي بين الجنود، ثم تحولت هذه اللجنة بعد الحرب إلى جمعية الإسعاف وكان مركزها في مكة المكرمة[٣].

وقد تكونت جمعية الإسعاف الخيري في عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م، حين صدر القرار السامي رقم ٢٣٠٦ في ٢/ ٣/ ١٣٥٤هـ بتشكيل الجمعية برئاسة الأمير فيصل بن عبدالعزيز[٤].

وقد أوضحت المادة الثانية من نظام جمعية الإسعاف الخيري أن هذه الجمعية قد تأسست لعدة أغراض منها تقديم الإسعافات الطبية السريعة لضحايا الأخطار والجرحى والمصابين بعاهات أو ضعف أو عجز ينتابهم في الطرق أو في أية جهة كانت، ونقلهم بعد إجراء العلاجات الأولية ثم مد يد المساعدة بكل الوسائل الموجودة لديها في حال انتشار الأوبئة أو حلول كارثة كبرى كالحريق وغيره بالتعاون مع مديرية الصحة فيما يتعلق بالأمور الصحية. كما كان من أهداف الجمعية تعضيد كل عمل وهيئة من نوع هذه

(١) يوسف الحميدان؛ محمد العيسى، المرجع السابق، ص١١.

(٢) علي حافظ. المرجع السابق، ص ص ٣٤٣ ـ ٣٤٤.

(٣) فؤاد حمزة. البلاد العربية السعودية، ص ٢١٤.

(٤) محمد طاهر الكردي. المرجع السابق، ج٢، ص٢٢٦.

الجمعية يكون غرضها إنسانيا محضا(١).

وقد استمرت في تدعيم الخدمات الطبية، وإغاثة المصابين من ضحايا الحوادث بشتى أنواعها وفي حدود إمكاناتها، معتمدة في ذلك على مواردها غير الثابتة التي تعتمد على الإعانة الملكية، وما تقدمه وزارة المالية(٢). وفي موسم ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٩م قامت الجمعية بإلقاء عدد من المحاضرات من لدن الأطباء للحجاج حول مواضيع مختلفة مثل الأمراض التناسلية والدرن والملاريا والكوليرا(٣).

ج ـ الوسيلة الثالثة : إقامة مراكز صحية على طريق الحج.

وقد وضعت إدارة الصحة نظامًا استمر في استخدامه سنويا في مواسم الحج، ويتلخص في إقامة مراكز صحية في الطريق بين مكة إلى عرفات وتزويدها بالأطباء والموظفين الصحيين والأدوية والماء، وتعرف هذه المراكز نهارا بالعلم الأخضر وليلاً بالعلم الأبيض، أما مواقع هذه المراكز فكانت في المنحنى، ومجر الكبش، ومنى، ووادي النار، والمجزرة، ومزدلفة، وعرفات، وكان عمل هذه المراكز يبدأ في السابع من ذي الحجة وينتهي في اليوم الثالث عشر من ذي الحجة(٤)، وهذه المراكز عبارة عن مظلات يوجد فيها طبيب ورجال صحة وكمية من الماء، فيها ما يلزم للإسعاف من أدوية ووسائط لنقل المرضى والطرحاء والمشمسين، ويستدل على المراكز أثناء النهار بالأعلام(٥). كما صدر الأمر بأن تتكون هيئة صحية يناط بها تقرير نظافة الحج من الأمراض المعدية، وذلك في

---

(١) أم القرى، العدد ٥٥٧، في ١٦/ ٥/ ١٣٥٤هـ، ص١.

(٢) محمد طاهر الكردي. المرجع السابق، ج٢، ص٢٢٦.

(٣) From Mr. Trott to Viscount Halifax - (Received October. 18, 1939.) [E 7015/98/25] Records of Hajj: Vol. 7. p. 322.

(٤) أم القرى، العدد ٧٨٤، في ١٨/١١/١٣٥٨هـ، ص٥.

(٥) أم القرى، العدد ٥٥٦، في ٩/ ٥/ ١٣٥٤هـ، ص١.

عام ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م، وكـان قبل ذلك يصدر ببـلاغ صحي[١]. وخصص في عـرفات مسـتشفى سـيار يقـيم فيه المرضى الذين تـقتضي حـالتهم الصحـية الإقـامة، ويجري فـيه الإسعـاف. كما يجري في جـميع المراكز الصحـية وتطوف سيـارات الصحة متـعاونة مع سيـارات جمعـية الإسعـاف الخيري للنقل إلى مـستشـفى مكة أو منى أو عرفـات، وتقوم سيارات الصحة يوم الوقوف بعرفة بنقل الحجاج الذين تمكنهم حالهم الصحية من الانتقال من مستـشفى مكة إلى مستشفى عـرفات ليشهدوا الحج في ذلك اليـوم وتعيدهم إلى مكة وتقام مستوصفات في بحرة ورابغ والمسيجيد لخدمة المسافرين بين جدة ومكة والمدينة[٢].

د ـ الوسيلة الرابعة: الإشراف الصحي على منازل الحجاج.

ومن ضمن الـوسائل الصحـية والوقـائية التي اسـتخدمـها الملك عـبدالعـزيز خلال مواسم الحج مـراقبة مساكن الحـجاج والإشراف عليهـا صحيا. تلك المسـاكن التي كانت أغلبها مـساكن شعبية لا تتـوافر فيها الإضاءة الصحـية والفرش اللازم[٣]، وقد كانت هذه البيوت لا يتجاوز ارتفاعها من أربعـة إلى خمسة طوابق، وكان يتم إسكان الغرفة الواحدة من ستة إلى ثمـانية حجاج[٤]. وقد وضع نظام أصدرته مديرية الصـحة العامة يرى أن كل منزل يسكنه الحجاج يـجب أن يكون تابعًا للتفتيش الصـحي، ويجب على الشخص الذي يريد أن يعدَّ الدار الذي بحيازته للحـجاج أن يقدم طلبا رسميا إلى مصلحـة الصحة العامة والإسعاف قبل إسكان الحجاج للكشف عليـها وأخذ التصريح الصحي لذلك، ويجب أن تكون البيوت المعدة لسكـنى الحجاج صحية خالية مـن الأمراض وصالحة للسكن، ويجب على المطوف أن يخصص سـجلا يسجل فـيه اسم الحاج وعمـره وجنسيته وصنعـته ورقم جوازه وتاريخ وصوله إلى جدة وإلى مكة وخروجه إلى عرفات وعودته وذهابه إلى المدينة

---

(١) يوسف الحميدان؛ محمد العيسى. المرجع السابق، ص٩.

(٢) خير الدين الزركلي. المرجع السابق، ج١، ص ٤٠٦.

(٣) حسين عبدالله عابد. مطوف (مقابلة شخصية).

(٤) محمد أمين إسماعيل سيف الدين. مطوف (مقابلة شخصية).

المنورة لزيارة المسجد النبوي ورجوعه إلى بلاده، ويجب على المطوف أن يحافظ على نظافة البيوت ولاسيما الماء والمراحيض فيها[١].

وقد تكونت لجنة صحية إدارية للتفتيش على منازل الحجاج وهدف اللجنة خدمة الحجاج صحيا واجتماعيا وتوفير الراحة لهم وتوفير المسكن الملائم لهم، وتقوم اللجنة بالكشف على المنازل وتقدير استيعاب كل غرفة من المنزل بنسبة مساحتها على أن تكون المساحة المخصصة التي يجب أن تخصص لكل حاج مترين مربعين. كما يجب قيد مساحة كل غرفة فوق بابها مع مقدار ما تستوعبه من الحجاج على مقتضى هذه النسبة، ويجب أن تكون البيوت صحية ويمنع الطبخ في الغرف التي ينام فيها الحجاج، حيث يجب أن تعين مواضع خاصة للطبخ بمعرفة اللجنة[٢].

هـ ـ الوسيلة الخامسة : نشر الوعي الصحي لدى الحجاج.

ومن وسائل الخدمات الصحية والوقائية خلال مواسم الحج، التي قام الملك عبدالعزيز بنشرها بين الحجاج تثقيفهم ووعيهم في المجال الصحي، وفي نطاق هذه المهمة سعت مديرية الصحة العامة إلى إصدار العديد من النشرات والتعليمات خلال مواسم الحج تبين الأوضاع الصحية، وهذه النشرات تشمل الوضع الصحي خلال أيام عرفات ومنى. كما أنها تشمل أعداد الحجاج، وتبين أعداد الوفيات وأسبابها وأهم الأمراض التي تحدث عادة خلال موسم الحج من ضربات الشمس وغيرها، وطرق الوقاية من الأمراض الأخرى بنشر السلوكيات الصحية بين الحجاج، وطرق الوقاية من الأمراض الخطيرة والنظافة الشخصية في المأكل والمشرب والملبس خلال فترة وجود الحجاج في المشاعر المقدسة[٣].

(١) أم القرى، العدد ١١٧، في ١٣٤٥/٩/٨هـ، ص٣.

(٢) أم القرى، العدد ٧٢٥، في ١٣٥٧/٩/٥هـ، ص٥.

(٣) محمد السلاح. عبدالعزيز والحج، ص ص ١٣٢ ـ ١٣٥.

وهذه النشرات تصدرها إدارة الصحة العامة في نهاية كل أسبوع، وهي ولا شك نشرات تتسم بالشمولية حيث توضح عدد المرضى الداخلين إلى مستشفياتها والخارجين منها والمتوفين بها ومراجعي مستوصفاتها من المرضى بمكة المكرمة وبقية مدن المملكة العربية السعودية، وتتولى جريدة أم القرى التي تصدر في مكة المكرمة بنشرها باستمرار[1]، ففي عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م أوضحت النشرة الصحية أن المراكز الصحية المعلن عنها متصلة بعضها ببعض ومتصلة كلها بمستشفى مكة ومستشفى منى، كما بينت النشرة أن لمصلحة الصحة سيارات كبيرة تتجول بين المراكز طيلة أيام الحج في الليل والنهار لإسعاف المتعبين، ونقل المرضى إلى المراكز والمستشفيات بحسب الحاجة[2]. وأوضحت نشرات موسم ١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م للحجاج أن يراجعوا عند شعورهم بأي ألم أو مرض المستشفيات والمستوصفات التي كانت تحدد في النشرات، ومن أهمها مستشفى مكة في حي أجياد، كما كانت توضح أهم العيادات التي تقوم بعلاج المرضى وهي الأمراض الباطنية والجراحة والمعالجة بالكهرباء والأمراض العينية والنسائية والولادة وطب الأسنان، وفيه مخبر لفحص الدم بالقشعات والبول وغيرها من سائر التحاليل التي يطلبها الأطباء، ويدير هذه الأقسام أطباء اختصاصيون[3]. كما اهتمت هذه النشرات بالإيضاح للحجاج أن لا يعرضوا أنفسهم للشمس مباشرة، حيث يمكنهم التجول والطواف والسعي في أطراف النهار وأن عليهم أن يظلوا في أماكنهم وخيامهم طيلة وقت الهاجرة وأن يضعوا على رؤوسهم الماء البارد أو الثلج أو الاستحمام عند شعورهم بأقل دوخة أو غثيان أو ارتفاع في الحرارة إذا هم تعرضوا للسير في الشمس وأن يحملوا معهم الشماسي إذا اضطروا للتجول في وقت الهجيرة[4]. والجدير بالذكر أن هذه النشرات ليست فقط

---

(١) فؤاد رضا. «تعريف بوضعنا الإداري. مديرية الصحة العامة»، المنهل، المجلد ٩، السنة التاسعة الجزء ١١ و ١٢ ذو القعدة وذوالحجة، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، ص٣٨٢. وانظر فؤاد حمزة. البلاد العربية السعودية، ص ص ٢١١ ـ ٢١٢.

(٢) أم القرى، العدد ٦٣٧، في ١١/١٢/١٣٥٥هـ، ص٧.

(٣) أم القرى، العدد ٧٨٤، في ١٨/١١/١٣٥٨هـ، ص٥.

(٤) أم القرى، العدد ١٤٢٦، في ١/١٢/١٣٧١هـ، ص٣.

موجهة للحجاج؛ بل كذلك هناك نشرات وإرشادات موجهة نحو المطوفين، ففي ١٠/ ١٢/ ١٣٤٤هـ أصدرت مديرية الصحة العامة توجيهات صحية وافق عليها الملك عبدالعزيز نصت أن على المطوفين ومشائخ الجاوه أن يقدموا جدولاً بأسماء حجاجهم إلى مديرية الصحة، وعليهم أن يرسلوا مرضاهم من الحجاج القادرين على المشي إلى إدارة الصحة بهدف التشخيص، أما المصابون بالأمراض السارية فينقلون إلى المستشفى، أما المرضى من الحجاج غير القادرين على المشي فيقوم المطوفون ومشائخ الجاوه بإخبار إدارة الصحة عنهم التي تكلف بإرسال الطبيب إلى محل المريض لإجراء الكشف عليه دون أخذ أجرة، ولإدارة الصحة الحق في تفتيش منازل الحجاج واتخاذ ما يقتضي لتأمين الصحة العامة من حجز محلات المرضى المصابين بالأمراض السارية ومنع الاختلاط بهم[١]، كما أن إدارة الصحة أوجبت على المطوفين توجيه النصيحة للحجاج بعدم التعرض للشمس، وأن يستخدموا الوسائل الصحية في التخلص من الفضلات[٢]. وفي عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م كان هناك تعليمات وجهتها إدارة الصحة العامة السعودية إلى شركات بواخر الحجاج ووكلائهم، حيث لاحظت إدارة الصحة العامة وجود عدد من المرضى والضعفاء والمسنين بين الحجاج عند قدومهم بالبواخر، ولاشك أن أمثال هؤلاء بحاجة حين نزولهم من البواخر إلى عناية خاصة، ولذلك فقد طلبت إدارة الصحة من أطباء بواخر الحجاج أن يكتبوا بيانا بالحجاج المرضى والضعفاء والمسنين الذين هم بحاجة إلى عناية خاصة أثناء نزولهم إلى الميناء، وأن يحمل كل حاج من هؤلاء بطاقة صفراء تتدلى من عنقه يذكر فيها باللغة العربية والإنجليزية اسمه، ونوع مرضه، ورقم جواز سفره، واسم المطوف أو الوكيل الذي يرغب فيه، وينبغي نزول هؤلاء الحجاج من البواخر من سلم خاص أو من أية جهة خاصة من البواخر وتتولى سلطة الحجر الصحي أو السلطة الصحية في ميناء النزول العناية بنزولهم باستخدام «لنش» المستشفى عند الاقتضاء أو استخدام الوحدة الصحية

(١) أم القرى، العدد ٧٤، في ٢٣/ ١١/ ١٣٤٤هـ، ص٤.

(٢) أم القرى، العدد ١٤٢٦، في ١/ ١٢/ ١٣٧١هـ، ص٣.

المعدة بالرصيف[١]، وهكذا، نجد أن النشرات والتعليمات الصحية الوقائية التي تصدرها مديرية الصحة للحجاج وللأهالي بصفة عامة مستمرة سنويا بهدف نشر الوعي الصحي، ومنع حدوث الأمراض والأوبئة خلال مواسم الحج[٢].

و ـ الوسيلة السادسة : الحجر الصحي.

ومن الوسائل الصحية والوقائية في مواسم الحج الحجر الصحي، ويعود تاريخ الحجر الصحي في العصر الحديث إلى القرن الخامس عشر الميلادي حينما أسست حكومة البندقية محجراً صحيا في عام ١٤٢٣م على إحدى الجزر القريبة من مدينة البندقية، وفي القرن التاسع عشر الميلادي انتشر وباء الكوليرا في أوربا وأمريكا الشمالية وادعت المصادر الصحية لهذه الدول أن منطقة الحجاز، وبسبب الحج، كانت مصادر ذلك الوباء[٣].

ويرجع تاريخ الجهود التي بذلت لإيقاف الأمراض والأوبئة عن طريق الحج إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر، وبحلول عام ١٨٩٢م كان توجيه الإجراءات الصحية والمحجرية للحج تحت الرقابة الدولية التي استمرت حتى عام ١٩٥٧م وفي ذلك الوقت تخلت منظمة الصحة العالمية عن جميع المسؤوليات إلى حكومة المملكة العربية السعودية[٤]. والمحجر الصحي في الحجاز يتألف من جزيرتي سعد أو أبي سعد والواسطة الواقعتين إلى الجنوب من جدة[٥].

---

(١) أم القرى، العدد ١٢٤٩، في ٢٠/ ٤/ ١٣٦٨هـ، ص٣.

(٢) انظر أم القرى، العدد ٢٢٩ في ٦/ ١٢/ ١٣٤٧هـ، والعدد ٤٦٧ في ٦/ ٨/ ١٢٥٢هـ، والعدد ٦٨٧ في ٤/ ١٢/ ١٣٥٦هـ.

(٣) David E. Long International Health Aspects of the Hajj.

دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الأول: مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الجزء الثاني (القسم الإنجليزي) الرياض : جامعة الرياض، ١٣٩٩هـ ، ص ص ١٨٣ ـ ١٩١.

(٤) David E. Long International Health Aspects of the Hajj.

دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الأول: مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الجزء الثاني (القسم الإنجليزي) الرياض : جامعة الرياض، ١٣٩٩هـ ، ص ص ١٨٣ ـ ١٩١.

(٥) عبدالقدوس الأنصاري. تاريخ مدينة جدة، ط٣ (القاهرة، دار مصر للطباعة، ١٤٠٣هـ) ص١٢٦.

وفي العهد الهاشمي سعت الحكومة البريطانية إلى التدخل في شؤون الحج وفرض رقابتها الصحية على الحجاج، وذلك من خلال المعاهدة التي عقدتها مع الشريف حسين، والتي طلبت أن يوافق على الترتيبات الصحية والمحجرية الموضوعة من لدن الحكومة البريطانية في كمران قياماً بنصوص الاتفاق الصحي الدولي سنة ١٩١٢م، وفي المقابل يقوم الشريف حسين بوضع التدابير المناسبة له في المنطقة، والموافقة على الأعمال التي يبذلها الرعايا البريطانيون المسلمون لمساعدة الحجاج في الحجاز[١]، لكن الحكومة البريطانية قامت تطالب الشريف الحسين بمنع حجر أي حاج، وترى أن محجرها في الطور في الشمال وكمران في الجنوب كافيان لحجر الحجاج[٢] وقد ادعت بريطانيا، وذلك في محاولة لفرض سيطرتها على شؤون الحج أن الحجر الصحي في مدينة جدة متعب للغاية، خاصة عندما يكون الحجاج مرتدين الإحرام، فالحجر الصحي في هذا المكان أكثر ازدحاماً ولابد أن يُنقل، خاصة أن الحجاج لابد أن يدخلوا حجراً صحيا في كمران[٣] أما الحجاج فقد كانت لهم شكاوى ومعاناة حول قلة المياه أثناء الحجر الصحي[٤] وعلى الرغم من محاولات بريطانيا لفرض محاجرها؛ فإن الحجاج كانوا يتذمرون من ذلك خاصة من محجر كمران، وقد تلخصت شكوى الحجاج الخاصة بهذا المحجر في عملية النزول من سفنهم إلى المحجر، والانتقال من الرصيف إلى محطة الحجر الصحي، وسوء الحمامات، وسوء إمدادات الطعام في كمران، وسرقة ممتلكاتهم من على متن السفن[٥].

وفي عهد الملك عبدالعزيز تطور الحجر الصحي ضمن الاهتمام العام بشؤون

---

(١) محمد حسين نصيف. المرجع السابق، ص ص ٨٩ ـ ٩٠.

(٢) محمد حسين نصيف. المرجع السابق، ص ١٠٢.

(٣) From E. L. L. Hammond Esq., c. b. e., Officiating Cihe Secretary to Government of Bihar and Orissa, No 1113-p (Received. February. 20. 1924) Records of Hajj. vol 5, p 564.

(٤) From Consul Bullard to the Marquess Curzon of Kedleston - (Received November 26, 1923) [E. 1123/120/91] Records of the Hajj: Vol. 5. p. 469.

(٥) From Mr. Bond to Mr. A. Henderson, (Received May. 12, 1930.) [E 242/54/91] Records of Hajj: Vol. 6. p. 221

الصحة والحج. ففي عام ١٣٤٥هـ صدر الأمر الملكي بفصل إدارة المحاجر الصحية عن مديرية الصحة العامة، وتمّ تكوين إدارة للمحاجر الصحية برئاسة الدكتور يحيى نصري في جزيرتي أبي سعد والواسطة للقيام بوظيفتها المحلية من معاينة ركاب السفن القادمين إلى ميناء جدة من الحجاج وغيرهم صحيا[١].

وكان الملك عبدالعزيز سنة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م ولتطوير حالة البلاد الصحية قد طلب الإسراع في إنهاء تصليح آلة تقطير المياه الموجودة في جزيرة أبي سعد مع آلة توليد الكهرباء لتكون صالحة للاستعمال مع تعيين مهندس ليقوم بتشغيلهما ، وترميم غرف جزيرة الواسطة لتكون قابلة للسكنى، وتسليم الزورق البخاري الذي كان يخص الشريف حسين مع صندل خزان الماء للمحاجر البحرية وتصليحها من لدن المحاجر[٢]. والواقع أن المحجر الصحي قد وفر له الملك عبدالعزيز كافة الإمكانيات اللازمة فقد خصص في الحجر الصحي أماكن للإدارة وأماكن لحجز ركاب الدرجتين الأولي والثانية، كما خصص أماكن لركاب الدرجة الثالثة وكانت هذه الأماكن مزودة بالاستعدادات التي لا غنى عنها لمواجهة الطوارىء كالمباخر والوحدة الكهربية وجهاز تكثيف المياه[٣].

وقد استمرت المملكة في تطوير الخدمات المقدمة للحجاج في المحاجر الصحية الموجودة بها حتى تصل بها إلى مستوى يرضى عنه الجميع، وحتى يتم التخلص في الوقت نفسه من نظام الحجر الصحي الدولي المفروض على الحجاج في الاتفاقية الصحية الدولية لعام ١٩٢٦م[٤]، ومن هذا المنطلق أصبح لإدارة المحاجر الصحية ومركزها الرئيس في

(١) فهد عبدالله السماري. «الملك عبدالعزيز وإجراءات الحجر الصحي الدولية في الحج»، بحث غير منشور، ص١٥.

(٢) «صورة قرار من الملك عبدالعزيز إلى فيصل بن عبدالعزيز خاص بتنظيم خدمات الحجاج»، مؤرخة في ١١/١١/١٣٤٤هـ، عبدالرحمن السبيت وآخرون. من وثائق الملك عبدالعزيز، ص ص ١٧٣ ـ ١٧٥.

(٣) محمد طاهر الكردي. المرجع السابق، ج٢، ص ٢٣٢، انظر حمزة، فؤاد. البلاد العربية السعودية، ص ص ٢١٥ ـ ٢١٦.

(٤) فهد السماري. المرجع السابق، ص٢٠.

جدة محاجر صحية ساحلية تتبعها في موانئ ينبع ورابغ والوجه وضبا وأملج والقنفذة وجازان والليث وفرسان وثول والقحمة وخريبة والحقل على شاطىء البحر الأحمر ومحاجر في رأس تنورة ورأس مشعاب والدمام على ساحل الخليج العربي[١]. كما قامت بتأسيس محجر صحي في العريض بالقرب من المدينة المنورة لإجراء المراقبة الصحية على الحجاج القادمين بالسيارات عن طريق البر[٢]، وقد قامت الحكومة السعودية في عهد تولي الأمير عبدالله الفيصل لوزارة الصحة في عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م ببناء المحجر الصحي في الجهة الجنوبية من مدينة جدة لحجر الحجاج المشكوك في وجود أمراض وبائية بينهم بدلاً من استعمال جزيرة أبي سعد لهذه الغاية، ويقوم هذا المحجر بحجر الحجاج القادمين من المناطق الموبوءة بالكوليرا وغيرها من الأمراض الوبائية حينما يكون ذلك لازماً منعا لا ختلاطهم بالحجاج الآخرين، ويتم نقلهم إلى المشاعر بعد انتهاء مدة الحجر[٣].

ولقد تم تطوير محجر جدة الصحي كي تصبح مدينة حجر مستقلة متكاملة، وتم افتتاح المحجر في ٢١ شعبان ١٣٧٥هـ بعد مضي مدة زمنية طويلة على إعداده وتهيئته في عهد الملك عبدالعزيز، ويتضمن مستشفى عاما ومستشفى عزل ومركزا وقائيا وأكثر من ١٥٠ مبنى أقيمت على حوالي ٢٢٩٠٠٠ متر مربع، بتكلفة تزيد على خمسة عشر مليون ريال ويقع المحجر الصحي في جنوب جدة[٤].

لقد كان الملك عبدالعزيز يسعى إلى تقديم خدمة صحية إلى الحجاج ترقى إلى مستوى الجهود المبذولة لهم، كما أنه كان من جانب آخر يهدف إلى إلغاء الإجراءات الصحية الدولية المفروضة على المملكة منذ عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م. ولقد أدت إلى تحقيق

(١) خير الدين الزركلي. المرجع السابق، ج١، ص٤٠٤.

(٢) أم القرى، العدد ٥٢٤، في ٢١/٩/١٣٥٣هـ، ص٢.

(٣) محمد علي مغربي. ملامح الحياة الاجتماعية، ص ١٥١.

(٤) عبدالقدوس الأنصاري. المرجع السابق، ص ص ١٣٤ ـ ١٣٦، وانظر المنهل، مجلد ١٣، السنة ١٣، الجزء الخامس، جمادى الأولى، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م، ص٢٤٤.

أهدافها سواء على المستوى الداخلي أو على المستوى الخارجي. فقد جاء قرار منظمة الصحة العالمية في عام ١٣٧٦هـ بإلغاء الإجراءات الصحية الدولية على الحج نتيجة مباشرة لتلك الجهود التي بذلها الملك عبدالعزيز واستغرقت أكثر من ثلاثين عاما[١].

ثالثا ـ الأمراض والأوبئة في مواسم الحج وسبل مكافحتها:

نظرا لكون الحجاز يجمع في أيام معدودات عشرات الألوف من الحجاج في أماكن محددة ومعينة، ونظرا لكون هذا التجمع البشري قد يؤدي إلى انتشار الأمراض وبالتالي قد تحدث الأوبئة عند عودة هؤلاء الحجاج إلى ديارهم، فقد أصرت دول كثيرة على عد منطقة الحجاز منطقة أمراض بسبب ذلك إلى حد أن بعضهم طالب بمنع إقامة شعائر الحج بسبب ذلك. والواقع أن هذا قد يكون فيه جانب من الحقيقة فيما سبق من العهود لكون الوضع الصحي في المنطقة في تلك الفترات يعاني من مشكلات عديدة سواء في الإمكانات أو القدرات.

ولا شك أن هذا التواضع في الإمكانات الصحية قد جعل الحجاز قديما مجالا لوجود الأمراض وانتشارها، ولعل من أهمها وباء الكوليرا[٢]. إن الخدمات الطبية الوقائية والاحتياطية قد تطورت كثيرا في العهد السعودي، فقد اهتم الملك عبدالعزيز اهتماما بالغا بشؤون الحجاج الصحية، ففي مواسم الحج تستدعي مديرية الصحة أكبر عدد ممكن من الأطباء من مختلف مناطق المملكة العربية السعودية إلى مكة المكرمة، حيث يتم توزيعهم على مستشفياتها ومستوصفاتها ومراكزها الصحية بمكة ومنى وعرفات للعمل بها ليل نهار[٣]. وتحرص المديرية على الصحة والنظافة العامة، وذلك بالاشتراك مع أمانة العاصمة والشعبة الصحية بمديرية الحج العامة وجمعية الإسعاف، وتصدر بعد انتهاء الحجاج من

---

(١) فهد السماري. المرجع السابق، ص ص٣٣ ـ ٣٤.

(٢) أهل مكة يعبرون عن الكوليرا بالشوطة، انظر محمد عمر رفيع. المرجع السابق، ص٢٢٨.

(٣) فؤاد رضا. «تعريف بوضعنا الإداري. مديرية الصحة العامة»، المنهل، المجلد ٩، السنة التاسعة، الجزء ١١ و ١٢ ذو القعدة وذو الحجة، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، ص٣٨٣.

أداء فريضتهم تقريرا طبيا عن الوضع الصحي للحج ومدى نظافته من الأمراض السارية، ويختم هذا التقرير بتوقيع مدير الصحة العام ومعاونه ورئيس صحة منطقة مكة والمفتش العام وعموم الأطباء ورئيس الصيادلة، ويتم نشر هذا التقرير بالجريدة الرسمية أم القرى[١].

وقد اهتم الملك عبدالعزيز بتنظيم الأمور الصحية ومكافحة الأمراض بقدر الإمكان لتطوير الوضع الصحي في منطقة الحجاز بصفة خاصة والمملكة العربية السعودية بصفة عامة، فقد كانت النشرات الصحية، التي تحمل في طياتها تعليمات وإرشادات صحية تبث التوعية الصحية التثقيفية للحجاج تصدر يوميا. كما كان يتم نشر التعليمات الصحية الخاصة بصحة البيئة والتوعية الصحية الشخصية كغسل الأطعمة قبل الأكل والنظافة الشخصية[٢].

وفي الوقت نفسه كان هناك تطوير وتحديث للجهاز الإداري والفني الصحي في المنطقة، هذا التطوير انعكس على الخدمات الصحية المقدمة في المشاعر المقدسة فقد كانت مديرية الصحة تمنع ذبح الأضاحي داخل الخيام أو بينها أو في أي مكان آخر في مكة ومنى وعرفات إلا في المجزرة، منعا لحدوث أي مرض قد ينتشر بسبب ذلك[٣]، ثم تقوم مديرية الصحة بإلقاء الأضاحي في حفر بعيدة عن منطقة منى وتواريها بالتراب، وكان يتم منع من يقوم بذبح الأضحية في داخل الخيمة أو بين الخيام[٤].

بالإضافة إلى ذلك تقوم مديرية الصحة برش المطهرات في شوارع منى للقضاء على الجراثيم[٥]، كما تقوم مديرية الصحة بالتفتيش على المنازل المعدة لاستقبال الحجاج ومدي

(١) فؤاد رضا. المرجع السابق.

(٢) أم القرى، العدد ١٤٧٥، في ٢٧/١١/١٣٧٢هـ، ص٤.

(٣) أم القرى. المرجع السابق.

(٤) عباس متولي حمادة. مشاهداتي في الحجاز (د. م، د. ن، د.ت)، ص٩٧.

(٥) مصطفى محمد. المرجع السابق، ص ١٣١.

ملاءمتها صحيا للسكنى. كما تهتم باستقبال كل حاج مريض في المستشفيات وعلاجه بالمجان، كما يوجد دوريات طبية تنتقل بين الحجاج لمعالجة من هو في حاجة للمعالجة بالمجان وإذا احتاج الأمر لنقل المريض إلى المستشفى حمله رجال الإسعاف إلى أقرب مستشفى[١].

لاشك أن الأمراض السارية والوبائية تنتشر بين الناس بأسباب مختلفة ومتنوعة، ولكن الأساس في ذلك هو عدم رعاية النظافة والطهارة في المأكل والملبس، ويعدّ المصدر الرئيس للأمراض الوبائية بين الحجاج شرب المياه الملوثة أو تناول الأطعمة القذرة وغيرها، التي تسبب أمراض حمى التيفوئيد والكوليرا والدوسنتاريا وحمى الملاريا.

أما في مواسم الحج؛ فإن من الأمور التي تساعد على وجود الأوبئة والأمراض تلك الأضاحي التي يتركها الحجاج معرضة للشمس والهواء، فيتطرق إليها التحلل من أول يوم من أيام العيد وتزداد في اليوم الثالث؛ وبالتالي فإن الداء يزداد فتكا بازدياد التحلل ويبقى على شدته بين الحجاج إلى ما بعد انصرافهم من منى.

وجه الملك عبدالعزيز اهتمامه نحو القضاء على الأمراض والأوبئة التي قد تظهر في مواسم الحج ومن خلال تتبع الوضع الصحي لفترة الدراسة نجد أن هناك تطورا ملموسا وواضحا نحو القضاء على الأمراض والأسباب التي تؤدي لوجودها. والواقع أنه من خلال دراسة هذه الأمراض والأوبئة التي ظهرت في السنوات الأولى من مواسم الحج لحكم الملك عبدالعزيز نجد أن الأسباب التي كان لها تأثير في زيادة عدد الإصابات والوفيات هي الازدحام في مواسم الحج بين الحجاج، والسبب الثاني يكمن في التحلل الذي يتطرق إلى الأضاحي التي تنحر في منى وتترك، أما السبب الثالث فهو في المساكن غير الصحية التي يسكنها الحجاج لرخص ثمنها، والتي لا يتجدد هواؤها، والسبب الرابع

(١) محيي الدين رضا. صور ومشاهدات من الحجاز (القاهرة: المطبعة التجارية الحديثة، ١٣٧٢هـ)، ص ص ١٧٥ ـ ١٧٦.

في عدم الوعي الصحي لدى بعض الحجاج[١]. ولقد بذل الملك عبدالعزيز جهوده لتوفير المناخ الصحي الملائم للحجاج لأداء فريضتهم، كما سعى لتحسين لوضع الصحي في مكة المكرمة حتى يوقف تلك الجهود التي تبذلها الدول الأجنبية لفرض القيود على مواسم الحج.

ومن خلال استقراء للسنوات التي حكمها نجد أن الوضع الصحي قد بدأ تحسنه تدريجيا إلى أن وصل للمستوى المطلوب.

أما أهم الأمراض التي كانت تنتشر في مكة المكرمة في تلك الفترة فهي الأمراض الصدرية، كالنزلة الشعبية، وذات الرئة، وضربة الشمس[٢] والاحتقانات الدماغية التي تكثر في الحر الشديد. وكذلك أمراض العين والكبد، وأمراض القناة الهضمية، والحميات الغيلية، والكوليرا، والجدري فإنه في مكة وفي سنة ١٨٩٥م كانت الوفيات به ٧٧٠ موبوءاً[٣]. ولاشك أن قسما من الحجاج يأتي من مناطق تنتشر فيها الأمراض المعدية كالطاعون والكوليرا والتيفويد والجدري، وبالتالي فالتجمعات الكبيرة مثل التي توجد في الأماكن المقدسة قد تصاب بهذه الأمراض، وقد بذل الملك عبدالعزيز الجهود لتحسين وسائل الراحة للحجاج، ومما ساعد كثيرا على ذلك ما قام به من منشآت صحية مهمة في المنطقة المقدسة، وبالتالي لم يحدث وباء بين الحجاج منذ عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م[٤]. ومن خلال دراسة الأمراض والأوبئة التي ظهرت في الحجاز نجد أن مكة لم تكن إطلاقا مصدرا للأوبئة، إذ إن هذه الأمراض تأتي إليها من خارج المنطقة، وخاصة أنها لا تبدأ بالظهور في

---

(١) عبدالغني شهبندر. المرجع السابق، ص ص ٨٣ ـ ٨٤.

(٢) يذكر كل من المطوف محمد أمين إسماعيل سيف الدين، وحسين عبدالله عابد أن أغلب الأمراض التي كانت تصيب حجاجهم بسبب ضربات الشمس وذلك لانعدام الكهرباء وبالتالي عدم توافر المراوح ومكيفات الهواء البارد.

(٣) عبدالغني شهبندر. المرجع السابق، ص ص ٧٨ ـ ٨٩.

(٤) المرجع السابق. «استهلال» ، بقلم مارتن، مدير الصحة والإسعاف بالمفوضية العليا، المرجع السابق، المقدمة، ص ص أ ـ ب.

الأشهر الستة الأولى من السنة الهجرية، فيظهر جليا أنها تأتي بمجيء الحجاج وتذهب بذهابهم[١]. والواقع أنه من خلال دراسة التقارير الصحية يتبين لنا تطور الوضع الصحي في المنطقة والاهتمام الذي حدث بالمرافق الصحية منذ عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م ففي هذا الموسم خلت منطقة الحجاز من أية أمراض معدية ذلك أن الأمراض المعدية الوحيدة قد حدثت على سفن قادمة من الهند إذ ظهر فيها وباء الكوليرا، كما ظهر فيها ثلاث حالات لمرض الجدري وثلاث حالات لمرض الالتهاب السحائي إلا أنه قد تمت السيطرة على هذه الحالات المرضية حيث وضعت سلطات الحجر الصحي السفن الهندية المحملة بالوباء في الحجر الصحي في جدة لمدة أربع وعشرين ساعة على الرغم من حصولها على شهادة صحية نظيفة من محجر كمران[٢] ونستطيع القول إنه من خلال العناية الصحية المبذولة والجهود المستمرة فقد تميزت مواسم الحج بخلوها من الأمراض والأوبئة، فموسم حج عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م كان نظيفًا خاليًا من الأمراض المعدية، وأن سائر من توفي من الحجاج كان بسبب الشيخوخة أو بضربة شمس، وسبب ذلك، أن بعض هؤلاء الحجاج كان يفضل السير مشيًا على قدميه في وقت الحر والشمس[٣]. ولكن ذلك لا يمنع القول من أنه قد ظهرت حالات فردية لمرض الجدري في المنطقة، وقد تبين أن هذا المرض قد قدم مع حجاج الجاوي، ولم تنتشر الأمراض المعوية والحصبة بشكل وبائي على الرغم من أنه كان هناك حالات مرضية بين الحجاج من مختلف الجنسيات إلا أن الحالات القاتلة كانت فردية وقليلة[٤]. وأوضح التقرير الصحي لموسم حج عام ١٣٤٥هـ لإدارة الصحة

---

(١) فؤاد رضا. «تعريف بوضعنا الإداري. مديرية الصحة العامة»، المنهل، المجلد ٩، السنة التاسعة الجزء ١١ و١٢ ذو القعدة وذو الحجة، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، ص٣٨٣.

(٢) Acting Consul Jordan to sir Austen Chamberlain-(Recceived September 14, 1926) [E 5283/155/91) Reccords of the Hajj, vol.6.pp. 45-46.

(٣) أم القرى، العدد ١٣١، في ١٣٤٥/١٢/١٧هـ، ص١.

(٤) From Consul Stonehewer Bird to sir Austen Chamberlain, (Received October 17, 1927) [E. 4387/249/9 Records of the Hajj: Vol. 5. p. 126.

والإسعاف عدم ظهور أمراض وبائية بين الحجاج الذين قدموا إلى مكة المكرمة، وقد أبرقت بذلك إلى المكتب الصحي الدولي في باريس ومجلس الكورنتينات «المحاجر الصحية» المصرية في مدينة الإسكندرية[١].

ففي موسم عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م لم يحدث أي مرض وبائي خلال أشهر الحج فالأمراض التي كانت شائعة بين الحجاج هي الدوسنتاريا والملاريا والإسهال، في حين أن هناك أعداداً قليلة تعاني من إصابات جلدية ومتاعب في التنفس وضربات الشمس أما حالات التهاب الشعب الهوائية والإصابة بالروماتيزم فكانت ضئيلة[٢]. كما يتضح أن حالات الوفاة التي حدثت للحجاج كانت بسبب كبر السن وشدة الحرارة، وبالتالي التعرض لضربات الشمس[٣]. كما أن أهم العوامل المسببة للمرض في موسم ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م يتجلى في الحجاج متوسطي الدخل الذين لم يحضروا معهم نقوداً كافية تمكنهم من استئجار مسكن صحي مناسب، كما أن العديد من الحجاج لم تكن لديهم معرفة بقواعد الصحة العامة والظروف الصحية المتاحة لهم، فبدلاً من ذبح الأضاحي في المجازر المخصصة لذلك كانوا يذبحونها حيث وُجدت، وبذلك تتحلل الجثث وتتعفن، أما فيما يتعلق بالمياه فقد كانت متوافرة في مكة وجدة، كما توافرت في عرفات ومنى، وقد سعى الملك عبدالعزيز إلى إقامة عدد من الآبار في منى ومزدلفة بالإضافة لوجود ستة مستودعات أقيمت للماء حيث يوزع مجانًا على الفقراء[٤]، وقد أوضح تقرير لإدارة الصحة العامة والإسعاف عن حج عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م أن الترتيبات الصحية كانت

---

(١) أم القرى، العدد ١٣١، في ١٧/ ١٢/ ١٣٤٥هـ، ص٣.

(٢) Report on the Pilgrimage. of 1928, (A. H. 1348), British Documents on Foreign Affairs, [E. 4867/58/91 Vol,14. p. 32.

(٣) From Consul Stonehewer Bird to sir Austen Chamberlain, (Received October 17, 1927) [E. 4387/249/9 Records of the Hajj: Vol. 6. p. 127.

(٤) From Mr. Bond to Mr. A. Henderson, (Received May. 12, 1930.) [E 2421/54/91] Records of Hajj: Vol. 6. p. 223

جيدة، حيث تم نقل المصابين إلى المراكز الصحية. كما تم رش الشوارع بالمياه والمطهرات، وكانت المظلات منصوبة على طول طريق مكة ـ عرفات، ونتيجة ذلك تقلص عدد ضربات الشمس، وتبين من السجلات أن نسبة الوفيات في هذه السنة أقل من السنوات السابقة، إذ إن عدد المتوفين من الحجاج في أيام الحج الأربعة وهي: يوم عرفة وأيام التشريق الثلاثة في منى بلغ ٢٤١ حادثة، منها ١٤٥ وفاة بالضربة الشمسية و٤٣ بالشيخوخة و٢ بالزحار و٥١ بأمراض عادية وخاصة التعب والإجهاد الذي كان يلاقيه كبار السن، وبناء على ذلك فقد عُدّ الحج نظيفًا[١]. كما قد أصيب بمرض الجدري عدد من الحجاج يصل عددهم إلى ٢٥٠ من بينهم ٧٠ جاويًا والباقي من نيجيريا، ويعتقد أن هذا المرض قدم من الحجاج الجاويين ونتيجة لذلك تم الاقتراح أن يتم التطعيم الإجباري لجميع الحجاج[٢]. وفي موسم حج عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م أعلنت الحكومة السعودية أن الحج لهذا العام كان خاليًا من الأمراض، إلا أن هذا القرار قد تعارض مع قرار مجلس العزلة الدولية مما جعل السلطات الصحية السعودية تقوم بإرسال نسخة من التقرير الخاص بنظافة موسم الحج الموقع من لدن ٢٦ طبيبًا منهم أطباء مسلمون وأطباء من غير المسلمين بما فيهم طبيب روسي متخصص في علم البكتيريا والأمراض الاستوائية وأُرسلت إلى بريطانيا وإلى بعض البعثات الأخرى ومجمل ما احتواه هذا التقرير قد بيّن أن الحج كان خاليًا من أي مرض وبائي[٣].

وفي موسم حج عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م واستنادًا إلى تقرير لهيئة الصحة بمكة المكرمة المؤرخ في ١٣/ ١٢/ ١٣٤٨هـ نجد أن الحج كان نظيفًا وخاليا من الأمراض الوبائية والسارية[٤].

---

(١) أم القرى، العدد ٢٣٠، في ١٧/١٢/١٣٤٧هـ، ص٢.

(٢) From Mr. Bond to Mr. A. Henderson, (Received May. 12, 1930.) [E 242/54/91] Records of Hajj: Vol. 6. p. 222

(٣) Report on the Pilgrimage. of 1930, [E. 3460/100/25], British Documents on Foreign Affairs, Vol,14. p. 89-90

(٤) أم القرى، العدد ٢٨٤، في ١٧/١٢/١٣٤٨هـ، ص١.

وقد حدث في موسم عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣١م أن ظهرت بعض حالات لمرض الجدري فقد كانت جميع السفن القادمة من المحجر الصحي في كمران خالية من الأمراض المعدية فيما عدا انتشار بعض حالات الجدري على الحجاج الذين قدموا على ظهر السفينة جهنكار «Jehangir» وقد تم عزل هذه الحالات عن الحجاج الآخرين وتم إرسالهم للمعالجة[١].

كما أسفرت الدراسات الطبية الفنية في الموسم التالي ١٣٤٩هـ/ ١٩٣١م التي قامت بها مصلحة الصحة العامة والإسعاف عن نفي وجود ميكروب الكوليرا، وقد صرح الجنرال ديجيه المفتش العام لمصلحة الصحة والمحاجر البحرية بالإسكندرية بتأييد نظافة الحج[٢].

وكان مجلس الصحة والكورنتينات البحرية في الإسكندرية أعلن أن حج عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣١م مشبوه بالكوليرا بسبب الحصول على بعض الجراثيم مما جعل إدارة الصحة في الحجاز؛ نظرًا لأهمية هذا الموضوع تتخذ التدابير السريعة إذ قامت بالتحريات الصحية فلم تتمكن من العثور على أية شبهة تؤيد إعلان مجلس الصحة[٣].

وقد احتجت حكومة الملك عبدالعزيز لاعتبار منطقة الحجاز منطقة ملوثة أو موبوءة من لدن مجلس الصحة إلى المكتب الصحي الدولي بباريس، وقد أرفقت الحكومة السعودية احتجاجها بصور من التقارير الصحية والفنية[٤]، وقد بحث المكتب الصحي الدولي احتجاج الحكومة السعودية واعترف بمجهودات الحجاز، وبخطأ مجلس الكورنتينات في الإسكندرية، وقد أقر في اجتماعه في باريس ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م الجهود

(١) Report on the Pilgrimage. of 1931, (A. H. 1349),[E 5862/100/25] British Documents on Foreign Affairs Vol,14, p. 124-125.

(٢) أم القرى، العدد ٢٩١، في ٨/ ٢/ ١٣٤٩هـ، ص٢.

(٣) أم القرى، العدد ٣٤٣، في ٢٤/ ٢/ ١٣٥٠هـ، ص٢.

(٤) أم القرى، العدد ٢٩٠، في ١/ ٢/ ١٣٤٩هـ، ص١.

الصحية الكبيرة المبذولة في منطقة الحجاز، وأثبت أنه لا صحة لوجود الكوليرا[١].

وقد كانت الظروف الصحية لموسم عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٢م بصورة عامة جيدة واستفاد الحجاج من البرودة النسبية في الموسم[٢].

وقد صدر التقرير الصحي موضحًا نظافة هذا الموسم وخلوه من الأمراض والأوبئة[٣]؛ إذ أعلنت إدارة الصحة العامة بمكة عن قدوم برقية من رئاسة الصحة البحرية والكورنتينات بجدة مفادها أنها تلقت من مجلس الكورنتينات بالإسكندرية برقية يعلن فيها نظافة حج هذا العام[٤]، فلم تكن هناك أمراض وبائية معدية، ولم تكن هناك حالات أو اشتباه في حالات طاعون أو كوليرا، وقد كان أبرز ما تعرض له الحجاج حالات ضربات الشمس، وكانت أكثر انتشاراً مما كانت عليه في عام ١٩٣١م، ولكن ذلك لم يتسبب في وفيات واضحة، ومن ناحية أخرى حدثت حالات متقطعة من التيفوئيد كما كانت هناك حالات الزحار والإسهال أقل بكثير مما كانت عليه في السنة الماضية[٥].

ولم يتم تطبيق أي من الإجراءات الصحية على سفن الحجاج أو الحجاج الذين وصلوا في هذه السنة ولكن تم اكتشاف حالة واحدة للجدري في سفينة أكبر «Akbar» أثناء وصولها إلى جدة في الأول من فبراير، كما تم اكتشاف حالة جدري أخرى على السفينة نفسها في ١٦ مارس[٦].

---

(١) أم القرى، العدد ٣٢٣، في ٢٥/٩/١٣٤٩هـ، ص١.

(٢) From Sir A. Ryan to sir John Simon-(Received September 27, 1932) [E 4942/103/25] Records of Hajj vol 6 p.496 496.

(٣) أم القرى، العدد ٣٨٤، في ١٦/١٢/ ١٣٥٠هـ، ص١

(٤) أم القرى، العدد ٣٨٦، في ٣٠/١٢/ ١٣٥٠هـ، ص٢.

(٥) From Sir A. Ryan to sir John Simon-(Received September 27, 1932) [E 4942/103/25] Records of Hajj vol 6, p. 499

(٦) From Mr. Calvert to sir John Simon-(Received August 16) [E 4704/30/25] Report on the Pilgrimage of 1933 (A. H. 1315) British Documents on Foreign Affairs, vol, 14, p. 22

. ومن جانب آخر صدر تقرير مرفوع من لدن مدير الصحة العامة إلى الملك عبدالعزيز بشأن الخبر الذي شاع عن ظهور داء الكوليرا في إدارة الكورنتينات في الطور، وقد ظهر بعد إجراء التحقيقات الصحية والفنية في الحجاز عدم العثور على أي أثر لهذا المرض[١]. وفي موسم حج ١٣٥١هـ/ ١٩٣٣م لم يوجد هناك أية أمراض وبائية أو معدية، حيث لم تظهر أية حالة خاصة بمرض الطاعون أو الكوليرا ولكن المقلق هي تلك التقارير التي نشرت حول انتشار مرض الجدري في الكويت في أواخر فصل الخريف وبالإضافة إلى انتشار المرض بطريقة وبائية في وسط الجزيرة العربية والمدينة، ولكن لم يوجد هناك دليل بأن المرض يتسم بالصفات الوبائية في أي مكان في البلاد فالحالات التي انتشرت بين الحجاج في مكة المكرمة ومدينة جدة كانت قليلة جداً، ولم تظهر هناك أية علامات على تفشي مرض الجدري، ولم يتم الإعلان عن حالة واحدة بين الحجاج[٢].

وقد تعرض الحجاج العائدين إلى بلادهم إلى بعض الإجراءات الخاصة، وذلك للتأكد من أن جميع الحجاج الذين هم على ظهر السفينة تعرضوا للتطعيم واللقاح ضد الأمراض، كذلك لم تحدث أية حالة لضربة الشمس ولكن سقوط الأمطار أدى إلى انتشار الأنفلونزا، وكذلك أدى إلى وجود مرض الملاريا وذلك بسبب وجود البعوض، أما الإسهال والدوسنتاريا فكانا أقل انتشارا عن العام الماضي أما حالات مرض التيفوئيد فكانت نادرة، وفيما يتعلق بالوفيات فلم تحدث وفيات من جراء أي مرض وبائي[٣]. وفي موسم ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م كانت الخدمات الصحية السعودية في معظمها مخصصة للقوات السعودية بسبب الحرب السعودية اليمنية، ورغم ذلك فقد كانت الأحوال الطبية

---

(١) أم القرى، العدد ٢٨٦، في ٣/ ١/ ١٣٤٩هـ، ص٢.

(٢) From Mr. Calvert to sir John Simon-(Received August 16) [E 4704/30/25] British Documents on Foreign Affairs, Report on the Pilgrimage, 1933 (A. H. 1351) p.p. 223-22.

(٣) From Mr. Calvert to Sir John Simon (Received August 16) [E 4704/30/25] British Documents on Foreign Affairs, Report on the Pilgrimage, 1933 (a. H. 1351) PP. 223-22.

بشكل عام جيدة(١).

وعلى الرغم من انتشار مرض الجدري بين المقيمين في مدينة مكة المكرمة ومدينة جدة إلا أنه لم ينتشر بين الحجاج، ولكن ظهرت بعض الحالات الفردية(٢)، فقد ظهر مرض الجدري لحاج بنغالي، حيث تم اكتشافه على ظهر السفينة جهنكار «Jehangin» كذلك تم ملاحظة حالتين من بين الحجاج الهنود واثنين من بين الحجاج الجاويين، وبعد انتهاء موسم الحج تم ملاحظة انتشار بعض حالات مرض الدوسنتاريا والإسهال بين حجاج السند وحالات الأنفلونزا والملاريا وحالات ارتفاع درجة الحرارة عند بعض الحجاج وتمت معالجتها بنجاح(٣).

وقد كانت الحالة الصحية للحجاج خلال مواسم الحج تتطور من سنة إلى أخرى ففي هذا الموسم تم تطعيم جميع الحجاج القادمين من الشمال وكذلك الحجاج القادمين من السودان، حيث اتخذت كافة الإجراءات الاحتياطية المتعلقة بالفحوص الطبية والتطعيم، وخضع الحجاج القادمون من الجنوب للفحص في كمران، وأعلن المكتب الصحي بأن عدد الوفيات قد وصل إلى ثماني عشرة خلال الأيام الأربعة من الموسم(٤).

وفي موسم حج عام ١٣٥٣هـ صدر بلاغ رسمي برقم ٢٦ حول تقرير الهيئة الصحية بوصف حج عام ١٣٥٣هـ نظيفا(٥)، فقد بينت وزارة الخارجية نص قرار الهيئة الصحية حول نظافة حج هذا العام، وذلك استنادًا إلى التقارير الصحية المعطاة من لدن

---

(١) Report on the Pilgrimage of 1934 (A. H. 1352) (E 5550/148/25) British Documents on Foreign Affairs, Vol, 14, p.p. 265-266.

(٢) Report on the Pilgrimmage of 1934 (A. H. 1352) (E 5550/148/25) British Documents on Foreign Affairs, Vol, 14, p.p. 265-266.

(٣) المرجع السابق.

(٤) Blackwood. P. "The Pilgrimage in 1934" The Moslem World. vol 25, (1935) p.p. 287-289.

(٥) أم القرى، العدد ٥٣٦، في ١٧/١٢/١٣٥٣هـ، ص٥.

أطباء المراكز مساء كل يوم، ثم اعتماداً على تقرير هيئة مستشفى منى المركزية وعرفات، وبالتالي فقد تحقق عدم مشاهدة أية إصابة بمرض سارٍ أو مشبوه، ومن هنا كان إعلان الهيئة الصحية نظافة حج هذا العام من الأمراض السارية والأوبئة المشبوهة(١).

ثم صدر تقرير للجنة الحج في المكتب الصحي الدولي أن الموسم يعد خاليا من الكوليرا والطاعون وأعلن رسميا عن نظافته في الطور، وأن الإصابات التي حصلت بالجدرى والزحار والأمراض الأخرى كانت نسبتها ضئيلة(٢).

فقد قامت السلطات السعودية في هذه السنة بفتح أربعة مراكز خاصة لتطعيم عامة الناس والحجاج كذلك، أما أهم الأمراض التي ظهرت في هذه السنة فهي الأنفلونزا، كذلك كانت هناك حالات شائعة كمرض الملاريا وضربات الشمس وذلك يعود إلى ارتفاع درجة الحرارة أثناء انتقال الحجاج إلى منى وعرفات وبعد الانتهاء من موسم الحج شاعت بين بعض الحجاج أمراض الدوسنتاريا والإسهال(٣).

كما برهن موسم حج عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م أن الحالة الصحية كانت جيدة وكانت الوفيات أقل عدداً من ذي قبل، ويستند ذلك إلى تقرير الهيئة الصحية بنظافة حج عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م وعدم مشاهدة أية إصابة لمرض وبائي أو مشبوه(٤).

أما الأمراض التي حدثت خلال هذا الموسم فهي تشمل مرض الجدري الذي كان أقل مما كان عليه في السنة الماضية بالرغم من إصابة عدد من الحجاج السودانيين والجاوي. كما ظهرت أمراض الأنفلونزا والملاريا والإسهال والزحار وهي أمراض ليست خطيرة

(١) أم القرى، العدد ٥٣٦، في ١٧/ ١٢/ ١٣٥٣هـ، ص٥.

(٢) أم القرى، العدد ٥٢٢، في ٧/ ٩/ ١٣٥٣هـ، ٢ ص١.

(٣) Report on the Pilgrimage 1935 (A. H. 1353) (E 5154/74/25) British Documents on Foreign Affairs, Vol, 14, p.p. 299-300.

(٤) عبدالغني شهبندر، المرجع السابق، ص٨٧.

وبالتالي لا تؤدي إلى ما يمكن أن نسميه وباء[١].

وقد ورد على إدارة الكورنتينات (المحاجر الصحية) برقية من رئيس مجلس الصحة البحرية والكورنتينات الدولية بالإسكندرية تفيد أن حج عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م نظيف وخالٍ من الكوليرا والطاعون أو أي أمراض معدية أخرى[٢].

وفي ضوء بيان السلطات الطبية السعودية والمؤكدة من لدن المسؤول الطبي الهندي ومندوب الحجر الصحي العالمي؛ فإن موسم حج عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م تميز بخلوه من الأمراض المشبوهة والمعدية[٣]، ولم يشاهد فيه أي مرض وبائي[٤].

وكان تقرير لجنة الحج المكونة من مندوبي المملكة العربية السعودية والعراق وإيران والهند البريطانية وهولندا والسودان والمستعمرات الإيطالية وتونس والجزائر ومراكش وأسبانيا وبريطانيا واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ورئيس مجلس الصحة البحرية والكورنتينات المصرية ومدير المكتب الصحي الدولي ومعاونه، الذي قررته في دورة أكتوبر لعام ١٩٣٥م والذي وافقت عليه الهيئة الدائمة للمكتب الصحي الدولي في اجتماعها المنعقد بتاريخ ٢٤ أكتوبر ١٩٣٥م، يوضح أن الحالة الصحية لمراكب الحجاج باعثة على الارتياح، والحالة الصحية في منطقة الحجاز جيدة[٥]. وقد سمعت اللجنة المذكورة تقرير مندوب المملكة العربية السعودية فيما يتعلق بالتحسينات سواء من جهة إيواء الحجاج أو من جهة الصحة المحلية[٦]، ثم تم الإعلان عن نظافة الحج وقدمت تهنئة

---

(١) From Mr. Calvert to Mr Eden- (Received August. 25, 1936) (No. 233 Confidential) [E 5367/27/25] Records of Hajj, vol 7, p115.

(٢) أم القرى، العدد ٥٨٩، في ١٣٥٤/١٢/٢٦هـ، ص٢.

(٣) From Mr. Calvert to Mr Eden- (Received August. 25, 1936) [E 5367/27/25] Records of Hajj, vol 7, p113.

(٤) أم القرى، العدد ٥٨٨، في ١٣٥٤/١٢/١٩هـ، ص٤.

(٥) أم القرى، العدد ٥٧٨، في ١٣٥٤/١٠/٨هـ، ص١.

(٦) أم القرى، المرجع السابق.

من اللجنة إلى حكومة المملكة العربية السعودية على الإنجازات والتدابير الصحية التي اتخذتها الحكومة فيما يتعلق بالطريق البري بين مدينة النجف في العراق والمدينة المنورة في المملكة العربية السعودية[١].

أما موسم ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م فلقد كانت صحة الحجاج جيدة ولم يتم تسجيل أية حالات من الكوليرا والطاعون والتيفوئيد، وكانت حالات الأنفلونزا أو الرشح سائدة بين الحجاج، وذلك بسبب الغبار[٢].

ولقد قامت البلدية في مدينة جدة بتوفير صفائح النفايات بالإضافة إلى عربات لتنظيف القمامة، أما مكة فقد تطورت فيها الأحوال الصحية، حيث تم تشييد مسلخٍ خارج المدينة وأصبحت اللحوم تنقل في عربات مغلقة إلى داخل المدينة، وفي عرفات ثم زراعة الأشجار وذلك لتوفير الظل وحماية الحجاج من ضربات الشمس، وفي منى تم رش الشوارع بالماء لمدة ثلاثة أيام[٣].

وقد حدث في مدينة جدة بعض من الوفيات في شهر يونيو وسبتمبر عام ١٩٣٦م، وأعتقد أن ذلك بسبب انتشار مرض الكوليرا ولكن في نهاية الأمر تم تشخيص الأمر أنه بسبب الملاريا[٤]، والواقع قد يحدث أن تختلط الأمور على الفنيين في تشخيص الأمراض فيتم تشخيص مرض بأنه مرض آخر، وذلك نتيجة لقلة الخبرة في هذا المجال. وقد عَدّ مجلس الصحة البحرية والكورنتينات الدولية بالإسكندرية موسم حج عام ١٣٥٥هـ/

(١) أم القرى، العدد ٥٧٨، في ٨/ ١٠/ ١٣٥٤هـ، ص١.

(٢) Report on the Pilgrimage 1937 (A. H. 1355) (E 4922/201/25) British Documents on Foreign Affairs, Vol, 14, p.p. 363-364.

(٣) المرجع السابق.

(٤) Report on the Pilgrimage of 1937 (A. H. 1355) (E 4922/201/25) British Documents on Foreign Affairs, Vol, 14, p.p. 363-364.

١٩٣٧م نظيفاً من الأمراض والأوبئة[١].

واستمر الوضع الصحي جيدًا في موسم ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٨م وكانت الأمراض المنتشرة هي الملاريا والتهاب الرئة والإسهال، ومعظم الوفيات كانت إما بسبب هذه الأمراض أو بسبب الشيخوخة وبعد الحج عولج عدد كبير من الحجاج من الأنفلونزا النزلية بسبب استنشاق الغبار في منى ومزدلفة[٢].

وقد أصدر المدير العام للصحة في هذا الموسم تعليمات إلى الجمهور بخصوص الإجراءات للحد من الملاريا وهذه خطوة في الاتجاه الصحيح، وقد دعمت بالأنظمة الأمر الذي سمح باستيراد الأدوية المضادة للملاريا مجانا بدون جمارك[٣].

وكان الملك عبدالعزيز حريصًا كل الحرص على أن يبرز للعالم أجمع مدى تقدم الوضع الصحي في المنطقة لينفي تهمة أن الحجاز هو مصدر من مصادر الأمراض والأوبئة المعدية.

ففي تقرير للجنة الحج في المكتب الصحي الدولي في عام ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٨م الذي اعتمدته لجنة المكتب الدائمة في دورة أكتوبر لعام ١٩٣٧م في الجلسة المنعقدة في ٢٥ من الشهر المذكور، أن اللجنة نظرت إلى البيان الذي قدمه الدكتور حمودة مندوب الحكومة السعودية عن تقدم الأعمال الصحية في الحجاز ووسائل الوقاية ضد الأمراض داخل البلاد وإزاء الحجاج، وعلمت بالخطوات التي خطتها الإدارة الصحية في اتخاذ الأسباب لمنع تسرب الأمراض والأوبئة للحجاز[٤].

وفي محجر الطور في مصر أعلنت اللجنة الدائمة لمجلس الحجر الصحي بالإسكندرية خلو الحجاج العائدين من الأراضي المقدسة في منطقة الحجاز من الأمراض المعدية، وذلك

(١) أم القرى، العدد ٦٤٠، في ٢٩/ ١٢/ ١٣٥٥هـ ص٥.

(٢) From Mr. Trott to Viscount Halifax - (Received August. 29, 1938) [E 5064/25/25] Records of Hajj, vol 7, p285.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٨٦.

(٤) أم القرى ، العدد ٦٧٦، في ١٥/ ٩/ ١٣٥٦هـ، ص٥.

في الرابع والعشرين من شهر فبراير لعام ١٩٣٨م وأن صحة الحجاج جيدة، حيث لا توجد حالة واحدة يمكن أن نعتبرها من الأمراض المعدية وأُغلقت محطة طور في الثلاثين من شهر مارس، وقد أعلن مجلس الحجر الصحي بالإسكندرية عن إغلاقه في الخامس من شهر إبريل لعام ١٩٣٨م[١].

وفي موسم ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٩م لم تظهر أمراض وبائية، وكانت الصحة العامة للحجاج جيدة أما الأمراض الأكثر انتشاراً فهي الملاريا والتهاب الرئة والإسهال والزحار، وتسبب هطول الأمطار الغزيرة في عرفات في عدة حالات من التهاب الرئة[٢]. وفي تقرير للجنة الحج في المكتب الصحي الدولي تقرر أن حالة الحجاج الصحية أيام الحج جيدة للغاية، وقد أعلن الحج نظيفًا، ولاحظت اللجنة تقدمًا في حالة الحجاز الصحية[٣]. وبناء على التقارير اليومية المعطاة من لدن أطباء المراكز الصحية مساء كل يوم من أيام الحج من اليوم السابع من ذي الحجة وبناءً على تقريري الهيئة الصحية في منى وعرفات وبناءً على عدم تحقيق أية إصابة حقيقية أو مشتبه بمرض فقد تقرر إعلان سلامة الحج في هذا العام من الأوبئة والأمراض السارية ونظافته نظافة تامة[٤]. وتطورت الأوضاع الصحية في الموسم التالي ١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م فقد أعلنت مديرية الصحة العامة أن الحج نظيف ويخلو من الأمراض الوبائية، وطبقا للقرار الذي توصلت إليه اللجنة الثانية للمؤتمر الصحي العالمي في باريس في اليوم التاسع والعشرين من شهر أكتوبر لعام ١٩٣٨م فقد قررت القنصلية البريطانية بأن الحج يخلو من الأمراض المعدية ومن الكوليرا[٥].

(١) From Mr. Trott to Viscount Halifax - (Received August. 29, 1938) (No. 165) [E 5064/25/25] Records of Hajj, vol 7, p284.

(٢) From Mr. Trott to Viscount Halifax - (Received October 18, 1939) [E 7015/98/25] Records of Hajj, vol 7, p321.

(٣) أم القرى، العدد ٧٣٢، في ٢/ ١١/ ١٣٥٧هـ، ص٥.

(٤) أم القرى، العدد ٧٣٨، في ١٤/ ١٢/ ١٣٥٧هـ، ص٥.

(٥) Records of Hajj, Reports on the Hajj of 1371 AH (1952), the Saudi Period (1935-1951), vol 7, p372.

وفي موسم عام ١٣٥٩هـ/ ١٩٤١م بلغ عدد المرضى المعالجين في المراكز الصحية السعودية «٢٨٢٩» شخصاً، ومن جهة أخرى قدر عدد الحجاج اليمنيين لهذا الموسم بنحو ٥٠٠٠ حاج، مروا جميعًا بالمراكز الصحية السعودية عند دخولهم منطقة الحجاز، ولقحوا ضد الجدري، وقد بلغ الذين لقحتهم السلطات الصحية السعودية ضد الجدري والكوليرا والتيفوئيد في موسم حج عام ١٣٥٩هـ/ ١٩٤١م «١٢٢٥» حاجًا قدموا كلهم بطريق البر ما عدا حجاج اليمن المذكورين[١]، ولم يتوف في عرفات ومنى خلال أيام الحج الأربعة غير ثلاثة أشخاص، مات أحدهم وسنه سبعون سنة متأثرًا من حروق واسعة، ومات اثنان بأمراض عادية، وبناء على عدم مشاهدة أي مرض سارٍ أو معدٍ؛ فإن الهيئة الصحية أثبتت في تقريرها نظافة حج هذا العام[٢].

ولم تظهر حالات جدري أو أمراض معدية خلال موسم ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م، حيث أعلنت مديرية الصحة العامة أن الحج يخلو من الأمراض المعدية، ومن جهة أخرى لم يلاحظ المسؤول الطبي الهندي أو يسمع عن وجود حالات لأمراض معدية في مكة أو منى خلال أيام الحج[٣]، وبلغ عدد الذين عالجتهم مديرية الصحة السعودية ٣٠٦٢ مريضًا. كما أن عدد الذين توفوا في أيام الحج بلغ عشرين شخصًا منهم خمسة عشر بأمراض عادية وخمسة بالشيخوخة[٤].

وكان معظم الحجاج الهنود في موسم حج عام ١٣٦٠هـ/ ١٩٤٩م مسنين وعجزة، وقد عانى الحجاج من بعض الأمراض البسيطة كالإسهال ومشكلات الجهاز الهضمي الأخرى المنتشرة أكثر من السنة الماضية، وفي بعض الحالات كان الإسهال شديدًا لدرجة أنه تسبب في ظهور أعراض مخيفة وكان التهاب الرئة والتهاب القصبات الهوائية ومشكلات

(١) أم القرى، العدد ٨٣٩، في ١٣٥٩/١٢/١٩هـ، ص٣.

(٢) أم القرى، المرجع السابق.

(٣) British Legation, Jedda, September 28 th, 1940 (2038/1268/5), Records of Hajj (1935-1951) vol 7, p. 458.

(٤) أم القرى، العدد ٨٨٨، في ١٣٦٠/١٢/١٥هـ، ص٢.

الصدر الأخرى والزحار منتشرة[١].

أما التقرير الصحي لموسم عام ١٣٦١هـ فقد أوضح أن عدد المعالجين قد بلغ ٤٩٤٨ حاجًـا، وأما من توفي في يوم عـرفة فقـد قدر بثلاثة أشـخاص وفي منى من اليـوم السابع لذي الحجة إلى اليوم الثالث عشر سبعة أشـخاص، بأمراض عادية وبالشيخوخة، وبالتالي فقد تقـرر نظافة حج هذا العام[٢]. ومن أبرز ما يتـعلق بتقرير حج مـوسم عام ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م أن المرضى بلـغ عـددهم في سـائر أيام الحج ٥٣٧٦ مـريضًـا، أدخل مـنهم في المستشفى ٤٧ حاجًا، وقدم للبـاقين العلاج المناسب، وقد توفي طيلة أيام موسم الحج سبعة أشخاص بأمراض الشيـخوخة وأخرى غير معدية، أربعة منـهم في يوم عرفات، وقد تقرر نظافة حج هذا العام[٣]. وأعلنت إدارة الصحة العامة خلو الحج من الأمراض المعدية وكان أبرز الأمراض هي الإسـهال والزحـار والملاريا وكان هناك هطول غـزير للأمطار في الليلة التالية ليوم الحج عندما لم يكن لدى الحجاج أي مـأوي، وكان التهاب القصبات وأمراض الصدر والحلق الأخرى منتشـرة هذه السنة نتيجة للتعرض للبرد والمطر، وقـد كان موجودًا في جمـيع أقسام الإسـعاف بالمستـشفيات طبـيب طوال الوقت، كما تم اسـتقدام طبـيبين جديديـن أحدهما اخـتصـاصي أمراض جلدية والآخـر طبيب أسـنان، إضافة إلـى وجود بعض الصـيـادلة الجـدد الذين عـملـوا طوال السنة[٤]. ووضح تقـرير مـوسم حج عـام ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م أهمية الرعاية الصحية التي تقـدم للحجاج خلال فترة الحج، فقد نقل من مسـتشفى مكة إلى عـرفات بالسيارات أربعـة عشر حـاجًا شهدوا الموقف في عـرفات وأعيدوا إلى مستشفى مكة، كما بلغ عدد الذين عولجوا في المراكز الصحية طيلة أيام الحج ٥٦٤٠ حاجًا، أدخل منهم في مسـتشفى عرفات ثمانية أشخاص، وفي مـستشفى منى ٤٥

---

(١) British Consulate, Jedda, September 24, 1942 (No. 39) (1758/1268/2), Records of Hajj, vol 7, p. 458.

(٢) أم القرى، العدد ٩٣٩، في ١٧/١٢/١٣٦١هـ، ص٧.

(٣) أم القرى، العدد ٩٩١، في ٢٧/١٢/١٣٦٢هـ، ص٢.

(٤) British Consulate, Jedda, August 4, 1944 (No. 75) (E5148/83/25), Records of Hajj, vol 7, p. 499.

مريضًا ونقلوا جميعًا إلى مستشفى مكة، أما الوفيات فقد بلغ عددهم ١٢ حاجًا، وذلك خلال الفترة الممتدة من يوم ٦/ ١٢/ ١٣٦٣هـ إلى ١٢/ ١٢/ ١٣٦٣هـ، حيث توفي حاج واحد فقط في اليوم السابع من ذي الحجة، ولم تحدث بعدها في يومي الثامن والتاسع من ذي الحجة أية وفاة، ثم توفي بمزدلفة حاجان، كما توفي في منى تسعة من الحجاج الباقين[١].

وقد كان من أبرز الأمراض التي أدت إلى وفاة هؤلاء الحجاج أمراض الشيخوخة والضعف العام، وكان ثلاثة من الحجاج الاثنى عشر الذين توفوا غير سعوديين والتسعة الباقين من المواطنين السعوديين، وقد أعلنت الهيئة الطبية السعودية وذلك من خلال التقارير الطبية اليومية التي كانت تصدر خلال أيام الحج عن عدم حدوث أي مرض سارٍ أو مشبوه، وبالتالي قررت نظافة حج ذلك العام[٢].

وأعلنت إدارة الصحة العامة في المملكة العربية السعودية خلو موسم الحج من الأمراض المعدية والخطرة، وأكد ذلك المسؤول الطبي الهندي وأطباء الحكومة السودانية، وكانت الأمراض المنتشرة بين الحجاج هي الملاريا والإسهال والزحار، وكان معظم الحجاج القادمين من الهند مسنين وضعافاً وبالتالي ليست لديهم القوة الجسمانية لتحمل مشاق الحج، وقد هطلت الأمطار بصورة متواصلة لمدة ساعتين في يوم عرفات وكانت الليلة التالية لذلك باردة ورطبة في مزدلفة، حيث معظم الحجاج بدون مأوى وكان التهاب القصبات وأمراض الصدر والحلق الأخرى منتشرة كما في حج السنة الماضية وكانت هناك حالة جدري ماء واحدة بينهم[٣].

أما موسم ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م فقد كان نظيفًا إذ أعلنت إدارة الصحة العامة

(١) أم القرى، العدد ١٠٣١، في ١٦/ ١٢/ ١٣٦٤هـ، ص٢.

(٢) أم القرى. المرجع السابق.

(٣) British Consulate, Jedda, February 10, 1946 (No. 18) (3199/1473/4), Records of Hajj, vol 7, p. 606.

السعـودية خلو الحج من الأمراض المعـدية، وأكد ذلك المسؤول الطبي الـهندي، حيث لم يلاحظ أية حالة للأمراض المعدية خلال أيـام الحج بمكة أو المدينة، وكان الإسهال والزحار والتهـاب القصـبات وحـمى النفاس هي الشكاوى العـامة وخـاصة بين الحجـاج والهنود المسنين وضعاف الأجـسام، وعلاوة على ذلك كانت الملاريا والتهاب الرئـة أكثر الأمراض انتشاراً[١].

وفي موسم حج العـام التالي ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م لم يبلغ عن أية حـالة للجدري أو أي مرض معد، وأعلنت الصحة العامة السـعودية خلو الحج من الأمراض المعدية كما أكد ذلك المسـؤول الطبي الهندي الذي لم يسـمع أو ير حالة لمرض مـعد خـلال الحج في مكة المكرمة أو المدينة المنورة، وفيما يتعلق بالأمراض كان الإسهال والزحار والتهاب القصبات والتهاب المجاري الهوائية هي الشكاوى العامـة لدى الحجاج خاصة بين المسنين والضعاف منهم بالإضافة إلى ذلك كانت الملاريا والتهاب الرئة من أكثر الأمراض انتشاراً[٢].

وفي تقرير حج موسم عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م أوضح أن عدد المراجعين في المراكز الصحـية قـد بلغ ٣٨٤٦ حاجًـا، كمـا أوضح أن أبرز من توفي في يوم عرفـة كان حـاجًا مصريًا وذلك بسبب الشـيخوخة[٣]. كما توفي في منى وفي مزدلفـة ٢٩ حاجًا، وقد نقلت سيـارة الصحة وجمـعية الإسعـاف الخيري ٦٥ حاجًـا مريضًا من مكة إلى عرفـات حيث شهدوا موقف عرفة وأعادتهم إلى المستـشفى بمكة، وفيما يتعلق بنظافة حج عام ١٣٦٦هـ فقـد كانت النظافة جيـدة في منى، حيث قامت الأمـانة بدفن الأضاحي، وقد تقـرر نظافة حج عام ١٣٦٦هـ[٤].

---

(١) From Mr. Clarke to Mr. Bevin (Received 1st April, 1974) (No. 50) [E 2799/369/25] Records of Hajj, vol 7, p.p 669-670.

(٢) British Legation, Jedda, June 7 th 1947, (No. 76) (742/1/47), Records of Hajj , vol 7, p. 702.

(٣) أم القرى، العدد ١١٨٠، في ٢٣/ ١٢/ ١٣٦٦هـ، ص٣.

(٤) أم القرى، العدد ١١٨٠، في ٢٣/ ١٢/ ١٣٦٦هـ، ص٣.

والواقع أنه عندما حدث أن انتشر مرض الكوليرا في مصر في مناطق القليوبية والشرقية كثفت الحكومة السعودية جهودها لمنع تسرب هذا المرض إلى البلاد، وقد صدر تقرير عن الحالة الصحية في المملكة بسبب ذلك، كما تكونت هيئة عليا بأمر من الملك عبدالعزيز اتخذت الإجراءات والاحتياطات الصحية حيال القادمين جواً من مصر، كما قامت بحجز الطائرات والبواخر في جزيرة أبي سعد. كما تم منع دخول الأطعمة من مصر، وقد طلبت الحكومة السعودية اللقاحات والمطهرات اللازمة من الهيئات الصحية الدولية، ومن جانب آخر قامت الدوائر الصحية السعودية بنشر النصائح الطبية في الصحف المحلية لتجنب هذا المرض، وقامت بسد البرك في عرفات والفتحات الموجودة على قناة عين زبيدة[1]. كما قامت بالتفتيش الصحي في الأسواق ومراقبة المطاعم وأماكن البيع، كما أنها أعدت تعليمات خاصة للمطوفين والزمازمة وصبيانهم للمحافظة على نظافة حجاجهم والتأكد من خلوهم من هذا المرض. كما اهتمت بمراقبة بيوت الحجاج مراقبة صحية، وجهزت المستشفيات في مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة لكي تكون على أتم الاستعداد في حال وجود أي حالة لهذا المرض[2].

ويرجح أن من أسباب الوفيات في الحجاز في موسم الحج أن عدداً من الحجاج الذاهبين إلى مكة ضعفاء متقدمين في السن حتى أن بعضهم لا يذهب إلا بقصد أداء فريضة الحج والموت بالأراضي المقدسة، إذ إن نسبة الوفيات بعد الحج أكبر من قبل الحج[3]، ومن زاوية أخرى نرى أن مرض الجدري من الأمراض المعتادة أكثر بين الحجاج فقد سجلت في عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م (٥٤٥) إصابة بالجدري ، و(١٩٨) وفاة، أما وباء الطاعون فلم يلبث أن ظهر في السنة التالية بجدة عن طريق قوافل الحجاج الوافدين

---

(١) أم القرى، العدد ١١٧٨، في ١٨/١١/١٣٦٦هـ، ص٢.

(٢) أم القرى، المرجع السابق.

(٣) وصفي عمر. «الحج إلى بيت الله الحرام»، المنهل، مجلد ١٣، السنة ١٣، الجزء الخامس، جمادى الأولى، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م، ص٤٤٨.

من اليمن التي كـان يسودها ذلك الوباء حـينذاك، أما الحجـاج فلم تظهر بينهم غـير بضع إصابات عند رجوعهم[١].

ولم يكن حـرص السلطات السعـودية على العناية بصـحة حـجاجـها في الأمـاكن المقدسة ومنطقة الحجاز فـقط؛ بل شملت هذه العناية أيضًا حرص هذه السلطات على منع دخول هـذه الأوبئة إلى المنطقـة، فقـد أصدرت إدارة الصـحة العامـة في موسم حـج عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م قراراً باعـتبار غرب البـاكستان سليـمة من وباء الكوليرا لبـعدها عن المناطق الموبوءة لإعلان منظمة الصحة العاليـة حول ذلك، وعلى هذا تلغى القيود الصحية التي فـرضت على حجـاج تلك المنطقـة، وفي الوقت نفسـه تعـد الهند وشرقي باكـسـتـان منطقـتين موبوءتين بمرض الكوليـرا؛ وبالتالـي فهي تمنع قـدوم الطائرات من هذه المناطق. كما أنها ستقوم بحجز ركاب البواخر لإجراء الفحوصات الطبية لهم، ثم إعطاؤهم شهادة صحية بذلك عملاً بالمواد أرقام ١٣ و٩١ و٩٣ من الاتفاقية الصحية الدولية[٢]. كما قررت السـماح لـلحجـاج بالدخـول لمدينة جـدة إذا لم يحـدث على البـاخرة أي حـادث بمرض الكوليرا، أما البواخر المتجهة إلى مـدينة جدة من الهند وشرقي الباكستان، التي لا تزال في عرض البـحر؛ فإنهـا تُلزم بدخول مـحجر كـمران، وإذا حدث أن رفـضت ذاك، فإنه يمنع حجاجها من دخـول منطقة الحجاز حتى ينتهي الوباء، أما في حـال وجود إصابات كوليرا على ظهر السفن القادمة إلى الحجاز أثناء رحلتها بعـد كمران، فتقوم إدارة الحجر الصحي بجدة بحـجز الحجاج وعـمل الفحص لهم وتطبيق مـا يلزم من التدابير المحجـرية المقررة، وأداء الرسوم الـتي تتقاضـاها الحكومة من الحـجاج لهـذا الغرض، وقـد طلبت السلطات السعودية ضـرورة أن تلتزم الحكومات الأخرى بالاتفـاقية الصحيـة الدولية لعام ١٩٣٦م، وذلك بعدم السـماح بسفـر المصابين بالأمراض الوبائيـة؛ ولذلك فإن عمل الفـحوص من

(١) وصفي عمر، المرجع السابق، ص ص٤٤٦ ـ ٤٤٩.

(٢) أم القرى، العدد ١٣٢٤، في ٤/ ١١/ ١٣٦٩هـ، ص١.

واجبات السلطات الصحية في البلاد التي يسافر منها الحجاج[١]. وقد تم إنشاء مراكز طبية في الجوف والقريات لمراقبة القادمين من شمال المملكة، وفي منطقة قرية للقادمين من شرق المملكة، وفي ظهران الجنوب وجازان لمراقبة حجاج اليمن، وفقًا للأنظمة الصحية المحلية المستمدة من الأنظمة الدولية في هذا الشأن[٢].

ولقد أشاد رؤساء البعثات الطبية الإسلامية بالجهود الطبية السعودية لموسم حج ١٣٦٩هـ ومن أبرز من أشاد بتلك الجهود رئيس البعثة الطبية العراقية الدكتور محمد زكي عبدالقادر، ورئيس البعثة الطبية السورية عارف الطرقجي، ورئيس البعثة الطبية الباكستانية عبدالستار، ورئيس البعثة الطبية السودانية محمود حمدي، ورئيس البعثة الطبية لجامعتي فؤاد وفاروق الدكتور حلمي[٣].

أما موسم حج عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م فقد كان نظيفاً، كما كانت الوفيات ضئيلة خاصة إذا علمنا بتعرض الحجاج لموجة حر هائلة في أيام الحج، فقد كان معظم هذه الوفيات نتيجة ضربات الشمس والشيخوخة والضعف العام[٤]. وقد نفت المملكة العربية السعودية ما نشرته بعض الصحف المصرية عن وجود وباء قادم من اليمن[٥]، إذ أصدر وزير الصحة السعودي الأمير عبدالله الفيصل خلال أيام الحج خمسة بيانات صحية أعلن خلالها عدم وجود أي مرض محجري وبائي بين الحجيج والأهالي في أيام الحج لعام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م وهي المدة الواقعة بين ٩/ ١٢/ ١٣٧٠هـ الموافق ١١ سبتمبر ١٩٥١م لغاية ١٤/ ١٢/ ١٣٧٠هـ الموافق ١٦ سبتمبر، ولذلك فقد أعلنت وزارة الصحة نظافة حج

(١) أم القرى، العدد ١٣٢٤، في ١٣٦٩/١١/٤هـ، ص١.

(٢) خير الدين الزركلي. المرجع السابق، ج١، ص٤٠٥.

(٣) مجلة الحج، العدد الخامس السنة الرابعة، المحرم، ١٣٧٠هـ ص ص٧٣ ـ ٨٠.

(٤) أم القرى، العدد ١٣٧٩هـ، في ١٩/ ١٢/ ١٣٧٠هـ، ص١.

(٥) «لا وباء في البلاد السعودية» مجلة الحج، العدد الخامس، ذو القعدة، السنة الخامسة، ١٣٧٠هـ، ص٥٦.

تلك السنة[١].

وقد أعلنت المنظمة الصحية الدولية الإقليمية عن خلو المناطق السعودية من الأمراض الوبائية[٢]، كما قد أعلن عن ذلك المكتب الصحي الدولي الإقليمي بالإسكندرية حيث أعلن خلو دول الشرق الأوسط من الأمراض الوبائية، وقد أذاعت منظمة الصحة الدولية التابعة لهيئة الأمم المتحدة أن مكة وجدة والمدينة والطائف مدن خالية من وباء الكوليرا والطاعون[٣]. وفي موسم عام ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م كانت الوفيات التي حدثت بين الحجاج قد بلغت ٧٩٥ وفاة، كانت خلال الأيام الأربعة الأولى من الحج وكان جميعها تقريبًا بسبب الشيخوخة والحرارة[٤].

وعلى الرغم من ضخامة الحج إلا أن عدد الوفيات أقل مما كان عليه في موسم عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م ويعود السبب في الانخفاض إلى توافر المرافق الصحية، وأسباب الراحة الإضافية التي توافرت للحجاج من مظلات خاصة بهم، ومصانع الثلج التي قامت بتوفير الثلج لعلاج ضربات الشمس[٥]. وقد قامت السلطات الصحية السعودية عندما ظهر وباء الطاعون في الحدود اليمنية بإصدار بلاغ رسمي يفيد أن الحكومة السعودية قد تلقت أخباراً عن وجود إصابات بوباء الطاعون الدملي داخل الحدود اليمنية المجاورة لحدود المملكة العربية السعودية مما يلي باقم وظهران وصعدة، وقد قامت الحكومة بإرسال بعثات طبية مزودة بكافة وسائل أدوات التطهير واللقاحات والمصول الكافية، وتوجهت هذه البعثات فورًا إلى حدود اليمن وعملت اللازم نحو حصر القرى المجاورة للحدود

(١) أم القرى، العدد ١٣٧٩، في ١٩/ ١٢/ ١٣٧٠هـ، ص١.

(٢) أم القرى، العدد ١٣٧٥، في ١٤/ ١١/ ١٣٧٠هـ، ص١.

(٣) أم القرى، المرجع السابق.

(٤) British Embassy, Jedda, February 2 nd, 1953, (1785/6/53) Records of Hajj , vol 8, p.p. 90-91.

(٥) From American Embassy, Jedda, to the Departmen of state, washington (886a/413/9-1352) september 13, 1952, Recordsof Hajj vol8,p94.

وحصر من فيها وتلقيح الأهالي هناك، وقامت بقفل جميع الحدود بينها وبين اليمن ومنعت دخول أي يمني براً أو بحراً أو جواً. وقد كان لهذه الإجراءات أثرها في عدم وجود وباء الكوليرا في مكة المكرمة(١).

والجدير بالذكر أنه في هذه السنة قد ظهر مرض الضنك في مدينة جدة بشكل لافت للنظر، ولم يكن معروفًا لدى الأهالي حيث زعم البعض أنه تيفوس وآخرون أنه تيفوئيد أو ملاريا، وقد سمته العامة أبو الركب نظرًا لما يحدثه من الألم في الركب، ولكن التحريات التي قامت بها السلطات الصحية أثبتت أنه مرض الضنك وهو مرض غير خطير وغير عدائي؛ وبالتالي فلا خوف منه ولا خطر، ويستغرق شفاء المصاب به من ستة إلى سبعة أيام، وقد أجرت السلطات الصحية جميع الإجراءات الوقائية لحصر هذا المرض والقضاء عليه(٢).

وفي بلاغ صحي لوزارة الصحة العامة تم الإعلان عن سلامة الحج لعام ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م من الأمراض والأوبئة، وذلك لعدم وجود أي مرض وبائي أو محجري بين الحجاج والمواطنين طيلة مدة الحج لعام ١٣٧٢هـ(٣). وفي بيان من وزارة الخارجية السعودية إلى السفارة البريطانية حول البيان الذي أصدره المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية بالإسكندرية الذي أكد على وجود مرض الجدري بين الحجاج كما ترددت بيانات من بعض الدول عن وجود هذا المرض، على الرغم من البيانات السعودية بعدم وجود هذا المرض، وعلى الرغم من ذلك فقد أعلنت وزارة الصحة السعودية أن السلطات الصحية السعودية لم تستقبل أية حالات للجدري أو أي مرض وبائي من الحجاج أثناء وجودهم في السعودية. كما أن البعثات الطبية الموجودة لم تشر إلى ذلك، وفي ٢٩/ ١٢/ ١٣٧٢هـ الموافق ٩ سبتمبر ١٩٥٣م أبلغت السلطات الصحية السعودية عن وجود ثماني عشرة

---

(١) أم القرى، ملحق العدد ١٣٧١، في ١٧/ ١٠/ ١٣٧٠هـ.

(٢) المنهل. «نشرة صحية عن مرض الضنك»، مجلد ١٤ عدد صفر ١٣٧٣هـ، ص ص١١٩ ـ ١٢١.

(٣) أم القرى، العدد ١٤٨٠، في ٢/١/١٣٧٣هـ، ص٣.

حالة جدري في مركز الطور، وفي ٣/ ١/ ١٣٧٣هـ الموافق ١٢ سبتمبر أرسلت السعودية إلى المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية أن هذه الحالات التي أُبلغت عنها ليست جدري؛ بل نوع آخر من الأمراض، وقد تطور الوضع بأن ذُكِر أن الحالات وصلت إلى ٣١٧ حالة، ولدحض هذه التهمة حيث إن المرض لم يوجد خلال موسم الحج طلبت السعودية تكوين لجنة فنية لدراسة الموضوع، وتكونت اللجنة وانتقلت إلى مركز الطور، وفي ١٠ أكتوبر ١٩٥٣م استلمت وزارة الصحة السعودية برقية من المكتب الإقليمي تنص على أن الحالات التي سبق تشخيصها على أنها جدري في مصر والتي عزلت بعد ذلك في الطور تبين الآن أنها ليست حالات جدري، ومن واقع خبرة الصحة والأطباء السعوديين علموا أن الحجاج من الدول الشمالية يصابون بأمراض جلدية ناتجة عن الطقس الحار في شهور الصيف، ولم يكن هناك داعٍ لاتخاذ إجراءات استثنائية من لدن الحكومة السعودية، وقد أعلنت وزارة الصحة السعودية بأنها تقوم بواجباتها تجاه الحجاج المسلمين بطريقة تحافظ على صحتهم وتحميهم من الأمراض الوبائية التي قد تتفشى بين القادمين من مختلف أنحاء العالم التي توجد فيها أمراض وبائية[1].

لم يكن الوضع الصحي في منطقة الحجاز في العهد العثماني والهاشمي يرقى إلى المستوى المطلوب الذي يمنح للمنطقة الحماية من الأمراض والأوبئة التي قد تنتشر فيها، وخاصة خلال مواسم الحج حيث الكثافة العددية، وقد كانت أمام الملك عبدالعزيز تحديات عالجها بحكمة وصبر، فكانت سياسته التي سار عليها بتطوير المنطقة وتقديم خدمة متطورة للحجاج، وفي الوقت نفسه وضع حداً لتدخلات الدول الأجنبية في الحج. ولذلك استخدم جميع الوسائل الصحية والوقائية المتاحة لجلب الراحة لحجاج بيت الله الحرام، وهو في هذا النطاق كان يهدف من جانب آخر إلى رفع مستويات الخدمة في المملكة العربية السعودية المقدمة للمواطنين، وقد نشعر من خلال هذه الدراسة أن رفع

(١) British Embassy, Jedda, February 15, 1954, (1785/5/54) Enclosure to Pilgrimage Records of Hajj , vol 8, p.p 175-176.

مستوى الخدمة الصحية المقدمة للحجاج هي خطوة في سبيل تطوير هذه الدولة الحديثة.

ومن واقع الدراسة نجد أن تقلص الأمراض تدريجيًا بدا واضحًا في عهد الملك عبدالعزيز وأن انتشار الأوبئة قد تلاشى، وليس معنى ذلك أنه قد انعدمت هذه الأمراض ولم يعد لها وجود ولكن مع الوصول إلى أواخر سنوات حكمه نجد أن الأمراض التي كان يصاب بها الحجاج في منطقة الحجاز وخلال مواسم الحج غير خطيرة أو ذات فاعلية، وكانت نسبة من يصابون بها قليلة جدًا ولا يمكن أن نعممها على معظم الحجاج، وفي هذا دلالة على تطور الوضع الصحي في منطقة الحجاز بصفة خاصة وعلى تطور المرافق الصحية في المملكة العربية السعودية في عهد الملك عبدالعزيز.

الفصل الخامس
المواصلات والاتصالات في موسم الحج

١ ـ وسائل نقل الحجاج وتطورها.

٢ ـ وسائل الاتصالات الحديثة في الحج.

٣ ـ خدمة الحجاج في المنافذ البرية والبحرية السعودية.

١ ـ وسائل نقل الحجاج قبل العهد السعودي:

يعد قطاع المواصلات من القطاعات المهمة التي وجه إليه الملك عبدالعزيز اهتمامه فعلى الرغم من عنايته بإدخال ما توصل إليه العلم من منجزات إلى بلاده، فقد سعى بشكل أوسع إلى تحقيق الاتصال السريع والسهل بين أرجاء البلاد الواسعة، وهو من أبرز ما بدىء بتنفيذه منذ السنوات الأولى من عمر المملكة. وفي نظرة شاملة لوسائل النقل في الجزيرة العربية قبل العهد السعودي نجدها كانت محصورة بالإبل في المسافات البعيدة ولم يكن متوفراً من وسائل النقل الحديثة سوى سكة حديد الحجاز التي تم تدميرها في الحرب العالمية الأولى[١].

وأما الاتصال المباشر بين المدن وقراها فأغلب ما يكون على الحمر الأهلية، حيث كان الحمار يعطي دخلاً لصاحبه يوميًا في المدينة المنورة يصل إلى سبع ريالات، حيث يقوم بتأجيره وتشغيله يوميًا، وفي مكة المكرمة يقوم بتأجيره بثمانية عشر جنيها في فترة موسم الحج[٢]، حيث كان بعض من حجاج الجاوي يستخدمون هذه الوسيلة في الصعود إلى عرفات[٣].

وكانت هي الوسيلة السائدة لدى الجمهور، وهي على أنواع فمنها التراسية ومنها المقعد ومنها القولاني، أما التنقل على الخيل فهو خاص بالأشراف والأمراء[٤]. وكان الجمل يعدّ في القرون الماضية الوسيلة الرئيسة من وسائل النقل التي تستخدم في طرق قوافل الحجاج الطويلة التي تتجه من بلاد عسير واليمن جنوبًا نحو مكة المكرمة، ومن

---

(١) عبدالمجيد إسماعيل داغستاني. «النقل في الحج قديما»، وقائع ندوة النقل في الحج السنة الثالثة، ٢١ ـ ٢٣ ذي القعدة ١٤٠٨هـ، وزارة المواصلات، وكالة الوزارة لشؤون النقل، مكة المكرمة ص ص ١٦٣ ـ ١٦٩.

(٢) أحمد أمين صالح مرشد. طيبة وذكريات الأحبة، ط٢، (جدة: دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٤هـ) ص٢٠٣.

(٣) حسين عبدالله عابد. مطوف (مقابلة شخصية).

(٤) محمد عمر رفيع. المرجع السابق، ص١١٣.

الشمـال من بلاد فلسطين وسوريا والعراق، ومن الشرق من بلاد نجد وكردستان وأفغانستان والصين والهند[١].

وهي تعد كذلك وسيلة السفر الناجحة والوسيلة الرئيسة لسفر الحجاج عبر العصور المختلفة حتى قرب نهاية النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، وذلك لمقدرة الجمل على تحمل مشاق السفر، ولهذا اتخذ منه الحجاج وسيلة لقطع المسافات الطويلة، وقد تنوعت الجمال التي تستخدم في السفر، ومن أهم أنواعه جمل الشُقْدُف، وقد أشار إلى هذا النوع من الجمال ابن جبير في حجه سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م في سفره بين قوص وعيذاب[٢].

وهو عبارة عن مجموعة من الأعواد الخشبية تلف بطريقة متشابكة ثم تلبس بالقماش السميك، وكانت الهوادج توضع فوق الجمال وتغطى بالواجهات الخفيفة المصنوعة من الصوف أو القطن، ويتكون الهودج أو الشُقْدُف من قطعتين متقابلتين توضع فوق ظهر البعير وله قاعدة خشبية ويجلس في كل جانب شخص واحد، كما يوضع في الوسط شخص صغير السن ويسمى هذا المكان «الوسك»، وفي حالة حمل النساء؛ فإنها تستر واجهاتها كذلك بحيث لا تترك منها إلا فرجة بسيطة للهواء كما كانوا يضعون الحواجز في مقدمة الشقادف حفاظًا على النساء والأطفال[٣]. والواقع أن هناك أنواعاً مختلفة من الإبل التي تستخدم في السفر غير الشُقْدُف فهناك جمل المحفة وجمل السحلية، وجمل العصم وهو جمل الحمل[٤]. وقد تنوعت أجور الجمال تبعًا للأحمال التي تقوم بحملها والأعمال التي تقوم بعملها، ويشتمل التقدير على أجرة الجمل وعلى ما

---

(١) ك. س. تويتشل. المرجع السابق، ص٦٤.

(٢) أبوالحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي الشاطبي البلنسي. رحلة ابن جبير (بيروت: دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٨٤هـ) ص٤٢.

(٣) محمد علي مغربي. ملامح الحياة الاجتماعية، ص ص ١٨٠ ـ ١٨١.

(٤) سيد عبدالمجيد بكر. المرجع السابق، ص ص٩٢ ـ ٩٣.

يخصص للمُخَرِّج والمُقوم مقابل عملهما، وكذلك ما يختص به الأمير باسم «الكوشان»[١]. وكانت هذه الأسعار ترتفع وتنخفض على حسب مطامع ولاة الأمور بمكة المكرمة، فقد وصل أجرة جمل الشُقْدُف سنة ١٣٢٨هـ ست ليرات عثمانية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ومدينة ينبع[٢]. وكانت قوافل الحجاج في العهد الهاشمي خوفا من حوادث السلب والنهب والقتل تستخدم طرقا معروفة لديها أثناء سفرها تسير فيها، وهي واحدة من أربع طرق على حسب تبعية المقوم والجمَّالة إليها، وهذه الطرق هي الطريق السلطاني، والطريق الفرعي، والطريق الغاير، والطريق الشرقي[٣]. ولا شك أن تطور المواصلات والاتصالات في القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجري كان كبيراً، فقد أحدث اختراع السيارة نقلة هائلة في عالم المواصلات في شتى أنحاء العالم، لكن الشريف حسين لم يرغب في استعمالها بدعوى أنها ستعطل وسائل النقل بالجمال و البادية من ذلك لأن مدار نقل الحجاج كان على جمالهم[٤]. وهو يعدّ السيارات الحديثة تهدد اقتصاد البلاد وتستنزف ثروتها، إذ إنها صناعة أجنبية وتحتاج في تشغيلها من وقود وصيانة إلى مستوردات أجنبية كقطع الغيار والبنزين والزيوت والإطارات وما إليها، كما أنها ستحتاج في قيادتها وصيانتها إلى القوى البشرية، ولهذا فهو يعتقد أن الجمل هو الوسيلة الاقتصادية المثلى للمنطقة[٥]. ومن جهة أخرى كان لابد من التفكير في مشروع يربط البقاع المقدسة بدمشق واستنبول لتيسير وصول الحجاج، وكان الحجاج يقطعون

---

(١) الكوشان كلمة تركية تعني تلك الرسوم التي تؤخذ عند مغادرة المدينة أو الدخول إليها، وقد فرضت الدولة رسما على الأهالي والحجاج مقداره أربعة وثلاثون قرشا ذهبيا « ما يساوي ثلث جنيه» للسفر إلى مكة المكرمة ورسما آخر مقداره جنيهان للسفر إلى المدينة المنورة ثم ألغي الكوشان عن الأهالي وبقي مفروضاً على الحجاج إلى أن تم إلغاؤه في عام ١٣٧٠هـ، انظر محمد علي مغربي. أعلام الحجاز، ج١، ص ص ٦٨ ـ ٦٩.

(٢) محمد لبيب البتنوني. المرجع السابق، ص ٢١٤.

(٣) محمد طاهر الكردي. المرجع السابق، ج٢، ص ص ٢٤١ ـ ٢٤٣.

(٤) محمد عمر رفيع. المرجع السابق، ص١١٧.

(٥) محمد علي مغربي. أعلام الحجاز، ج١، ص ص ٢٣٩ ـ ٢٤٢،

المسافة بين دمشق والمدينة المنورة في أكثر من شهر، وهذا لا يتفق مع تقدم المواصلات، وفي سنة ١٣١٨هـ أعلن السلطان العثماني عبدالحميد الثاني عن رغبته في مد خط حديد الحجاز تأمينا لراحة الحجاج وتسهيلاً للمشاق التي كانوا يعانون منها، وطرح الأمر كمشروع إسلامي واستجابت له أقطار عديدة، وبدأت تتألف الجمعيات لخدمة هذا المشروع، وفي سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م بدأ الحجاج يستخدمون الخط الحديدي في الوصول إلى المدينة المنورة واختصر بذلك الوقت والنفقات، وزود الخط بورش في المحطات الرئيسة مثل تبوك ومعان ودرعا، وبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى وقيام الثورة في الحجاز ضد الأتراك توقف الخط نهائيا في نهاية هذه الحرب[١]. وقد اهتمت الحكومة العثمانية بمجال الاتصالات اللاسلكية حيث أنشأت أجهزة اتصالات لاسلكية كبيرة خارج المدينة المنورة من الجهة الشمالية ويسمى «الترسيس»[٢]. وقد تم في سنة ١٣١٨هـ تأسيس الخط اللاسلكي البرقي، الذي ربطت به المحطات الكبيرة بين المدينة المنورة ودمشق مثل العلا ومدائن صالح وتبوك ومعان وعمان ودرعا أثناء سير الخط الحديدي الحجازي، وفي سنة ١٣٣٥هـ أسس الهاتف اللاسلكي، وتم تشغيل خمسين رقمًا وكانت تستعمله القوات العسكرية فقط، أما في العهد الهاشمي سنة ١٣٣٧هـ فقد استعمل الهاتف اللاسلكي في الدوائر الحكومية[٣]. وفي أوائل العهد السعودي تطورت الخدمات البريدية فصارت تنقل بالسيارات بدلاً من الجمال والبغال، ومنذ سنة ١٣٦٦هـ صار نقل البريد بالطائرات مع السيارات[٤]. فقد كان البريد في السابق ينقل بين جدة ومكة والطائف عن طريق شيخ الحمَّارة، أما البريد الخارجي فكان يوزع عن طريق إدارة البريد، واستمر ذلك

(١) سيد عبدالمجيد بكر. المرجع السابق، ص ص ١٧٤ ـ ١٧٦.

(٢) ياسين أحمد ياسين الخياري. صور من الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة منذ بداية القرن الرابع عشر الهجري وحتى العقد الثامن منه، ط١ (جدة: مؤسسة المدينة للصحافة والنشر، ١٤١٣هـ) ص١٤٣.

(٣) علي حافظ . المرجع السابق، ص ٣٥٤.

(٤) علي حافظ. المرجع السابق، ص٣٥٥.

حتى بعد أن أسس الوالي عثمان باشا إدارة للبريد[١].

٢ ـ وسائل المواصلات الحديثة في الحج:

لا شك أن الكفاءة في حركة نقل الحجاج وتغير أساليب المواصلات له أثره في تطور وزيادة أعداد الحجاج، فكما ذكرنا في السابق فقد كان لسكة حديد الحجاز دور في ارتفاع الإقبال على الحج وزيادة أعداد الحجاج في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، وقد أصبح أمام الحجاج ثلاث وسائل متطورة وهي البر والبحر والجو، فمنذ ظهور الإحصاءات السعودية وحتى عام ١٣٦٩هـ كان السفر عن طريق البحر هو أكثر الأساليب شيوعًا في استخدامه لوصول الحجاج إلى مكة المكرمة[٢]، إلا أن التطور في وسائل النقل والإصلاحات والتحسن في طرق المواصلات أحدث تحولاً هائلاً نحو الوسائل الأكثر تطورًا وسهولة وسرعة، فقد أدى بناء الطرق الحديثة وتشييدها في معظم أجزاء المملكة إلى التحول نحو السفر عن طريق البر خاصة لحجاج الأقطار المجاورة للمملكة بينما التطور في الخدمات الجوية، واستخدام الطائرات في رحيل الحجاج أدى إلى التحول نحو أسلوب السفر عن طريق الجو لحجاج الأقطار الأخرى[٣]. وكان عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م مميزًا، إذ أصبحت المواصلات في مكة المكرمة ولأول مرة في تاريخ الإسلام بوسيلتين متباينتين، الأولى كانت بواسطة الحيوانات والثانية بواسطة السيارات، حيث أعطى الملك عبدالعزيز الامتيازات لبعض الأشخاص لإقامة شركات للسيارات بين جدة ومكة ولكن لعدم وجود الطرق المعبدة فقد أدى ذلك إلى تدهور السيارات مما جعل الشركة تخسر

(١) محمد عمر رفيع. المرجع السابق، ص١١٦.

(٢) ذكر كلا من المطوف محمد مين إسماعيل سيف الدين، وحسين عبدالله عابد أن أغلب حجاجهم وحجاج غيرهم من المطوفين كانوا يأتوا عن طريق البحر إلى أن تم استخدام الطائرات في نقل الحجاج، (مقابلة شخصية).

(٣) عبدالله بن صالح الرقيبة. «العوامل المؤثرة في زيادة وقلة أعداد الحجاج ودور وسائل النقل في ذلك»، وقائع ندوة النقل في الحج للسنة الثالثة، ٢١ ـ ٢٣ ذي القعدة ١٤٠٨هـ/ ٥ ـ ٧ يوليو ١٩٨٨م، وزارة المواصلات، وكالة الوزارة لشؤون النقل، مكة المكرمة ص ٦٨ ـ ٧٤.

بشكل ملحوظ[١]، وفي نهاية الموسم كان هناك حوالي ٢٠٠ سيارة وشاحنة صغيرة مستخدمة وكان طبيعيا أن النقل بالسيارات مفضلاً لتوافر وسائل الأمن والراحة فيه، وبذلك أصبحت الخدمة بين مدينة جدة ومدينة مكة المكرمة مفتوحة طوال العام والقيد الوحيد فقط هو أن السيارات كان عليها أن تغادر جدة في أوقات محددة لكي لا تتداخل مع قوافل الجمال[٢]، والواقع أنه لم يتيسر التنقل عن طريق السيارات في مدينة مكة المكرمة إلا في عهد الملك عبدالعزيز، وفي بداية أمرها كانت قليلة وأجورها عالية، وذلك لما تتعرض له من تلف لوعورة الطريق[٣]. ثم أصبحت هذه الوسيلة الرئيسة والمهمة التي تنقل الأحمال والركاب والمسافرين في السيارات الصغيرة وسيارات النقل. وكان إنجازها محدداً بموجب أوامر الحكومة السعودية. ففي موسم حج عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م ازدادت أعداد السيارات التي استخدمت في نقل الحجاج إلى ٦٠٠ سيارة مما أدى إلى خفض الأسعار من لدن العديد من شركات السيارات[٤]. ورغم ذلك؛ فإن هناك أعداداً من الحجاج كانت تسافر من مدينة جدة إلى مدينة مكة المكرمة، ومن مدينة مكة المكرمة إلى منطقة المدينة المنورة سيراً على الأقدام إما لفقرهم أو لغلاء الأسعار[٥]. وقد وجدت شركات متعددة للسيارات تشرف عليها هيئة رسمية معينة من لدن الملك عبدالعزيز، ومركز هذه الهيئة في مدينة مكة المكرمة ولها فروع في مدينة جدة والمدينة المنورة ومدينة ينبع، وهذه الهيئة مع شركات السيارات نفسها موضوعة تحت مراقبة الملك عبدالعزيز، ووضع لها نظاماً خاصاً ينظم أمورها وتسير عليه، كما تم وضع مهندسين مختصين لتفقد

---

(١) Acting Consul Jordan to sir Austen Chamberlain-(Received September 14, 1926) [E 5283/ 155/ 91] Records of the Hajj, Vol. 6. p. 51.

(٢) From Consul Stonehewer - Bird to sir Austen Chamberlain, (Received October 17. 1927) [E 4387/249/91 Records of Hajj, Vol. 6. p. 127.

(٣) نظر إيجيرو ناكانو. المرجع السابق، في وصف سفره من مدينة جدة إلى مدينة الرياض لمقابلة الملك عبدالعزيز ومدى الصعوبات التي لاقاها في سفره حيث لم تكن الطرق قد مهدت وعبدت.

(٤) Report on the Pilgrimage of 1928, (E 4867/58/91) British Documents on Foreign Affairs, Vol, 14, p. 34.

(٥) Report on the Pilgrimage of 1928, (E 4867/58/91) British Documents on Foreign Affairs, Vol, 14, p. 35.

السيارات ومراكز متعددة ومتقاربة في الطريق ما بين مدينة جدة ومكة المكرمة، ومدينة مكة المكرمة والمدينة المنورة، وفيها ماتحتاجه السيارات. كما أن الحكومة أصلحت الطريق ما بين مكة المكرمة والطائف وعبدته حيث أصبح سهلا[١]. وعندما رأى الملك عبدالعزيز أن السيارات أصبحت هي الوسيلة الرئيسة للنقل، واعتمد عليها الحجاج كان من الضروري أن ينظم أمورها وينسق أوضاعها. ففي عام ١٣٤٥هـ وضع نظام تسيير السيارات بين مدينة جدة ومدينة مكة[٢]، ثم أعقبه في السنة التالية عام ١٣٤٦هـ بوضع نظام تسيير السيارات بين مدينة جدة والمدينة المنورة[٣]، وقد تم وضع نظام لشركات السيارات في عام ١٣٤٧هـ لينظم أمورها وأوضاعها[٤]، ثم وضع في عام ١٣٥١هـ نظام سائقي السيارات[٥]، ثم أعقبه في عام ١٣٥٣هـ وضع تعليمات سائقي السيارات[٦]، وتم تعديل نظام سائقي السيارات في عام ١٣٦٢هـ[٧]، وألحق به بعض المواد في عام ١٣٦٩هـ وكانت تلك المواد خاصة بنظام السائقين[٨]. ثم رأى الملك عبدالعزيز أن المصلحة تقتضي توحيد الشركات جميعها في شركة واحدة، فتم ذلك[٩]. في عام ١٣٥٤هـ حيث صدر مرسومان ملكيان بتوحيد شركات السيارات[١٠]. ثم وضع نظام الشركة الأهلية للسيارات[١١]. وتألفت الشركة العربية للسيارات وأصبحت صاحبة امتياز النقل للحجاج

(١) أم القرى، العدد ٤٠٨، في ٦/٦/١٣٥١هـ، ص١.

(٢) أم القرى، العدد ٩١، في ٣/٣/١٣٤٥هـ، ص٣.

(٣) أم القرى، العدد ١٥٧، في ٢٢/٦/١٣٤٦هـ، ص٣.

(٤) أم القرى، العدد ١٩٧، في ٢١/٤/١٣٣٧هـ، ص٣.

(٥) أم القرى، العدد ٤١٥، في ٢٦/٧/١٣٥١هـ، ص٣.

(٦) أم القرى، العدد ٥١٢، في ٢٦/٦/١٣٥٣هـ، ص٢.

(٧) أم القرى، العدد ٩٤٣، في ١٦/١/١٣٦٢هـ، ص٤.

(٨) أم القرى، العدد ١٢٩٦، في ٨/٤/١٣٦٩هـ، ص٤.

(٩) محمد علي مغربي. أعلام الحجاز، ج١، ص ص٢٣٩ - ٢٤٢.

(١٠) أم القرى، العدد ٥٤٦، في ١١/١/١٣٥٤هـ، ص٣.

(١١) أم القرى، العدد ٦٤٠، في ٢٩/١٢/١٣٥٥هـ، ويتبع في العدد٦٤١.

والبريد وذلك لسنوات طويلة[١].

وفي عام ١٣٦١هـ صدر النظام الأساسي للشركة العربية السعودية[٢]، وحينما تعرضت الشركة للمتاعب وعجزت عن نقل الحجاج اضطر الملك عبدالعزيز إلى التدخل لإنقاذ الحجاج في عرفات ومزدلفة ومنى، ثم أصدر في عام ١٣٧٢هـ قراراً بالسماح للسعوديين أفرادًا وشركات بالاشتراك في نقل الحجاج، وحدد العدد الأدنى للشركة بمئة سيارة[٣].

وفي الواقع كان الملك عبدالعزيز يأخذ بمبدأ التطور ومسايرة العصر خصوصًا أن المملكة واسعة الرقعة كبيرة المساحات فسمح باستيراد السيارات، وأُسست لذلك الشركة السعودية للسيارات برئاسة سليمان قابل في جدة. كما أسست عدة شركات لأغراض النقل الحكومي، وأسهمت في نقل الحجاج، وكان استيراد السيارات تقوم به وكالة جلاتلي خنكي وشركاه الإنجليزية في جدة، والشركة الشرقية لفيليبي، ثم بعد ذلك فتح المجال وأصبح الاستيراد مسموحًا به للجميع، ثم إنه حدثت مشكلات في ذلك الوقت تجلت في إدارة هذه السيارات وصيانتها وفي قطع غيارها، وتوافر الطرق المعبدة غير أن الأجور المقررة لنقل الحجاج كانت مغرية إذ كانت الأجرة تبلغ خمسة عشر جنيهًا ذهبًا لنقل الحجاج إلى المدينة المنورة وإعادته إلى مكة المكرمة، ولكن لكثرة التنافس بين أصحاب السيارات انخفضت الأجرة أو تأجل استلامها إلى ما بعد الموسم، وفي أوقات أخرى قد لا تدفع كلها أو بعضها، فأدى ذلك إلى خسارة كثير ممن أقدموا على هذا العمل، وحينما تفاقم الأمر اضطر الملك عبدالعزيز للتدخل، فأسست النقابة العامة الأولى للسيارات وجرى تحديد الأجور بمعرفته، وكان نظام النقابة ينص على أن تكون شركة السيارات مكونة من عشرين سيارة كبيرة كحد أدنى، وأن يتم دفع الأجور في النقابة التي

---

(١) محمد علي مغربي. أعلام الحجاز، ج١، ص ص ٢٣٩ - ٢٤٢.

(٢) أم القرى، العدد ٩٢٠، في ٢/٨/ ١٣٦١هـ، ص٢.

(٣) محمد علي مغربي. أعلام الحجاز، ج١، ص ص ٢٣٩ - ٢٤٢.

تتولى هي إحالة الحجاج على الشركات حسب تعداد مقاعد كل شركة، وكانت هذه البداية هي أول عمل تنظيمي جيد لشركات السيارات[١].

وبنظرة تاريخية نحو نشأة النقابة العامة الأولى للسيارات نجد أن الملك عبدالعزيز قد وافق على النظام العام للنقابة في عام ١٣٤٩هـ، ذلك أن مجلس الشورى اطلع على النظام الداخلي لنقابة السيارات المقدم من مقام النيابة العامة عدد ٧٦٢٨/ ٧٧٠٨ وتاريخ ٢٦/ ٧/ ١٣٤٩هـ الموضوع من لدن هيئة نقابة مكة بالاشتراك مع هيئة نقابة جدة[٢]، وقد اتخذ قرار في عدد ١٤٧ وتاريخ ١٧/ ٦/ ١٣٤٧هـ بشأن نظام نقابة السيارات الداخلي ورفعه لمقام النيابة العامة بعدد ٨٨ وتاريخ ٢٠/ ٦/ ١٣٤٧هـ، وجرى التصديق عليه بعدد ١٧٩٢ وتاريخ ٤/ ٨/ ١٣٤٧هـ[٣].

كما قد اتخذ قرار بعدد ١٤٩ وتاريخ ١٧/ ٦/ ١٣٤٧هـ ورفعه لمقام النيابة العامة بعدد ١٩٠ وتاريخ ٢١/ ٦/ ١٣٤٧هـ بشأن نظام سائقي السيارات، وقد جرى التصديق على القرار المذكور بعدد ١٧٢٨ وتاريخ ٢٩/ ٧/ ١٣٤٧هـ[٤].

وينص نظام النقابة لعام ١٣٤٩هـ على أن تتألف في الحجاز نقابة لتنظيم السيارات، وتتألف بالانتخاب من أربعة أعضاء لنقابة مكة وأربعة أعضاء لنقابة جدة للإشراف على كافة أعمال النقابة، ويعين من لدن الحكومة موظفان أحدهما بمكة والآخر بجدة يرأسان الهيئة، وتكون مدة الرئاسة موسمًا واحدًا فقط من ١٥ جمادي الثانية ١٣٤٩هـ إلى ١٥ صفر ١٣٥٠هـ على أنه يجوز إعادة تعيينهم في كل عام، وينص النظام على عدم السماح للرئيس البت في الأمور قبل موافقة الهيئة بأكثرية الأصوات، وتُعين النقابة محاسبًا وكاتبًا وأمين صندوق، وتقوم هيئة النقابات بتوزيع الحجاج على الشركات بنسبة عدد سياراتها

---

(١) محمد علي مغربي. أعلام الحجاز، ج١، ص ص ٢٣٩ ـ ٢٤٢.

(٢) «النظام الداخلي لنقابة السيارات»، في ١٥/٨/١٣٤٩هـ، (معهد الإدارة العامة).

(٣) «النظام الداخلي لنقابة السيارات»، المرجع السابق.

(٤) «النظام الداخلي لنقابة السيارات»، في ١٥/٨/١٣٤٩هـ، (معهد الإدارة العامة).

وحمولتها بما تراه مناسبًا، ويجوز انتخاب عضوين من شركة واحدة. كما أنه يجوز أن يكون العضو المنتخب لنقابة مكة عضواً في نقابة جدة[1]، أما أسعار التذاكر فتكون محددة غير قابلة للنقص ولا للزيادة، وكل شركة تخالف نظام الأجرة تغرم على كل راكب مبلغ عشرة جنيهات، وتدفع أجرة الركاب نقداً بمركز النقابة من لدن المطوف ثم تدفعه النقابة للشركة أولاً فأولاً، أما الاحتياط للسيارات المتجهة للمدينة فيكون مع كل سبع سيارات لواري وسيارة واحدة صغيرة سيارة لوري احتياط، ولكل ست سيارات لواري وسيارتين صغيرتين سيارة لوري احتياط، والسيارات التي تسافر إلى المدينة في غير أيام الموسم تسافر من غير احتياط، وعلى الشركة أن تقدم سياراتها التي تريد تسفيرها إلى المدينة للكشف عليها من المهندس المعين من لدن الحكومة والنظر فيما يلزم أن يكون معها من الأدوات الاحتياطية، وإذا تعطلت سيارة لإحدى الشركات بركابها في الطريق بين مكة المكرمة وجدة أو بين جدة والمدينة المنورة أو بين المدينة المنورة وينبع، ولم تسرع الشركة لنقل الركاب بالسرعة الواجبة عليها فعلى النقابة أن تكلف الشركة بإرسال سيارة أخرى تنقلهم في ظرف ثلاث ساعات من حين التكليف إذا كان العطل واقعاً بين مكة المكرمة ومدينة جدة وفي خلال اثنتي عشرة ساعة إذا كان العطل بين مدينة جدة والمدينة المنورة أو بين المدينة المنورة وينبع، وإذا انتهت المدة ولم تقم الشركة بما ذُكر فعلى النقابة استئجار سيارة من أية شركة لنقل الركاب، وتستوفي الأجرة من الشركة، ويجب على كل سيارة تكون مارة بالطريق وهي خالية إذا وجدت سيارة متعطلة بركابها وغير ممكن إصلاحها سريعاً أن تنقل الركاب المذكورين إلى أقرب مركز مأهول ولها المطالبة بالأجرة بنسبة المسافة وعلى النقابة تحصيل تلك الأجرة للشركة من الشركة الأخرى[2]، وللشركة الحق في الامتناع عن نقل زيادة على خمسة كيلوات من الأمتعة للمسافر الواحد، ولا يجوز لأصحاب السيارات نقل البضائع التجارية والأمتعة الزائدة على المقرر إلا بإذن من المالية، ويجب أن

---

(١) «النظام الداخلي لنقابة السيارات»، المرجع السابق.

(٢) «النظام الداخلي لنقابة السيارات»، المرجع السابق.

يكون على كل سيارة لوحة مبين فيها اسم الشركة التابعة لها تلك السيارة، وفي حالة سقوط تلك اللوحة بالطريق أو سقوط نمرة السيارة على السائق إخبار أول مركز للتفتيش بذلك وفي حالة إخباره لا يسوغ لمراكز التفتيش مجازاة السائق[١]. وفيما يتعلق بكفاءة السائق، فيجرى امتحان عام لكافة السائقين في كل عام مرة واحدة فقط على أن يجدد السائقون رخصهم من المالية ويدفعون الرسوم اللازمة كل ستة أشهر حسب المقرر من دون امتحان؛ بل يبرزون رخصهم لدائرة المالية ويدفعون الرسوم فورًا تسهيلاً للمعاملات، وعلى النقابة أن تضع نظامًا للسائقين بالاشتراك مع أرباب الخبرة من المهندسين ومندوب من الحكومة ويقرر ما ينبغي على السائق مراعاته من أمور السير وغيره، وإذا حدث أن استخدمت شركة ما سائقا ما أو مهندساً ما واعترضت عليه الشركة التي كان مستخدمًا بها تسحب النقابة رخصته شهرًا لأول مرة، وشهرين للمرة الثانية، ويوقف عن العمل ثلاثة أشهر إذا تكرر ذلك منه، وكل شركة تغري سائقاً أو مهندسًا عند شركة أخرى وتستخدمه تجازى من لدن النقابة عن كل مرة عشرين جنيهًا إنجليزيًا، وإذا خرج أحد السائقين أو المهندسين من الشركة التي استخدم فيها ورفضت تلك الشركة إعطاءه الشهادة اللازمة دون موجب فعليه مراجعة النقابة كي ينظر في الأمر، فإذا رأت أن ليس هناك ما يمنع الشركة من إعطائه الشهادة فللنقابة أن تعطيه شهادة عن تلك الشركة تقوم مقامها لمنع الضرر عنه، وإذا بدا لهيئات النقابات أو الشركات ما يدعو إلى السفر لأعمال تتعلق بالمصلحة المشتركة فللنقابات أن تستخرج لهم تصاريح من لدن المالية معافاة من رسوم الكواشين، وتبدأ أعمال النقابة في كل عام من الخامس عشر من شهر جمادى الثانية وتنتهي في الخامس عشر من شهر صفر للسنة التالية[٢].

وقد أصدر الملك عبدالعزيز مرسومًا بدمج شركات السيارات المختلفة في شركة

---

(١) «النظام الداخلي لنقابة السيارات»، المرجع السابق.

(٢) «النظام الداخلي لنقابة السيارات»، المرجع السابق، وانظر مصطفى محمد. المرجع السابق، ص ص١٥٧ ـ ١٥٨، وانظر محيي الدين رضا. رحلتي إلى الحجاز، ص ص١١٦ ـ ١١٧.

واحدة، وتتكون الشركة الجديدة من قسمين:

أ ـ المركبات التي تقدمها الشركات.

ب ـ المركبات الحكومية.

يوزع ثلثا الحجاج على القسم (أ) وثلث على القسم (ب)، ويجب أن يعمل القسمان بصورة مستقلة وأن يكونا مسؤولين عن الأرباح والخسارة، وقد أوضح التقرير الذي نشرته الشركة أنها قد نقلت ما مجموعه ٢٤٤٤٤ حاجًا[١].

وكان في عام ١٣٤٤هـ قد أعطي الامتياز والاحتكار لتأسيس شركة لسير السيارات في منطقة الحجاز لمدة عشرين عامًا لكل من عبدالله الفضل وعبدالله الرشيد الدهلوي وعلي بن ناصر العماري ومحمد أحمد الشريف المسلمي، والهدف في منح الامتياز رغبة الملك عبدالعزيز في تسهيل الطرق للحجاج من جهة ومراعاة مصالح أهل البلاد الذين يستفيدون من نقل الحجاج وسميت هذه الشركة «بالشركة المساهمة للسيارات الوطنية» وكان رأس مالها ثلاثين ألف جنيه، مقسمة إلى ستة آلاف سهم كل سهم بخمسة جنيهات، وقسم مجموع الأسهم إلى قسمين، القسم الأول يكون للحكومة وللمؤسسين، والقسم الثاني يكون للأهالي، ولا يحق الاشتراك في هذا القسم بأكثر من عشرة أسهم، وحددت أسعار الركاب من جدة إلي مكة أو من مكة إلى جدة بجنيه إنجليزي واحد للفرد، والصغير الذي يكون عمره من خمس إلى عشر سنين يدفع نصف جنيه وما كان دون ذلك لا يدفع شيئا، ثم يضاف رسم الكوشان، ومن ضمن مهمة الشركة بالإضافة لنقل الركاب أن تنقل البريد، وتقرر كذلك دراسة وضع الشركة إذا ما قدمت إحدى الشركات طلباً للحكومة السعودية بإنشاء سكة حديدية بين جدة ومكة، أو إذا أقدمت الحكومة بنفسها على إقامة هذا الخط الحديدي[٢]. وقد ألغي امتياز هذه الشركة بأمر من

---

(١) From Mr. Calvert to Mr Eden- (Received August. 25, 1936) [E 5367/27/25] Records of Hajj, vol 7, p117.

(٢) أم القرى، العدد ٦٤، في ٥/ ٩/ ١٣٤٤هـ، ص٣.

نائب الملك وذلك لعدم مراعاة تلك الشروط إذا لاقى الحجاج المتاعب. كما لم يتمكن الأهالي من الاشتراك في تلك الشركة حسب النص، كما كلف مالكو الشركة بتقديم النظام الداخلي ليطلع عليه الأهالي فقدم نظام لا يتفق مع روح الامتياز[١] . وبعد ذلك وضع نظام لتسيير السيارات بين جدة ومكة المكرمة، ونص على أحقية كل مواطن في تسيير سيارته بين جدة ومكة طبقًا للشروط، أما الأجنبي فعليه أن يقدم طلبًا للنيابة العامة في سيارات خاصة بالحكومة وإشارتها «ح ح»، ونوع خصوصي وإشارته «خصوصي»، ونوع للإيجار وإشارته «للإيجار» وحددت الأجرة بين جدة ومكة بجنيه واحد، وللصغير بنصف جنيه، أما من رغب في تسيير سيارته فعليه تقديم طلب إلى ديوان نائب الملك مبينا نوع السيارة وعددها وقوتها واستيعابها للركاب وهل هي خصوصية أم عمومية وفي حالة الموافقة يعطي الرخصة، وقد حُددت الرسوم التي تؤخذ على السيارات حسب سعتها فتختلف الرسوم التي تؤخذ على السيارة التي تسع أربعة أشخاص عن السيارة التي تحمل أكثر من أربعة أشخاص، وشمل النظام بعض الشروط التي يجب على كل سائق أن يتقيد بها؛ ومنها أن يكون حاملاً للرخصة ويبرزها عند الطلب، وأن لا يأخذ مبلغاً أكثر من المطلوب من الركاب، وأن لا يحمل السيارة أكثر من العدد المقرر لها، وأن يتقيد بالسرعة المحددة له داخل المدن[٢]. وقد أصدر الملك عبدالعزيز الأمر الملكي برقم ٦٨/ ٢/ ٣ في ٢١/ ٢/ ١٣٥٤هـ بالموافقة على النظام الأساسي للشركة العربية للسيارات للنقل العام والحج، ومنحها امتيازاً لمدة خمسين عامًا وعلى الرغم مما تعرضت له هذه الشركة من خسارة بسبب قلة عدد الحجاج إلا أن الشركة استمرت في أداء مسؤولياتها تجاه نقلهم[٣].

---

(١) أم القرى، العدد ٩٠، في ٢٥/٢/١٣٤٥هـ، ص١.

(٢) أم القرى، العدد ٩١، في ٣/٣/١٣٤٥هـ، ص٣، وانظر أم القرى، العدد ٩٢، في ١٠/٣/١٣٤٥هـ، ص٣. .

(٣) عبدالله بوقس. «نقل الحجاج بين الماضي والحاضر»، وقائع ندوة النقل في الحج للسنة الثالثة، ٢١ ـ ٢٣ ذي القعدة ١٤٠٨هـ/ ٥ ـ ٧ يوليو ١٩٨٨م، وزارة المواصلات، وكالة الوزارة لشؤون النقل، مكة المكرمة ص ص ٢٣ ـ ٢٧.

وفي عام ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٨م قامت الحكومة بشراء حوالي مائة سيارة فورد جديدة وأكثر من مائة وخمسين سيارة للشركة العربية للسيارات بقيمة ٢٣٨٧٠ جنيه ذهباً، وقد حصلت على ٢٣٨٧ سهمًا قيمة السهم عشرة جنيهات، وبهذا أصبحت أكبر المسهمين[١].
وفي عام ١٣٦٥هـ تقرر أن يعهد إلى شركة مساهمة القيام بنقل الحجاج بين جدة ومكة المكرمة وعرفات والمدينة المنورة وعهد إليها بنقل الركاب واللوازم الحكومية بجميع أنواعها، ونقل من يراجعها من الأهالي في كافة أنحاء المملكة، وقد عرض هذا المشروع على الشركة العربية للسيارات لمعرفة مدى استعدادها للقيام به وفي حالة موافقتها؛ فإنه اشترط على الشركة المذكورة أن تطرح الأسهم التي كانت تملكها وزارة المالية للاكتتاب فيها من لدن الأهالي بالقيمة نفسها[٢].

واشترط أن تكون السيارات المعدة لنقل الحجاج والركاب على أربع درجات وهي:ـ الدرجة الأولى: السيارات الصغيرة والبُكْساتْ، والدرجة الثانية: السيارات اللواري الجديدة ذات الصناديق من نوع الأتوبيس، والدرجة الثالثة: السيارات اللواري الجديدة ذات الصناديق العادية، والدرجة الرابعة: السيارات اللواري الموجودة في البلاد على أن تصلح وتجدد مكائنها[٣].

وتؤلف لجنة خاصة تشمل مندوبين من مجلس الشورى ومندوبين من وزارة المالية ومندوبين من الشركة لتقرير أجور الحجاج، والركاب، ونقليات الحكومة على أساس التكاليف مع ضمان الربح المعقول، وتقوم هذه اللجنة بالنظر في نظام الشركة لوضع الضمانات التي تؤمن سلامة الحجاج وراحتهم، وتأمين نقليات الحكومة وتقرير العقوبات التي يجب توقيعها في حالة مخالفة الشركة للشروط التي يتم الاتفاق عليها، وتقرير

(١) From Mr. Trott to Viscount Halifax - (Received August. 29, 1938) [E 5064/25/25] Records of Hajj, vol 7, p. 288.

(٢) «صورة رسالة من الملك عبدالعزيز آل سعود إلى الأمير منصور بن عبدالعزيز»، مؤرخة في ١٦/٣/١٣٦٥هـ، عبدالرحمن السبيت وآخرون. من وثائق الملك عبدالعزيز، ص ص ٤٠٧ ـ ٤٠٩.

(٣) عبدالرحمن السبيت وآخرون. المرجع السابق.

التعهدات التي تلزم الحكومة لتسهيل قيام الشركة بتعهداتها، ويرخص للأهالي تشغيل أموالهم في المواصلات سواء بالاشتراك والإسهام في هذه الشركة أو استعمال سياراتهم الخصوصية؛ بل ويحق لهم الإسهام في هذه الشركة، كما يحق للشركات الأهلية التي تتألف لنقل الأهالي والبضائع والأمتعة في مختلف أنحاء المملكة، لأي فرد تتوافر في سيارته الشروط التي يؤمن بها نقل الركاب والبضائع والأمتعة على أن يخضعوا لنظام سير السيارات من حيث صلاحية السيارات واستكمال آلاتها وأدواتها[1].

وفي الثالث من رجب عام ١٣٧٢هـ صدر الأمر السامي رقم ١١٥٠١ بتأسيس النقابة العامة الثانية للسيارات بهدف ترتيب وتنظيم نقل الحجاج على أن يكون مركزها الرئيس بمكة ولها فروع في جدة والمدينة ومراكز على طول الطرق إبان موسم الحج وأتاح نظام النقابة العامة للسيارات قبول أية شركة جديدة بمقتضى شروط معينة ومحددة بهدف دعم أسطول السيارات الناقلة للحجاج أمام الأعداد المتزايدة للحجاج[2].

ومع بداية صدور هذا الأمر تم تسجيل خمس شركات لنقل الحجاج، وبلغ عدد سياراتها ١٠١٥ سيارة بين حافلة وصغيرة ومجموع مقاعدها ٣٤٦٩٩ مقعداً، وقد كان حينذاك هذا العدد من الحافلات كافيًا لتأمين تنقلات الحجاج على كافة الخطوط بما في ذلك المشاعر المقدسة، ورغم أن نظام النقابة العامة للسيارات قد أتاح فرصة انخراط شركات جديدة في عضوية النقابة وفق أعداد حددها النظام إلا أنه لم يتقدم أحد بسبب منافسة القطاع الخاص ومن جهة أخرى ضآلة الدخل وما لحق بالشركات من خسارة في

---

(١) «صورة رسالة من الملك عبدالعزيز آل سعود إلى الأمير منصور بن عبدالعزيز»، مؤرخة في ١٦/٣/١٣٦٥هـ، عبدالرحمن السبيت وآخرون. من وثائق الملك عبدالعزيز، ص ص ٤٠٧ ـ ٤٠٩.

(٢) أم القرى العدد ١٤٥٨، في ١٨/٧/١٣٧٢هـ، ص٣، وانظر عبدالله بوقس. المرجع السابق، ص ٢٣ - ٢٧.

بعض المواسم التي قل أعداد حجاجها[١]، ومهام النقابة العامة للسيارات الأساسية تنحصر في الإشراف العام على جميع السيارات الناقلة للحجاج، وتسجيل الشركات التي ترغب في نقل الحجاج، ومتابعة قيام الشركات بتنفيذ كافة التعليمات الخاصة بأمور النقل بما يعود بالراحة والاطمئنان على حجاج بيت الله الحرام، وقد سجلت شركة باخشب كعضو في النقابة في عام ١٣٧٢هـ بعدد اثنتين وتسعين حافلة جملة مقاعدها ٢٤٩٩ مقعداً وعززت مقاعدها في عام ١٣٧٣هـ بعشر حافلات، والشركة العربية للسيارات كعضو في النقابة عام ١٣٧٢هـ بعدد ٥٤٤ حافلة وتسع عشرة سيارة بوكس وثمانٍ وأربعين سيارة صغيرة بلغ مجموع مقاعدها ١٨١٧٣ مقعداً وفي عام ١٣٧٣هـ عززت بعدد سبع عشرة حافلة، وشركة عبدالعزيز كعكي في عضوية النقابة في عام ١٣٧٢هـ بعدد مئتين وأربع عشرة حافلة وإحدى عشرة سيارة بوكس وتسع وأربعين سيارة صغيرة بلغ إجمالي مقاعدها سبعة آلاف و ستمائة مقعد ومقعداً واحداً، وفي عام ١٣٧٣هـ عززت سياراتها بعدد سبع عشرة حافلة وخمس عشرة سيارة صغيرة. كما انضمت شركة المغربي إلى عضوية النقابة في عام ١٣٧٢هـ بعدد ثلاث وسبعين حافلة وإحدى عشرة سيارة بوكس وعشر سيارات صغيرة، وأصبحت شركة التوفيق عضواً في النقابة في عام ١٣٧٢هـ بعدد ثلاث وثمانين حافلة وست سيارات بوكس وإحدى وعشرين سيارة صغيرة بلغ مجموع مقاعدها ثلاثة آلاف وأربعة وعشرين مقعداً وفي عام ١٣٧٣هـ أمّنت الشركة سيارة واحدة صغيرة[٢].

---

(١) عمر حسين جعفري. «النقابات العامة للسيارات وشركات نقل الحجاج تاريخ وتطور»، وقائع ندوة النقل في الحج للسنة الثالثة، ٢١ ـ ٢٣ ذي القعدة ١٤٠٨هـ/ ٥ ـ ٧ يوليو ١٩٨٨م، وزارة المواصلات، وكالة الوزارة لشؤون النقل، مكة المكرمة، ص٨٩.

(٢) عمر حسين جعفري. المرجع السابق، ص ص ٩١ ـ ٩٣. وانظر عبدالله بوقس، نقل الحجاج بين الماضي والحاضر، وقائع ندوة النقل في الحج السنة الثالثة، ٢١ ـ ٢٣ ذي القعدة ١٤٠٨هـ، مكة المكرمة. ص ص ٢٣ - ٢٧.

ونظام النقابة العامة للسيارات يشتمل على ثلاثة أبواب تحتوي على أربع وستين مادة، وكان الباب الأول يشتمل على ثلاثة فصول فيها أربع وعشرون مادة تتحدث عن تأسيس النقابة ووظائفها وواجبات موظفيها، أما الباب الثاني ففيه فصلان يحتويان على عشرين مادة تتحدث عن تنظيم نقل الحجاج وواجبات الشركات، وبالنسبة للباب الثالث ففيه فصل واحد ويحتوي على عشرين مادة وبعض الأحكام العامة، التي تتناول الإشراف على السيارات والخلافات والحوادث التي تقع بين الشركات أو بينها وبين المستأجرين وحول حقوق المهندسين والسائقين[١].

ومن ناحية أخرى فقد كانت تصدر في بداية شهر ذي الحجة من كل سنة تعليمات لتنظيم حركة الحجاج في موسم الحج، وكان هذا التنظيم يشمل سير السيارات الصاعدة والنازلة من أول ذي الحجة إلى عرفة. كما كان التنظيم يشمل الجمال حيث كانت تحدد أياماً معينة تسير فيها دون السيارات، كما تخصص أوقاتا معينة لسيارات الأهالي، وفي اليوم التاسع يتم تخصيص الطريق المحدد لسير وسائل النقل المتنوعة إلى عرفات، ويتناول الإعلان عن المراكز التي تضعها مديرية الأمن العام في الطريق من مكة المكرمة إلى عرفات لتنظيم حركة المرور ،ومنع الازدحام. ،وتقوم الأمانة لإنارة الطريق العام التي تسير فيه وسائط النقل، كما وضع ترتيب لنزول السيارات والجمال من منى، وتم التنبيه على الأعمال التي يجب على رؤساء المطوفين عملها أثناء ذلك من ملاحظة تطبيق مطوفيهم للتعليمات ومسؤوليتهم عن السيارات التي تسلم لهم الشركة. وقد تم توضيح أهم الأعمال التي يجب على شركة السيارات عملها من وضع مراكز ثابتة لها في سيارات خالية ومهندس وموظفين للطوارىء أثناء الصعود إلى عرفة يوم التاسع[٢]. وكانت هذه التعليمات بطبيعة الحال تختلف من موسم إلى موسم بحسب الأحوال والظروف وأعداد

---

(١) أم القرى، العدد ١٤٥٨، في ١٨/ ٧/ ١٣٧٢هـ، ص ص ٣ ـ ٤.

(٢) أم القرى، العدد ١١٣٠، في ٣٠/ ١١/ ١٣٦٥هـ، ص٢.

الحجاج والإمكانات[١].

وقد أصدرت الإدارة العامة لشؤون الحج في عام ١٣٦٨هـ تعليمات عامة لسائقي السيارات نصت على أن كل سائق ينبغي أن يعامل الحجاج معاملة حسنة، وكل من يشتكي منه الحجاج تسحب الرخصة منه ويمنع من العمل، وتحدد السرعة في طريق المدينة المنورة أو في طريق مدينة جدة أو منطقة عرفات وكل من يخالف تسحب منه الرخصة[٢]، ومحظور على أي سائق أن يأخذ أي شيء من الركاب باسم شراء البنزين للسيارة أو أية آلة أخرى، إذ إنه مطالب بالرجوع إلى مراكز الإسعاف الثابتة والمتنقلة في الطريق، ومحظور عليه أن يأخذ من الحجاج أية مصلحة لقاء تنفيذ رغبتهم في السرعة أو الإقامة أو السفر، وأن ترتيب السفر في الطريق كالآتي: المحطة الأولى: مكة المكرمة ـ جدة، والمحطة الثانية: جدة ـ تول، والمحطة الثالثة: تول ـ رابغ، والمحطة الرابعة: رابغ ـ أم البرك، والمحطة الخامسة: أم البرك ـ المسيجيد، والمحطة السادسة: المسيجيد ـ المدينة، وأن المبيت يكون في المحطات المقررة حسب التعليمات المبلغة للسائقين والمراكز[٣].

كما نصت التعليمات الموجهة للسائقين بمراعاة راحة الحجاج في السفر والاستراحة في جميع المراكز الموجودة في الطريق، وعليه مراعاة رغبتهم في الوقوف لأداء الصلوات، وعدم السير بهم في أوقات الظهيرة وحرارة الشمس[٤].

كذلك نصت هذه التعليمات على كل سائق أن لا يخرج بسيارته إلا وهو مصطحب معه الأدوات الاحتياطية اللازمة، وحيث إن الحكومة قد وضعت دوريات تفتيشية على السائقين أثناء الطريق فقد تم التنبيه على الحجاج إخبار هذه الدوريات عن

(١) انظر أم القرى العدد ١١٨٠، في ٢/١٢/١٢٦٦هـ، ص٤، وانظر العدد ١٢٨٠، في ٨/١٢/١٣٦٨هـ، ص٦، وانظر العدد ١٣٧٨، في ٥/١٢/١٣٧٠هـ، ص٧.

(٢) أم القرى، العدد ١٢٧٤، في ٢٥/١٠/١٣٦٨هـ، ص٤.

(٣) أم القرى، المرجع السابق.

(٤) أم القرى، المرجع السابق.

كل من يخالف ذلك، وعليهم مراجعة المراكز الرئيسة لإدارة شؤون الحج بمكة أو مركزها بالمدينة أو المفتشين السيارين والثابتين بالطريق وإخبارهم عن أي تعب أو ضرر يحدث لهم من السائقين لإمكان مجازاتهم، أما السائق الذي يحمل ركابًا معه من غير المدونين في الجدول؛ فإنه يكون عرضة للعقاب[١]. وفيما يتعلق بشأن سائقي السيارات الذين يحملون حجاجًا من الطرقات فقد منع حمل الحجاج في السيارات الخصوصية والحكومية أو سيارات أية شركة من الشركات بطريقة غير مشروعة بقصد الاستغلال والانتفاع الشخصي سواء كان النقل واقعًا في الطريق بين المدن أو من المدينة نفسها. كما منع تحميل السيارة عددًا أكثر من العدد المقرر لها نظامًا أو زيادة ما هو مدون في جدول الحركة الذي يحمله سائق السيارة، وكل من يثبت عليه ذلك يعاقب باستيفاء رسم الكوشان مضاعفًا أو بالسجن[٢]. كذلك هناك تعليمات فيما يتعلق بعدد المرات التي تقوم السيارات بنقل الحجاج إلى عرفات فقد تم تحديدها بمرتين فقط تجنبًا للأضرار التي لمست بالفعل في المواسم المنصرمة لموسم عام ١٣٧١هـ من تعداد الردود وتذمر الحجاج، والسماح بالإركاب في الدرجة الثالثة بالسيارات على أن يكون ذلك لمن يطلبها فقط دون فرضها على الحجاج، وإذا علم أن الدرجة الثالثة فرضت على شخص ما فسوف يكون عقاب السائق شديدًا، أما أجرة الدرجة الثالثة فتكون بحسب العملة الأصلية للحجاج كما يلي: اثنان ونصف بالجنيه الإسترليني، اثنان ونصف بالدينار الأردني، اثنان وعشرون ونصف بالليرة السورية، اثنان وعشرون ونصف بالليرة اللبنانية، ثلاث وعشرون بالروبية الباكستانية، ثلاث وعشرون بالروبية الهندية، سبعة دولارات أمريكية، ألفان وخمسمائة بالفرنك الفرنسي[٣].

أما في مجال الاتصالات البرقية والبريدية واللاسلكية، فقد اهتم الملك عبدالعزيز

---

(١) أم القرى، العدد ١٢٧٤، في ٢٥/ ١٠/ ١٣٦٨هـ، ص٤.

(٢) أم القرى، العدد ١١٠١، في ٤/ ٥/ ١٣٦٥هـ، ص٢.

(٣) أم القرى، العدد ١٤٢٧، في ٩/ ١٢/ ١٣١٧هـ، ص٣.

بتقديم خدمات البريد للحجاج، التي كانت تنشـر مواعيده في الجريدة الرسمية أم القرى، كما كان ينشر مـقدار إيجار السيارات والرسوم التي تدفع عليهـا، ومن جهة أخرى كانت تنشـر كذلك المسافـات بين المدن الرئيسـة في الحجـاز لخدمـة الحجاج ومـدى الزمن الذي تقطعه السـيارات والجمال. كـما كان يوضح مراكـز التلفون والاستراحـات فيها ومـراكز الصحة والشرطة والبريد ومـدى توافر المياه فيها. كما تنشر مواعـيد قيام البريد في الداخل والخارج مع تعـرفة أجور البـرقيات والرسـائل والطرود والخطابات وغيـر ذلك سواء من مدينة مكة المكرمة أو من مدينة جدة أو من المدينة المنورة أو من مدينة ينبع[١].

فـفي عـام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م صدرت التـشكيـلات الإدارية التي تضـمنت إنشـاء مديرية للبرق والبـريد مرتبطة بنائب الملك في الحجاز وأنشيء في مـدينة الطائف في العام نفسه مركز للاتصالات البرقية. كـما أقيمت مراكز لأجهزة التلفون اللاسلكي في كل من مكة المكرمة ومدينة الرياض، وفي العام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م بديء في نقل البريد بين مكة المكرمة والرياض بواسطة السيارات، ثم استخدمت الطائرات في هذه المهمة[٢].

وقـد انضمت المديريـة العامـة للبـرق والبريد والتلـفون في شـهر شـعبان من عـام ١٣٤٥هـ إلى الاتحـاد البريدي الدولي في برن، وانـضمت إلى الاتفـاقات البـريدية الموقع عليـها في مـدريد، ونظمت أعـمالهـا طبـقًا لما هو منصـوص عليـه دوليا، وقـد اشتـركت الحكومة السعودية في أعمال مؤتمري البريد اللذين عقدا في عام ١٣٤٨هـ بلندن وفي عام ١٣٥٣هـ بالقاهرة، وأبرم الملك عبدالعزيز الاتفاقـات الأخيرة في غرة جمادى الأولى سنة ١٣٥٣هـ/ ١٢ أغسطس من عـام ١٩٣٤م، كما اشـتركت فيمـا عقد من مـؤتمرات البريد ومن أهم الاتفاقيات اتفاقية البريد العامـة، اتفاقية الخطابات والطرود المؤمن عليها، اتفاقية

---

(١) أم القـرى، العدد ٥٢٥، في ١٣٥٣/٩/٢٨هـ، ص٣، وانظر العـدد ٥٢٤، في ١٣٥٣/٩/٢١هـ، ص٢، وانظر العدد ٥٥٧، في ١٣٥٤/٥/١٦هـ، ص١، وانظر العدد ٥٥٨، في ١٣٥٤/٥/٢٣هـ، ص١.

(٢) وزارة المواصلات، النقل والمواصـلات خطوات وإنجازات، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، المملكة العربية الـسعودية، ص٧.

الطرود البريدية، اتفاقية الحوالات البريدية، اتفاقية تحصيل حسابات الشيكات البريدية، اتفاقية تنظيم تحاويل حسابات الشيكات البريدية، اتفاقية لتدبير اشتراكات الجرائد والمجلات. وتوجد بين إدارة البريد العامة وإدارتي البريد في الهند وفلسطين اتفاقيتان خاصتان بتبادل التحاويل البريدية وتصفية الحسابات المتقابلة. كما أن هناك اتفاقًا بينها وبين إدارة البريد المصري من أجل تنظيم البريد الترانزيت بطريق مصر وقبول التعامل والتحاويل بين المملكة ومصر[1]. وتتبع المديرية العامة للبرق والبريد والتلفون واللاسلكي في مزاولة شتى شؤونها النظم التفصيلية التي أقرها مجلس الشورى، وقد روعي فيها الاتفاقيات الخارجية سالفة الذكر، وأهم هذه النظم: نظام البريد الخاص بالمراسلات العادية والمسجلة، نظام الحوالات، نظام الخطابات والعلب المؤمن عليها والمحول عليها، نظام الطرود العادية والمؤمن عليها، نظام البرق، نظام التلفونات، وتنقسم المديرية إلى الأقسام الرئيسة الآتية المرتبطة بها، وهي: مديرية الأعمال اللاسلكية، ومديرية أعمال البريد، ومديرية أعمال البرق والتلفون، وديوان التحرير، وديوان المحاسبة، ورئاسة المستودعات، ورئاسة محاسبة الصندوق العام، وأمانة الصندوق العام، وقسم التفتيش، ومديرية الأنواء الجوية[2].

وفي الواقع؛ فإنه قد مرت وسائل النقل البرية والبحرية والجوية بمراحل تنافس ظهر كل منها على الآخر حتى استقر الأمر أخيرًا على حصول وسيلة الجو على النسبة الكبرى في نقل الحجاج وحركتهم الدولية. وقد واكب هذا التطور في وسائل النقل الحديثة سعي الدولة السعودية إلى استخدامها ففي عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م تم استخدام الطائرات لنقل الحجاج إذ سافر عدد قليل من الحجاج عن طريق الجو حيث قدموا من مصر إلى جدة، كما تم السماح للقيام بالخدمات الجوية بين مدينة جدة والمدينة المنورة بعد الانتهاء من

(١) فؤاد رضا. «تعريف بوضعنا الإداري. المديرية العامة للبرق والبريد والتلفون»، المنهل، المجلد ١١، السنة الحادية عشرة، ربيع الأول، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م، ج٤، ص ص١٢٦ - ١٣٠.

(٢) فؤاد رضا. «تعريف بوضعنا الإداري. المديرية العامة للبرق والبريد والتلفون»، المرجع السابق.

موسم حج تلك السنة[١]. وفي ٢٦/ ١١/ ١٣٦٦هـ قام الأمير منصور بافتتاح الخط الجوي بين مدينة جدة والمدينة المنورة، وبذلك بدىء بحمل الحجاج الذين يرغبون في ركوب الطائرات[٢]. وقد سعى الملك عبدالعزيز لتوفير جميع الإمكانات لراحة الحجاج، بحيث تسخر وسائل النقل المتطورة لذلك، فقد تم وضع الترتيبات والتعليمات الخاصة بنقل الحجاج فأصدر الأمر السامي الكريم رقم ٩٧٠٥ في ٢٥/ ١٠ ,١٣٧٢هـ[٣]. على أن يكون آخر موعد لزيارة المدينة من جدة بالطائرات السعودية لكافة الحجاج اليوم الثاني من شهر ذي الحجة، وآخر موعد لعودة الحجاج الموجودين في المدينة بالطائرات إلى جدة هو اليوم السادس من شهر ذي الحجة، أما عودة الحجاج القادمين بالطائرات من بلادهم من مكة المكرمة إلى جدة بعد الحج سواء للزيارة أو لعودتهم، فيجرى ترحيل حجاج الطائرات من مكة المكرمة بصفة إجمالية بموجب نظام الأفواج الرسمي أي بحسب تسلسل دورهم الأول، على أن يراعى في ترحيل هؤلاء الحجاج من مكة المكرمة إعطاء كل من الحجاج الزائرين قبل الحج، والذين سيقومون بالزيارة الترتيب الخاص بكل منهما في نشرة الترحيلات الرسمية، كما أنه ينبغي أن يراعى بصورة خاصة ترحيل من حل موعد سفره لبلاده بموجب التاريخ المسجل في تذكرة العودة إلى جدة سواء كان من الزائرين قبل الحج أم لا دون مراعاة التسلسل العام حرصًا على عدم تأخير موعد سفره المحدد، أما الحجاج القادمون بالبواخر ويريدون العودة لبلادهم بالطائرات بدلاً عن عودتهم في فوجهم بالباخرة فيصرح لهم بالموعد المحدد لهم في تذكرة الطائرة سواء كان نزولهم لمدينة جدة للعودة لبلادهم بالطائرة حالاً أو لزيارة المدينة المنورة ثم عودتهم

---

(١) Report on the Pilgrimage of 1937 (A. H. 1355) (E 4922/201/25) British Documents on Foreign Affairs, Vol, 14, p. 366.

(٢) مجلة الحج، العدد السادس، السنة الأولى، ذو الحجة ١٣٦٦هـ، مكة المكرمة، ص٦٣.

(٣) أم القرى، العدد ١٤٧٣، في ١٣/ ١١/ ١٣٧٢هـ، ص٣، وانظر «التعليمات الخاصة بترحيلات حجاج الطائرات»، مجلة الحج، الجزء الخامس، السنة السابعة، ذو القعدة، ١٣٧٢هـ، ص٣٤٦.

بالطائرات لبلادهم[١]. أما الحجاج القادمون بالبواخر ويريدون الزيارة فقط بالطائرة على أن تكون عودتهم لبلادهم بالباخرة في فوجهم القادمين فيه فيكون موعد سفرهم من مكة المكرمة هو موعد سفر فوجهم بالذات، وتقوم مصلحة الطيران السعودية بتعيين العدد المقرر نقله بطائراتها للزيارة يوميا من مدينة جدة إلى المدينة المنورة لدى إدارة الحج، وتخطر شركة السيارات بضرورة إيصال الحجاج إلى مدينة الحجاج بجدة بدلاً من إنزالهم بالمطار لمنع اتخاذهم المطار مأوًى لهم، كما يخطر وكلاء شركات الطيران بنقل حجاجهم المقرر سفرهم أولاً فأولاً من مدينة الحجاج إلى المطار في الوقت المناسب[٢]. كما تقوم كذلك مصلحة الطيران بنقل الحجاج الذين سيزورون المدينة المنورة من مدينة الحجاج إلى المطار في الوقت المناسب، ولمنع بقاء الحجاج أمام مكاتب وكلاء شركة الطيران بجدة وأمام مكتب وكيل الخطوط السعودية بها، يتعين على هؤلاء إنفاذ الأوامر الخاصة باتخاذ مكاتب لهم في مدينة الحجاج توحيداً للأعمال وتحاشيًا لانتشارهم بالبلدة بمرابطتهم أمام مكاتب الوكلاء واتخاذهم الأزقة والشوارع المقابلة لها مواضع إقامة دائمة[٣].

٣ ـ خدمة الحجاج في المنافذ البرية والبحرية السعودية:

اهتم الملك عبدالعزيز بتوفير الخدمات للحجاج في المنافذ البرية والبحرية للمملكة العربية السعودية، وفي نطاق هذا الاهتمام قام بإنشاء شركات نقل مهمتها نقل الحجاج وتوفير كافة الخدمات لهم من خلال استقبالهم وتوديعهم، حيث أنشئت شركة نجد لنقل من يرغب الحج أو الحج والزيارة من المسلمين في الكويت أو في الخليج العربي عن طريق نجد، وتم تجهيز وتوفير السيارات الخاصة بالشركة ، وحددت الأسعار والرسوم المقررة على كل راكب سواء إلى مكة المكرمة أو إلى مدينة جدة أو إلى المدينة المنورة ومواعيد قيام

(١) أم القرى، العدد ١٤٧٣، في ١٣/ ١١/ ١٣٧٢هـ، ص٣، وانظر «التعليمات الخاصة بترحيلات حجاج الطائرات»، مجلة الحج، الجزء الخامس، السنة السابعة، ذو القعدة، ١٣٧٢هـ، ص٣٤٦.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

هذه القوافل[١]. وقد تكونت هذه الشركة الجديدة في عام ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٨م لنقل المسافرين من نجد إلى الحجاز برأس مال قدره ١٥٠٠٠ جنيه ذهب، و٣٠٠٠ سهم قيمة السهم ٥ جنيهات ذهب[٢]. هذا؛ ومن ناحية أخرى فإن الحجاج الأفغان كانوا يستخدمون خلال سفرهم البري السيارات، ويسلكون الطريق المتجه نحو إيران لمدة أربعة أيام متتالية، ثم يدخلون بلاد العراق بعد ذلك مارين ببغداد ثم البصرة، وبعد ذلك يتجهون إلى الكويت، ويمكثون يومًا واحدًا، ثم يدخلون بعد ذلك إلى أراضي المملكة العربية السعودية فيمرون على الدمام، ثم ينتقلون إلى العاصمة الرياض ويمكثون فيها يومًا واحدًا ثم يرحلون إلى الطائف وفيها تبدأ استعدادات الحجاج لدخول مكة، ونظرًا لحب الحجاج الأفغان التنقل سيرًا على الأقدام مع كبر سنهم، فكانوا يؤدون هذه الفريضة سيرًا على الأقدام طلبًا للأجر والثواب، وكان كثيرًا منهم ينتقل بين الحرم المكي ومنى ومزدلفة وعرفات سيرًا على الأقدام وكذلك الحال في المدينة المنورة[٣].

ومنذ أن تبدأ قوافل الحجاج تفد إلى البلاد السعودية من البلدان المجاورة وهي تجد عناية خاصة من لدن الملك عبدالعزيز، حيث تتمثل أوامره لأمراء الحدود والمراكز الداخلية بملاحظة الحجاج وبذل كل ما في الإمكان لتوفير راحتهم. كما كان يصدر أوامره بإقامة المخيمات الكبيرة خارج مدينة الرياض وتزود بالموظفين اللازمين من الشرطة والصحة لاستقبال الحجاج والسهر على راحتهم. كما كان يأمر بقيام قافلة سيارات مزودة بالمهندسين والأدوات والأرزاق اللازمة برفقة بعض ضباط وجنود الشرطة لتعقب سيارات الحجاج التي تكون معطلة في الطريق حرصًا منه على أن تصل جميع السيارات بحجاجها إلى مكة المكرمة قبل اليوم التاسع ليتمكنوا من أداء فريضتهم في يسر وراحة، كما أنه لم

---

(١) أم القرى ، العدد ٦٨٢ في ٢٨/ ١٠/ ١٣٥٦هـ، ص٦.

(٢) From Mr. Trott to Viscount Halifax - (Received August. 29, 1938) [E 5064/25/25] Records of Hajj, vol 7, p 288.

(٣) سليمان عبدالغني مالكي؛ سعد الدين أونال. المرجع السابق، ص٧٤.

يكتف بذلك فقد كان يصدر أوامره إلى أمراء المراكز بضرورة ملاحظة سيارات الحجاج وإسعافها بكل ما يمكن والعمل على وصول الحجاج إلى مكة قبل يوم عرفات[١]. وقد كانت لدى الملك عبدالعزيز في عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م رغبة في فتح طرق برية من الخليج العربي إلى المملكة العربية السعودية تسهيلاً وراحة للحجاج، كما كان حريصًا على إقامة خدمة للسيارات على طريق العقير عبر الرياض إلى مكة المكرمة تحت شروط وأحكام مناسبة[٢] . وقد كان حجاج إيران والعراق يمرون بحائل للوصول إلى مكة المكرمة، أما حجاج سورية والأردن ومصر فيذهبون إلى مكة المكرمة عن طريق الحجاز، وكان حجاج الخليج العربي ومن فيّ جهته يجيئون إلى مكة المكرمة عن طريق الرياض وعن طريق القصيم، وكان بعض الحجاج يأتون على الجمال، وأجرة الجمّالين من العراق إلى حائل ثم إلى مكة ثم العودة إلى العراق هي ست ليرات ذهبية، وكانت إمارة حائل تأخذ التعرفة الجمركية عن الحاج أربع ليرات أو ما يقاربها، أما أجرة الحاج من سوريا إلى مكة فلم تكن واحدة في تلك الفترة ولكنها تتراوح بين ثلاث ليرات إلى أربع ليرات[٣]. وسعيًا إلى تنظيم دخول حجاج البر إلى المملكة العربية السعودية فقد وضع الملك عبدالعزيز تعليمات وأصدر أوامره إلى أمراء المناطق بضرورة تنظيم دخولهم إلى الأراضي السعودية بطرق مشروعة ونظامية[٤]. وفي نطاق الخدمة المقدمة للحجاج في المنافذ البرية فقد عُقدت اتفاقية بين الحكومة السعودية والحكومة الملكية العراقية بإصلاح

---

(١) المنهل، «شهرية الأنباء»، المجلد ١١، ١٣٧٠هـ، السنة الحادية عشرة، جزء ٩ ـ ١٠، ذو القعدة ذوالحجة، عدد ممتاز، ص ص ٤٣٤ ـ ٤٣٥.

(٢) From Mr. Calvert to Mr Eden- (Received August. 25, 1936) (No. 233 Confidential). [E 5367/27/25] Records of Hajj, vol 7, p119.

(٣) عبدالرحمن السبيت وآخرون. رجال وذكريات مع عبدالعزيز (الرياض: الحرس الوطني، ١٤١٠هـ) ص١٨٧.

(٤) انظر «برقية من الملك عبدالعزيز إلى ابن عطيشان وابن عمار» في ٢٩/ ١/ ١٣٦٤هـ، وانظر كذلك برقية من الملك عبدالعزيز إلى ابن عطيشان وابن عمار، في ١٦/ ١٠/ ١٣٦٤هـ، (قسم الوثائق، الوثائق الوطنية، دارة الملك عبدالعزيز).

طريق الحج البري بين العراق والحجاز كلٌ ضمن حدوده وتتعهد كل حكومة بوضع أدلاء لمرافقة سيارات الحجاج عند ذهابها وإيابها وتأمين البنزين لقوافل الحجاج، وتقوم الحكومة السعودية بأخذ الرسوم من هذه القوافل، وقد نشرت جريدة أم القرى خمسة تقارير عن هذا الطريق البري توضح من خلالها النظام الخاص الذي سوف تسير عليه السيارات، وأسماء ومواقع محطات الاستراحة للقوافل، وأماكن المياه التي يمكن الحصول عليها والشروط الواجب توافرها في السيارات التي تسير في هذا الطريق[1]. وقد قُدمت العديد من الطلبات في عام ١٩٣٤م من لدن الحجاج في الخارج للقدوم على هذا الطريق، ويبلغ طول هذا الطريق ١٢٠٠ كيلو متر، وينقسم إلى قسمين: ٥٠٠ كيلو متر في العراق و٧٠٠ كيلو متر في منطقة الحجاز، وقد تم التنقيب عن بعض الآبار التي يرجع تاريخها إلى عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد على طول هذا الطريق، ويستطيع المرء أن يذهب من بغداد إلى المدينة المنورة في ستة أيام بالسيارة[2] ولقد تم الاتفاق بين الحكومتين السعودية والعراقية على فتح الطريق البري في عام ١٩٣٥م/ ١٣٥٥هـ، حيث تقوم من خلاله شركات السيارات والنقل العراقية بنقل الحجاج إلى المدينة المنورة، وتقوم الحكومة العراقية بالسماح للسيارات التي تحمل خمسة ركاب فقط للقيام بالرحلات على هذا الخط أثناء موسم الحج، وقد بلغ عدد الحجاج الذين تم نقلهم في عام ١٩٣٥م من طريق النجف إلى المدينة المنورة، حوالي ٣٩٨ حاجًا بما فيهم مجموعة تتكون من سبعين حاجًا عراقيًا واثنين وعشرين حاجًا هنديًا[3].

وفيما يتعلق بالجانب الأمني فقد عاني حجاج مسافرون على هذا الطريق بسيارات

---

(١) أم القرى، العدد ٥٣٢، في ١١/ ١١/ ١٣٥٣هـ، ص ص١ - ٣، وانظر العدد ٥٣٨، في ٢٤/ ١٢/ ١٣٥٣هـ، ص١، وانظر العدد ٥٣٩، في ١/ ١/ ١٣٥٤هـ، ص١، وانظر العدد ٥٤٠، في ٨/ ١/ ١٣٥٤هـ، ص١.

(٢) The Moslem World, The Pilgrimage In 1934, p. 291

(٣) Report on the Pilgrimage 1935 (A. H. 1353) (E 5154/74/25) British Documents on Foreign Affairs, Vol, 14, .p. 304.

عراقية قديمة ومعطلة صعوبات كثيرة وتعطلت حوالي مائتي سيارة في الصحراء بعيداً عن المدينة المنورة، فما كـان من الملك عبدالعزيز إلا أن أمـر بإرسال سيارات حكوميـة وخاصة لإنقاذهم[(١)].

ومن ضمن الترتيبات الصحية التي اتخذت من الجانب السعودي في طريق النجف- المدينة، فـقد تم توظيف طبـيب تركي يدعى عـادل باي في حائل، وذلك من أجل فـحص الحجـاج القادمين والعائديـن، كذلك تم توظيف الطبيب الهـندي حامد حـسان لمدة ثلاثة أشهر بعيداً عن المدينة بعدة أميال وذلك للقيام بالواجبات نفسها[(٢)].

وقد كانت عناية الملك عـبدالعزيز بالحجاج القادمين عن طريق البـر واضحة، بوضع تعليـمات لقوافل الحـجاج في مـوسم عام ١٣٦٧هـ، حيـث منع الترخيص للـقادمين إلى مراكز الحدود بدون جوازات سـفر رسمية مؤشر عليها من السلطات الـقنصلية من اجتياز الحدود وإرجـاعهم، كمـا تم التنبيه على الدول الـتي جاءت منها سـيارات تنقل حجـاجًا بإجراء مراقبة على سياراتها على أنه لا يسـمح إلا للصالح منها بالخروج مع الحجاج. كما لم يسـمح للسـيارات الناقلة للحجـاج بالسفر منفردة؛ بل كـان عليها أن تسافـر في قوافل أقلها خمس سيارات منها سيـارة واحدة احتياط، ويكون على كل قافلة رئيس منتدب من لدن السلطات المختـصة في البلاد التي تأتي مـنها السيارات المذكـورة. كما تم منع تحـميل السيارات زيادة على حمولتها المقررة، إذ كـان يجرى التفتيش على هذه السيارات من لدن مأموري الأمن العام والجمارك في نقاط الحدود. كما كان يعاد هذا التفتيش مرة أخرى في المراكز الأمنية المتـوسطة بين نقطة الحدود ومكة المكرمة، كمـا تم تطبيق هذه الأحكام على ركاب الجمال أيضـًا نظراً؛ لأن رجال البادية اعتادوا نقل الحجاج على الجـمال، أما المراكز التي في الحدود والتي كانت تمر منهـا السيارات فهي تبوك، قرية الحـفر، القريات، الجوف،

(١) British Consulate, Jedda, September 24 th, 1942, (1768/ 1268/2) Records of The Hajj. Vol, 7, p. 462.

(٢) Report on the Pilgrimmage of 1937 (A. H. 1355) (E4922/20/25) British Documents on Foreign Affairs, Vol, 14, .p. 363.

لينه[١]. كما تم التنبيه كذلك على الحكومات أن تلاحظ تنفيذ الاتفاقية الصحية الدولية الخاصة بنقل الحجاج في الطريق البري سواء كانوا في السيارات أو في غيرها[٢]. وكانت هذه التعليمات تصدر سنويًا لقوافل الحجاج القادمة براً خلال مواسم الحج عن طريق وزارة المالية للتنبيه على قوافل الحج البرية.

وقد حظي قطاع الطرق والمواصلات البرية بوجه عام بنصيبه من العناية منذ عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٥م حيث أنشئت مصلحة الأشغال والمعادن التي كانت تابعة لوزارة المالية وكان من مهام هذه المصلحة تولي كل ما يتعلق بالأشغال العامة بما في ذلك الطرق، ثم تحولت في العام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م إلى مديرية وظلت تتبع وزارة المالية، وكانت مهامها محددة بالمسؤولية عن جميع الأشغال العامة التابعة للدولة بما في ذلك الطرق والسكك الحديدية، وعندما أعيد تنظيم وزارات الدولة ومصالحها جمعت الدوائر والمديريات ذات الأعمال المتجانسة في وزارات قائمة، وبذلك أصبحت في المملكة وزارة المواصلات تشرف على كل ما له صلة بقطاع المواصلات، وفي العام ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م ألغيت وزارة المواصلات وأنشئت في وزارة المالية وكالة لشؤون المواصلات، وفي العام التالي أعيد إنشاء وزارة المواصلات بحيث تكون مسؤولة عن كل ما يتعلق بشؤون البرق والبريد والهاتف والطرق والجسور والسكك الحديدية والموانىء والمنائر في جميع أنحاء المملكة[٣].

وكان نتيجة هذا الاهتمام تعبيد طريق مكة المكرمة ـ جدة ويبلغ طول هذا الطريق

---

(١) أم القرى، العدد ١٢٢٠، في ١٣٦٧/٩/١٧هـ، ص٣، وانظر «تعليمات الحجاج البرية لموسم ١٣٦٧هـ»، مجلة الحج، العدد الثاني والثالث، شعبان ورمضان، ١٣٦٧هـ، السنة الثانية، مكة المكرمة، ص ص ٨٠ ـ ٨٢.

(٢) أم القرى، العدد ١٣٢٧، في ١٣٦٩/١١/٢٥هـ، ص٤.

(٣) وزارة المواصلات ، النقل والمواصلات خطوات وإنجازات، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، المملكة العربية السعودية، ص٨.

٧٥ كيلو متراً، وقد أنشئت فيه محطات للاستراحة ومن هذه المحطات محطة بحرة في منتصف الطريق، وقد انتهى العمل في هذا الطريق عام ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م ونشأت بعض الصعوبات مع الحكومة المصرية التي قامت بالمشروع حول مسألة دفع الأقساط السنوية المستحقة على الحكومة السعودية، وقد تم التوصل إلى تسوية في هذا الشأن(١). والحقيقة أن الطريق من مدينة جدة إلى مدينة مكة المكرمة قبل تعبيده كانت ترابية غير صالحة لسير السيارات وكانت تسير عليه الحافلات والشاحنات التي أعدت لنقل الحجاج، وقد تميز سقف هذه الحافلات بأنه منخفض وبسبب انخفاضه وسوء الطريق كان الحجاج يتعرضون للقفزات المستمرة التي قد تؤثر في رؤوسهم وتؤدي إلى إصابتهم(٢)، كما تم تعبيد طريق جدة ـ المدينة المنورة من لدن إحدى الشركات الأجنبية الكبيرة ويبلغ طوله ٤٣٠ كيلو مترا، وطريق مكة المكرمة ـ الطائف، وطريق مكة المكرمة ـ منى ـ عرفات، وطريق مكة المكرمة ـ الرياض(٣). وكان الملك عبدالعزيز يجري الكثير من التحسينات في طرق سفر الحجيج، حيث تم تزويدها بمحطات الوقود والزيت وقطع الغيار، وذلك في بئر حسان في طريق المدينة المنورة، وتم وضع مهندس في منطقة الشميسي في طريق مكة المكرمة ـ جدة، وفي أم السَّلم(٤).

وقد أبرم اتفاق بين الحكومة وبعض الشركات على إصلاح طريق جدة ـ المدينة

---

(١) British Consulate, Jedda, September 24 th, 1942, (1768/ 1268/2) Records of The Hajj. Vol, 7, p. 461.

(٢) سليمان عبدالغني مالكي؛ سعد الدين أونال. المرجع السابق، ص٨٥. في الواقع كان المسافرون عن طريق السيارات يعانون كثيراً من الطرق الترابية التي كانت تعطل رحلتهم وتأخرهم عن الوصول في الوقت المناسب وذلك بسبب الرمال الكثيفة أو الطرق الصخرية أو السيئة. انظر إيجيرو ناكانو، المرجع السابق، ص ص٩ ـ ١٤.

(٣) عبدالمنعم الغلامي ـ المرجع السابق، ص ٢٥٠.

(٤) From Mr. Calvert to Sir John Simon (Received August 16) [E 4704/30/25] British Documents on Foreign Affairs, Report on the Pilgrimage, 1933 (a. H. 1351) PP. 227.

المنورة وتعبيده بالإسفلت[١]، وكان هذا الطريق يمر على منطقة بدر ثم وادي الصفراء فالمسيجيد، وبذا كان مصدر انتعاش لهذه المناطق الخصبة[٢]. وفي هذه المحطات سواء في طريق مكة المكرمة ـ جدة، أو في طريق مكة المكرمة ـ المدينة المنورة، فقد تم توفير الخدمات من أجل استراحة الحجاج أثناء سفرهم، وتم فيها توفير كل ما يحتاجون إليه من طعام وشراب، وأقيمت في جانب كل منها دائرة صحية وأخرى للشرطة للعناية بأمر الحجاج كما أن هذه الأماكن قد ربطت بالمخابرات التلفونية مع المراكز الكبرى الرئيسة كالمدينة المنورة وجدة ومكة الكرمة تسهيلاً للمعاملات وتأمين راحة المسافرين[٣].

وفي نطاق الخدمات التي قُدِّمت للحجاج تسهيلاً لدخولهم مكة المكرمة والمدينة المنورة فقد صدرت لوائح مؤقتة تنظم خدمة السيارات بين جدة والمدينة المنورة في الفترة ما بين ١٤ مايو و ١ يونيو ١٩٢٧م أي بين ١٢ ـ ٣٠ من شهر ذي القعدة ١٣٤٤هـ وتوضح الطريقة التي يجب اتباعها في السفر بين هاتين المدينتين عن طريق السيارات، حيث كان يصرح لكل سيارة من لدن المهندس المسؤول بالرحلة بعد الكشف عليها وتحصل بعد ذلك على شهادة بذلك، ولا تتحرك السيارات إلا عن طريق باب جديد في مدينة جدة وذلك بعد موافقة الضابط المناوب الذي كان يجب عليه أن يطلع على الشهادة الخاصة بالسيارة، وكان يشترط أن يكون مع كل ثلاث سيارات محملة بالركاب ومسافرة إلى المدينة المنورة سيارة واحدة فارغة. كما كان يشترط على كل سائق أن يكون معه مساعد وعلى المسافرين أن يحملوا معهم طعامهم، أما إذا رأى أي سائق راكبًا متعطلاً ليس معه أحد فعليه أن يخبر أقرب مركز حكومي لكي يتخذ الإجراءات لمساعدته، وقد حددت الأجرة بين مدينة جدة والمدينة المنورة بخمسة عشر جنيهًا إسترلينيًا[٤].

---

(١) المنهل، «شهرية الأنباء»، المجلد ١١، ١٣٧٠هـ، السنة الحادية عشرة، جزء ١، ص٤٧.

(٢) المنهل، «شهرية الأنباء»، المجلد ١١، ١٣٧٠هـ، السنة الحادية عشرة، جزء ٢، صفر ص١٠٣.

(٣) أم القرى، العدد ٤٢٤، في ١٣٥١/٩/٢٩هـ، ص١.

(٤) From Consul Stonehewer - Bird to sir Austen Chamberlain, (Received September 14, 1926) [E 5283/ 155/91] Records of Hajj, Vol. 6. p. 129.

وفي مجال تنظيم المرور في المشاعر المقدسة خلال فترة الحج فقد رأى الملك عبدالعزيز في موسم عام ١٣٤٨هـ أن الازدحام يكثر في شوارع منى، وبالتالي فإن الحجاج يلقون تعبًا من وراء هذا الازدحام، فأمر بضرورة تنظيم الشوارع وفتح طريقين علاوة على الشوارع الموجودة(١). وقد كانت تستخدم العربات(٢)، في مكة المكرمة بين أحيائها التي يقيم فيها الحجاج وذلك أن السيارات غير مسموح لها بالدخول إلى مكة أثناء فترة الحج، وكانت هذه العربات الصغيرة تستخدم في نقل الحجاج من مكان لآخر وفي نقل النساء والأطفال، أما أجرتها فتتراوح بين جنيه واحد إلى اثنين خلال فترة الازدحام(٣)، وفي عام ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م، منع الملك عبدالعزيز من استخدام الحافلات والعربات الكبيرة في مكة المكرمة خلال شهري ذي القعدة وذي الحجة، ثم أعطى الموافقة لاستخدام السيارات الصغيرة أما الحافلات التي تقل المطوفين وكبار العلماء فكان يسمح لها بالدخول إلى مكة المكرمة بناء على تصريح من إدارة الشرطة(٤). وقد عانت مكة المكرمة في عام ١٣٦٩هـ من شدة الازدحام حيث أصبحت مشكلة معقدة نتيجة لكثرة السكان وازدياد العمران، ولتنوع وكثرة وسائل المواصلات التي تجوب شارع مكة الوحيد وأزقتها الملتوية التي أنشئت لغير السيارات، ولعدم وجود شوارع عامة أخرى وميادين من شأنها أن تخفف الضغط عن هذا الشارع الوحيد الفريد، الذي يكاد يختنق في بعض أجزائه بالدور والدكاكين(٥). وقد حدد مدير الأمن العام في تلك الفترة المشكلة بأن الشوارع في مكة كانت تعاني من ضيق شديد، الذي كان من أهم الأسباب المؤدية إلى

---

(١) أم القرى، العدد ٢٥٦، في ١٣/٦/١٣٤٨هـ، ص١

(٢) هي نوع من أنواع المواصلات التي تستخدم فيها الحيوان

(٣) Report on the Pilgrimage of 1930, (E 3460/100/25) British Documents on Foreign Affairs, Vol, 14, p. 97.

(٤) Report on the Pilgrimage of 1934 (A. H. 1352) (E 5550/148/25) British Documents on Foreign Affairs, Vol, 14, p.p. 270-271.

(٥) المنهل. «ندوة عن مشكلة المواصلات في العاصمة»، السنة ١٠، ج٣ ـ ٤، ربيع الأول والثاني، ١٣٦٩هـ، ص١١٠.

عدم التوفيق في تنظيم حركة المرور تنظيمًا دقيقًا؛ وذلك لأن مكة هي واقعة في وادٍ ضيق تكتنفه الجبال من شرقه وغربه وشماله وجنوبه ليس فيها غير شارع رئيس واحد يمتد من أبواب مكة حتى نهاية المعابدة، وهذا الشارع يتسع في بعض الأرجاء، بحيث تسهل معه حركة المرور ويضيق في بعض المنعطفات حتى لا يتسع لمرور سيارة واحدة، وقد كثر عدد السيارات كثرة طغت على كل تنظيم وأصبح موضوع حركة السير محفوفًا بالمخاطر، ويرى أن الحل الأمثل كان في شق طرق جديدة لتصريف العدد الهائل من السيارات، وتعبيد بقية الطرق وإنشاء أرصفة على جوانبها حتى يسهل للمارة العبور عليها[1].

أما رئيس مجلس إدارة الشركة العربية للسيارات في تلك الفترة فكان يرى أن موضوع تأمين المواصلات بين عرفات ومزدلفة ومنى موضوع حيوي، فإلى جانب الطريقين اللذين تشقهما السيارات ذهابًا وإيابًا كان يرى وجوب فتح طريق ثالث إلى منى من أسفل ريع الأخشبين، وهذا الطريق سوف يخترق أسفل مزدلفة حتى سفح أحد فروع جبل ثبير المطل على منى، ويخصص هذا الخط للسيارات القادمة من مزدلفة إلى عرفات بعد تفريغ حمولتها في منى مما يؤدي إلى تنظيم في حركة المرور[2] إذًا؛ فإن النقطة الأساسية التي تبين أسباب تعرقل تنظيم المرور هي صعوبة مرور مئات السيارات في وقت واحد ومن طريق واحد أو من طريقين اثنين، وليست هذه الصعوبة ناشئة من عدم تنظيم المرور وإنما منشأ الصعوبة من عدم كفاية الطرق والشوارع لتطبيق التنظيم المنشود، وهي تنحصر في احتشاد السيارات يوم التروية حين الطلوع بها إلى منى، ثم احتشادها في الطرق حين نزولها دفعة واحدة من عرفة إلى منطقتي مزدلفة ومنى ليلة النفرة، ثم

(١) علي جميل. «ندوة عن مشكلة المواصلات في العاصمة». تحت شعار أحسن حل عملي لمشكلة المواصلات في مكة وبين المشاعر في موسم الحج»، المنهل، السنة ١٠، ج٣ - ٤، ربيع الأول والثاني، ١٣٦٩هـ، ص١١٢.

(٢) محمد مغيربي آل فتيح. «ندوة عن مشكلات المواصلات في العاصمة. تحت شعار أحسن حل عملي لمشكلة المواصلات في مكة وبين المشاعر في موسم الحج»، المنهل، السنة ١٠، ج٣ - ٤، ربيع الأول وربيع الثاني، ١٣٦٩هـ، ص ص ١١٠ - ١١٣.

احتشادها صباح اليوم العاشر عند النزول بها من منى إلى مكة بعد رمي الجمرة دفعة واحدة، وأخيراً احتشادها في شارع مكة الضيق وأزقتها المتعرجة دفعة واحدة وفي كل ركن وجانب من اليوم الثاني من أيام منى حتى صبيحة اليوم الثالث، وكانت الحلول والعلاجات تنصب على ضرورة فتح طريق جديدة بين مكة ومنى ومزدلفة وعرفة، تكون كافية لاستيعاب السيارات التي تتدفق في وقت واحد حتى لا يحصل لها ارتباك في الحركة والمرور سواء في ذهابها أو إيابها[١].

ونتيجة لذلك قام الملك عبدالعزيز بفتح شارع جديد في مكة المكرمة كان له أثره في تخفيف الضغط على الحجيج، وقد تكلف فتحه مبالغ ضخمة جداً، إذ اشترى ما يقرب من مائتي دار ضمت أرضها إلى الشارع، وذلك تيسيراً لسير السيارات في طريقها إلى عرفات ومنى[٢]. ومن ضمن الجهود المبذولة كذلك توسعة شارع القشاشية العام والمسعى في المنطقة التي يخب فيها السعاة بين العلمين الأخضرين، ولقد كانت هذه التوسعة متوقفة على هدم بيت باناجه الواقع أمام باب علي من أبواب المسجد، وتنفيذاً لذلك اشترت أمانة العاصمة هذه الدار من أهلها بثمانية آلاف جنيه إنجليزي ذهب[٣]، كما خصص في عام ١٣٦٩هـ طريق للجمال وآخر للسيارات في الطريق إلى عرفات حرصاً في المحافظة على سلامة الحجاج وراحتهم[٤]. وفي عام ١٣٧٢هـ أمر بفتح طرق جديدة في مكة ومنى ومزدلفة وعرفات وتعبيد تلك الطرق[٥].

وكان من ضمن ما عني به الملك عبدالعزيز تأسيس دائرة المرافئ بجدة برئاسة

(١) المنهل. «السبيل الوحيد لتنظيم راحة الحجاج أيام الحج» ، المجلد ١٠، عدد ممتاز، ذو القعدة وذو الحجة، ١٣٦٩هـ، ص ص٣٤٧ ـ ٣٧٥.

(٢) محمد السلاح. عبدالعزيز والحج، ص٢٦.

(٣) مجلة الحج. «حوادث وأنباء داخلية»، العددان الثاني والثالث، شعبان ورمضان، ١٣٦٧هـ، السنة الثانية، مكة المكرمة، ص٦٤.

(٤) محيي الدين رضا. صور ومشاهدات من الحجاز، ص١٥١.

(٥) المنهل، السنة الثالثة عشرة، ج٢، صفر ١٣٧٢هـ المجلد ١٣، ص (ج).

عبدالحميد حكيم، وقد جعل من صلاحيتها إصدار رخص للغواصين والحواتين والسنابيك، واستقبال البواخر القادمة إلى الميناء والمسافرة منها، واستيفاء الرسوم المقررة عليها، ثم تطورت في عام ١٣٥٠هـ إلى مصلحة رئيسة باسم: مديرية مصلحة خفر السواحل وصدر الأمر السامي رقم ٢٨٧ في ١٤/ ٣/ ١٣٥٠هـ المبني على الإرادة الملكية بذلك، وبتاريخ ٢٩/ ١/ ١٣٥٣هـ ورقم ٣١٨/ ٢٨ صدر الأمر السامي بالموافقة على النظام الذي وضعه مجلس الشورى لهذه المديرية، وهو مؤلف من ثلاث وثمانين مادة، ويشتمل على الأبواب التالية: الباب الأول مديرية مصلحة خفر السواحل، والباب الثاني أعمال المرافيء، والباب الثالث الدورية البحرية، والباب الرابع الدورية البرية، والباب الخامس أحكام عمومية، وبذيل هذا النظام تعريفة للرسوم التي تستوفيها هذه المديرية، وينص النظام في مجموعه على أن مديرية مصلحة خفر السواحل هي الدائرة المكلفة بالمحافظة على سواحل المملكة وضبط المهربات بحرًا وبرًا وفي داخل المرافئ، وذلك بواسطة دورياتها البرية والبحرية والمراكز الثابتة في المنافذ. كما أنها مكلفة بأن تنتدب جنودًا من مفرزاتها البحرية للصعود إلى البواخر والسفن حين قدومها لمراقبة البضائع فيها ومنع وقوع التهريب، والحيلولة دون تسرب المواد الممنوعة، واستيفاء الرسوم بواسطة إدارة المرافئ التابعة لها، ومنع الزوارق من الاقتراب من البواخر قبل التصريح من المحجر الصحي بواسطة المفرزة البحرية، وتفقد العلامات البحرية الثابتة والقائمة داخل الثغور وخارجها والمنائر، وهي التي تتولى ترتيب الدوريات المتحركة والثابتة برًا وبحرًا للتجول في السواحل والبراري لمنع وقوع التهريب ولضبطه في حالة حدوثه، وتعطي التعليمات اللازمة لهذه الدوريات ولإدارات المرافئ التابعة لها وتشرف على أعمالها وتقوم بالتفتيش عليها بين الفينة والفينة، وبالمديرية المذكورة: مجلس تأديبي، والهيئة التحقيقية، وإدارات المرافئ، والدورية البحرية والبرية[1]. وقد طلبت حكومة جاوى في عام ١٣٤٤هـ من قنصل هولندا في جدة أن يبحث مع الملك عبدالعزيز في أمور الحج، ومنه المكان المناسب

---

(١) فؤاد رضا. «تعريف بوضعنا الإداري. مديرية مصلحة خفر السواحل»، المنهل، المجلد ١٠، السنة العاشرة، ج٨، شعبان ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م، ص ص٢٩٢ ـ ٢٩٤.

لرسو سفن حجاجها، وبعد البحث أفادت الحكومة السعودية أن مدينة رابغ أفضل مكان لوقوف المراكب عليها، وبعد زيارتها من لدن وكيل قنصل هولندا وحافظ وهبه وعبدالله الفضل وجدوا أن رابغ تمتاز عن جدة وينبع لتوسطها بين المدينة ومكة وأن الحاج الذي يصلها ويسافر إلى المدينة، ثم يرجع منها إلى مكة ومنها إلى رابغ يوفر على نفسه مشقة سفر أربعة أيام(١) . ولقد كانت ترتيبات نقل الحجاج لعام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م مرضية للغاية فقد كان الحجاج ينقلون من السفينة إلى الشاطئ بأمتعتهم في قوارب بحرية شراعية كبيرة والمعروفة محليًا باسم «السنابك» ولم تحدث أية حادثة خطيرة في هذا الموسم أثناء نقل الحجاج من وإلى السفن التي يرسو بعض منها في الميناء الخارجي على بعد أربعة أميال من المدينة نفسها، والذي يمكن فقط الوصول إليه من خلال ممر ضيق معقد من خلال الشعاب المرجانية، وقد كانت تكاليف النقل التي حددتها الحكومة السعودية ريالين سعوديين، وقد اشتمل ذلك على نقل الحاج وأمتعته وتحميلها وتفريغها(٢).

وبالنظر إلى ما ظهر من ضرورة تحديد للصلاحيات والمسؤوليات الناشئة عن العمل في شؤون الحج والحجاج في جدة، ولتنظيم الأعمال بشكل واضح فقد وضعت قواعد نفذت منذ موسم حج ١٣٥٦هـ/ ١٣٥٧هـ، وهي تعدّ صاحب السنبوك أو الزورق البخاري أو أية واسطة أخرى من الوسائط المستعملة في إنزال الحجاج من البواخر إلى الرصيف، وكذلك رئيس بحارتها أو كبيرهم أو أي شخص آخر مكلف بإدارة واسطة النزول المذكورة، كلهم مسؤولون عما يصيب الحجاج أو أمتعتهم من الأضرار والخسائر منذ نزولهم من الباخرة إلى الزوارق أو غيرها إلى أن يفارقوها عند رصيف الميناء بجدة أو ينبع إلا في حالة الحوادث التي ليس في مقدور البشر دفعها، ثم إن الهيئة التي تنظر في تحقيق شكاوى الحجاج الناشئة من الأعمال المذكورة سابقًا هي هيئة الأمناء والنقباء وفي

---

(١) أم القرى، العدد ٤٦، في ٢٦/ ٤/ ١٣٤٤هـ، ص١.

(٢) Acting Consul Jordan to sir Austen Chamberlain-(Received September 14, 1926) [E 5283/ 155/ 91] Records of the Hajj, Vol. 6. p. 50.

حالة تعذر قيامها بذلك؛ فإن مصلحة خفر السواحل والبحرية هي الهيئة الحكومية ذات الصلاحية في ذلك الشأن، ويشرف على نزول الحجاج من وسائل النقل البحرية إلى الرصيف ومن الرصيف إلى باب السؤال موظفو الشرطة وقلم الجوازات، ويتم سؤال الحجاج من لدن النقيب[1] وهيئته بحضور المطوفين المختصين، وحينما تتم الإجراءات الخاصة بالسؤال يسلم الحاج إلى وكيل المطوف الذي سأل عنه، ومنذ تلك اللحظة تبدأ مسؤولية الوكيل، أما وكلاء المطوفين والمشائخ بجدة فهم يقومون باستلام الحجاج التابعين لمطوفهم أو شيخهم من باب السؤال، مع جوازات السفر وتذاكر ركوب البواخر من الحجاج الواردين باسم مطوفهم، ومرافقة الحجاج إلى دائرة الجمرك، ثم مرافقتهم إلى مكان استراحتهم في منزله أو في محلات الضيافة، وكتابة بيان بأسماء الحجاج التابعين لمطوفه مع جوازات وتذاكر السفر إلى النقيب، والتأشير على جوازات السفر التي يحملها الحجاج وتذاكر العودة لركوب البواخر، وإحضار سجل يتضمن اسم كل حاج من حجاج موكليه وبلد الحاج وعمره ورقم جوازه واسم مطوفه والباخرة التي قدم عليها وتاريخ وصولها إلى جدة، ويحفظ هذا السجل ليكون مرجعًا رسميًا يعتمد عليه في التحقيق عن الوقوعات العائدة للحجاج، وإحضار وسائل الانتقال إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة وإركاب الحجاج فيها وشحن عفشهم بالطريقة التي يرغب فيها الحاج، وتنتهي مسؤولية الوكيل بمجرد تسليم الحجاج إلى الشخص المقرر استلامه الحجاج، وعليه أن يستقبل الحجاج التابعين لموكله حين عودتهم بعد الحج من مكة وأن يهتم بتمكينهم من السفر بالبواخر، كما عليه أيضًا تأشير جوازات الحجاج من القنصليات، وكذلك تدبير تذاكر ركوب البواخر سواء كانت هذه التذاكر للعودة موجودة مع الحاج من السابق أو كانت تذاكر جديدة[2].

---

(١) هو الشخص الذي يختاره شيخ الطائفة نائبًا عنه في بلدة غير البلدة التي يقيم فيها ليقوم مقامه بما هو ضمن اختصاصه في الشؤون المختصة بالطائفة، انظر «نظام المطوفين العام».

(٢) أم القرى ، العدد ٦٨٥، في ١٣٥٦/١١/٢٠هـ، ص٣.

وسعيًا إلى الأفضل فقد أمر الملك عبدالعزيز بجلب السفن البخارية لخدمة الموانئ السعودية، حيث امتلكت المملكة أربع سفن بخارية[١]. كما صدر الأمر الكريم بشراء مركبين لسحب السفن التي تنقل الحجاج من البواخر للساحل، ومن الساحل للبواخر للتسهيل على الحجاج ولتوفير الوقت[٢].

---

(١) عبدالمنعم الغلامي. المرجع السابق، ص٢٥٥.

(٢) أم القرى، العدد ٤٦، في ٢٦/٤/١٣٤٤هـ، ص١.

الفصل السادس

الخدمات العامة والإصلاحات في مرافق الحج

أولا ـ خدمات المياه للحجاج

ثانيا ـ مشروعات توسعة الحرم المكي والمسجد النبوي

ثالثا ـ إنشاء مصنع كسوة الكعبة

رابعا ـ المرافق

يبدأ تاريخ الخدمات العامة والإصلاحات في مرافق الحج منذ عهد قصي بن كلاب الجد الأعلى للرسول، صلى الله عليه وسلم، الذي يعدّ أول من وضع أسس تلك الخدمات ممثلة في الحجابة والسقاية والسدانة والرفادة بالإضافة إلى اللواء والندوة[1]. وقد توارثها أبناؤه من بعده حتى جاء الرسول، صلى الله عليه وسلم، وأبقى على الحجابة والسقاية والسدانة وألغى ما عداها[2].

وخلال الفترات التاريخية المتتالية لعهد النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، سعى الحكام المسلمون إلى العناية الخاصة ببيت الله الحرام في مكة المكرمة وكذلك العناية بالمسجد النبوي في المدينة المنورة، كما سعوا كذلك إلى توفير الخدمات للحجاج من مأكل ومشرب ومسكن وإحلال وسائل الأمن خلال تنقلاتهم فيما بين الأماكن المقدسة وإلى إيجاد وإصلاح العديد من المرافق العامة والمتعلقة بالحج.

ومنذ أن دخلت منطقة الحجاز تحت الحكم السعودي اهتم بها الملك عبدالعزيز، وقام بالعديد من الإصلاحات فيها، كما أوجد العديد من المرافق العامة، فمما لا شك فيه أن المنطقة في العهد السابق لحكم الملك عبدالعزيز كانت تفتقر إلى الكثير من الخدمات على الرغم من أن الظروف الاقتصادية للحجاز كانت أفضل من بقية مناطق شبه الجزيرة العربية.

أولاً ـ خدمات المياه للحجاج:

من المعروف أن الحصول على الماء أمر ليس سهلاً أو ميسراً في مكة المكرمة أو في شبه الجزيرة العربية التي تعاني من شحِّ الماء لعدم وجود الأنهار والاعتماد فقط على مياه الأمطار والآبار والأودية؛ ولذلك فإننا نجد أن الماء له قيمة عالية في هذه المنطقة.

---

(١) ابن هشام. المصدر السابق، ص٧٨.

(٢) انظر تفصيل ذلك في الفصل الأول، ص١٣.

قال تعالى على لسان إبراهيم، عليه السلام: ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[إبراهيم: ٣٧]. وبالتالي نرى أن أهم هذه الخدمات التي كانت تقدم ومازالت تقدم للحجاج في مكة المكرمة وفي المشاعر المقدسة هي توفير المياه لهم أثناء مواسم الحج. وعندما ننظر إلى نشأة مكة المكرمة نجد أنها قد ارتبطت بظهور ماء زمزم لإسماعيل وأمه هاجر، عليهما السلام[١]. والواقع أنه قد بدأ الاهتمام بتوفير المياه منذ عهد قصي بن كلاب، واستمر ذلك الاهتمام بعد فتح مكة في عهد الرسول، عليه الصلاة والسلام، حيث ازدادت أعداد المسلمين من الحجاج. كما توالت الزيادة في عصر الخلفاء الراشدين مما استلزم حفر بعض آبار المياه[٢]. وقد استمر الاهتمام بتوفير المياه في العصر الأموي لسكان وأهالي المدينة المقدسة، وعلى هذا المنوال سار خلفاء وأمراء بني العباس، ولم يهملوا أمر سقاية الحجيج[٣]. وعندما دخل الملك عبدالعزيز الحجاز واجهته مشكلة النقص الهائل في مياه الشرب للحجاج، تلك المشكلة التي احتلت حيزًا كبيرًا من اهتماماته[٤]، وكان تركيزه الأول منصبًا على توفير المياه في مكة المكرمة والمدينة المنورة لتوافد حجاج بيت الله الحرام على هاتين المدينتين، وكذلك بتوفير المياه في مدينة جدة لكونها المدخل الرئيس لمعظم الحجاج، وقد بذل جهودًا لتأمين المياه لهذه المدن الثلاث. وتعدُّ عين زبيدة أو عين حنين في مكة المكرمة أهم مصدر للمياه يعتمد عليه السكان، وهي تنبع من جبل شاهق يسمى طاد يقع بين جبال الثنية، وهذه الجبال تقع بالقرب من منطقة الشرائع في طريق مكة المكرمة والطائف فكان يجري الماء

---

(١) انظر أبوالوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقي. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج١ (بيروت: دار الأندلس، ١٤٠٣هـ) ص٥٧. وانظر استيطان خزاعة لمكة المكرمة ص٩٠، تحقيق رشدي الصالح ملحس.

(٢) الأزرقي. المرجع السابق، ج٢، ص٢٢٤.

(٣) سليمان عبدالغني مالكي؛ وسعد الدين أونال. المرجع السابق، ص ص ٥٥ ـ ٦١.

(٤) غلام رسول مهر. يوميات رحلة في الحجاز ـ ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م ـ (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٧هـ) ترجمة، سمير عبدالحميد إبراهيم، ص٨٧.

من جبل طاد إلى حائط حنين[١]، فاشترت السيدة زبيدة زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد ذلك الحائط، وقد أنفقت آلاف الدنانير لسقاية أهل مكة وحجاج بيت الله الحرام، وقامت بإجراء الماء في قنوات إلى مكة المكرمة عام ١٩٤هـ بطريقة هندسية دقيقة عالجت فيها طبيعة الأرض وطبيعة الماء في قنوات حجرية مصممة بشكل هندسي مكنها من وصول المياه إلى مكة المكرمة[٢].

واستمرت أهمية عين زبيدة كمصدر رئيس للماء سواء لسكان مكة المكرمة أو الحجاج في العصر الحديث، فتكونت في العهد العثماني ثم بعد ذلك في العهد الهاشمي هيئة لإدارة عين زبيدة بمكة المكرمة[٣]. حيث كان عملها الرئيس هو العناية بموارد الماء ومصارفه وذلك بالإصلاح والترميم والبناء، وكانت تعتمد في الإنفاق على ذلك من صندوق خاص بها له أملاك وأوقاف، وتأتيه تبرعات وهبات من مختلف الجهات[٤]، وكونها المورد الرئيس لمكة المكرمة وللحجاج فقد اهتمت الدولة العثمانية بالعناية بها وبإصلاحها، ففي سنة ١٣٢٤هـ قلت ماء العين فأمر الشريف علي أمير مكة المكرمة بتكوين هيئة تحت رئاسته وكتب إلى الآستانة عاصمة الدولة العثمانية بطلب إعانة لعين زبيدة التي أرسلت مهندسين أصلحوا العين[٥]. وفي حقيقة الأمر كان الملك عبدالعزيز ينظر إلى هذه العين نظرة خاصة في أهمية المحافظة عليها والاهتمام ببقائها وتطويرها، فقد أصدر أمره رقم ١٢/ ٤٤/ ٢٠ وتاريخ ١٦/ ٩/ ١٣٥٣هـ بإنشاء هيئة متخصصة تكون مهمتها الأساسية هي الإشراف والمحافظة على عين زبيدة[٦]. ولم يرغب الملك

(١) الأزرقي. المرجع السابق، الملحق رقم ٤، عين زبيدة، ج٢، ص٣٢٧.

(٢) الأزرقي. المرجع السابق، ج٢، ص٢٣١.

(٣) فؤاد رضا، «تعريف بوضعنا الإداري. اللجان والهيئات» ، المنهل، المجلد ١٠، السنة ١٠، ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م، ص١٨٣.

(٤) خير الدين الزركلي. المرجع السابق، ج٣، ص٩٤٢.

(٥) محمد طاهر الكردي. المرجع السابق، ج٦، ص٧٩.

(٦) عبدالله السدحان؛ عبدالعزيز الغامدي. الزراعة والمياه في عهد الملك عبدالعزيز، المؤتمر العالمي لتاريخ الملك عبدالعزيز، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض، ١٩ ـ ٢٣ ربيع الأول ١٤٠٦هـ) ص٨.

عبدالعـزيز أن ينفرد بالأمر لوحده، فقد فـتح المجال أمام المسلمين للإسهام في عـمل الخير وكسـب الأجر. كمـا فتح المجـال لهم أن يشعـروا بأن الإسهـام في إصلاح بلاد الحـرمين الشريفين متاح أمـام الجميع؛ لذلك فقد كانت الهـيئة تستقبل العديد من تبـرعات الحجاج التي تدخل في صندوقـهـا، وتقـوم بنشر أسـمـاء هؤلاء في الجـريدة الرسمـيـة للدولة[1].

ويتكون نظام الهيئة من أربع وخمسين مادة، ومن أبرز ما تخـتص به الهيئة قيامها بالبحث والتنقيب في المجرى العمومي عن العيون والآبار المطمورة، والإشراف على مجاري العين وإصلاح ما قد يطرأ على تلك المجاري من أمور قـد تمنع سير الماء، وكذلك من اختصاص الهيـئة الاهتـمام بتـعميـرها وإصلاح الآبار التي بداخل مكة المـكرمة وخارجـها، والقـيام بتوصيل المياه من وادي نعمان إلى قلب المدينة وتوزيعها على الأهالي[2]. ومن أعمال هذه الهيئـة كذلك إقامة خزانات الماء وحنفيـاته بعرفة ومزدلفة لتـزويد الحجاج وتموينهم بالماء، ووضع آلات رافـعة له في بعض هذه الأمـاكن للاستـعـانة بها على وصـوله إلى المواضع المرتفعة، وإقـامة موارد[3] في كثير من أحـياء مكة المكرمة[4]. كما أن هيئـة عين زبيدة قد خصصت قنوات لتسير من خلالها الميـاه، التي تتخلل جهات كثيرة من مكة المكرمة ، وفي الوقت نفسه كانت تتلقى الهيئة تبرعات مـالية من الحجاج الموسرين لإصلاح ما يفسد من القناة وتوسـيع مجـراها وتوصيلهـا لكل جهـة من جهـات مكة المكرمة، كـما سـعت إلى المحافظة على فـتحات القنوات ومـراقبتهـا خوفًا من تلويثـها بالقاذورات وخاصـة عندما تكتظ مكة المكرمة وتزدحم بالحـجاج في أيام الحج[5]. وقد برز اهـتمام الملـك عبدالعـزيز بعين زبيدة واضحًـا وجليًا، فمن مظاهر هذا الاهتمام سـعيه لزيادة مواردها والاستـعاضة

(١) أم القرى، العدد ٥٨٧، في ١١/١٢/١٣٤٥هـ، ص٤.

(٢) عبدالله السدحان؛ عبدالعزيز الغامدي. المرجع السابق، ص٨.

(٣) أهل مكة يطلقون على مـوارد الماء اسم «بازانات» واحدها بازان، انظر محـمد عمر رفـيع. المرجع السابق، ص٦٧.

(٤) فـؤاد رضا. «تعـريف بوضعنا الإداري. اللجـان والهـيئـات»، المنهل، المجلد ١٠، السنة ١٠، ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م، ص١٨٤.

(٥) عباس متولي حمادة. المرجع السابق، ص٧٧.

عن مجاريها القديمة بأنابيب أخرى جديدة، مما أدى إلى توافر الماء في عرفات وفي مزدلفة ومنى[١]، فقد قام بتخصيص أحواض كبيرة للماء بجوار جبل الرحمة لكي يتم استجلاب الماء إليها من مجرى عيون زبيدة بواسطة مجاري تحت الأرض، وذلك خلال فترة موسم الحج[٢]. كما أن من مظاهر هذا الاهتمام صيانة العين وإصلاحها فقد حدث أن تعرضت قناة عين زبيدة في اليوم السادس عشر من ربيع الأول لعام ١٣٤٤هـ إلى سيل ألحق الضرر بثلاث خرزات منها[٣]، مما أدى إلى انقطاع الماء عن الوصول إلى مكة المكرمة زهاء ثلاثة أشهر[٤]، فأصدر الملك عبدالعزيز أمره بتعمير ما خرب، ووصلت المياه إلى المدينة وذلك في شهر جمادى الثانية من السنة نفسها، وكان مجموع ما صرف على هذا التعمير ألفين وثلاثة وعشرين جنيها إنجليزيا[٥]. ومن الإصلاحات التي قامت بها هيئة عيون زبيدة أن منطقة عرفات قد تعرضت في عام ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م إلى قلة الماء بسبب زيادة الطلب عليه، حيث أدى إلى ارتفاع سعره إلى عشرة قروش للصفيحة ذات الجالونات الأربعة[٦]، وإزاء هذا الوضع قامت هيئة عين زبيدة في عام ١٣٥٣هـ بعدة أعمال وإصلاحات في مكة المكرمة لتوفير الماء للسكان والحجاج على حدٍّ سواء[٧]. ومن هذه

---

(١) خير الدين الزركلي. المرجع السابق، ج٣، ص ٩٤٣.

(٢) محمد السلاح. وثبة الديار الحجازية، ص٨١.

(٣) يقصد بلفظة خرزات موارد الماء وهو الذي يطلق عليه أهل مكة المكرمة اسم «بازانات» واحدها بازان كما سبق أن ذكر في الصفحة السابقة.

(٤) ذكر رشدي الصالح ملحس أن مكة المكرمة قد تعرضت في بداية العهد السعودي إلى عدة سيول كان أهمها ما حدث في اليوم السادس عشر من شهر ربيع الأول من عام ١٣٤٤هـ حيث وقع مطر غزير في وادي نعمان دام خمس ساعات عقبه سيول خربت بعض خرزات عين زبيدة فانقطعت المياه بسببه، انظر رشدي الصالح ملحس في تحقيقه أخبار مكة، الأزرقي، المرجع السابق، الملحق رقم ٣، سيول مكة، ج٢، ص٣٢٦.

(٥) محمد طاهر الكردي، المرجع السابق، ج٦، ص٨٧.

(٦) Report on the Pilgrimage of 1934 (A. H. 1352) [E 5550/148/25] British Documents on Foreign Affairs, Vol. 14, p. 267.

(٧) أم القرى، العدد ٥٣٨، في ٢٤/ ١٢/ ١٣٥٣هـ، ص٧.

الإصلاحات ما حدث في عام ١٣٥٥هـ، حيث تبين زيادة كبيرة في ماء العين وبالتالي فيضانه مما أدى إلى انسيابه في الرمال فأصبح يؤثر في جدار المجرى في عدة أماكن ما بين عرفة ومزدلفة، مما فرض ضرورة الإسراع في تعلية هذه الأماكن حتى يتم تلافي هذه المشكلة[١]. ومما هو جدير بالتنويه أن هذه الأعمال والإصلاحات الخاصة بهيئة العين كانت تنشر في جريدة أم القرى كتقارير ليطلع عليها الرأي العام[٢].

وهكذا نرى أن هيئة عين زبيدة أصبحت مصدراً رئيساً للماء في مكة المكرمة، وأن هيئة عين زبيدة وإن كانت قد أنشئت للعناية بالعين فقط ولكن مع توسع دائرة أعمالها واهتماماتها أصبح يناط بها جميع الأعمال المتعلقة بتوفير الماء في مكة المكرمة وتطوير منشآتها المائية والعناية بجميع المرافق المتعلقة بالعين. ولا شك أن تطوير أعمال الهيئة والاهتمام بها قد انعكست آثاره الإيجابية ليس فقط على سكان المنطقة؛ بل امتدت آثاره على الحجاج أيضاً.

وفيما يتعلق بالمشاريع المائية فقد كان من ضمن هذه المشروعات التي أولاها الملك عبدالعزيز عنايته إكمال بناء السد الواقع في أعلى مكة بالعدل ، الذي تحولت بسببه السيول الجارفة عن مكة إلى شعب خريق العشر الموصل إلى الزاهر من أعلى ضواحي مكة، ومن ثم كانت تذهب إلى خارج البلدة فيزول خطر تدفقها عن البلد الحرام[٣].

ونظراً للتوسع العمراني والسكاني ولتطور المواصلات، وبالتالي زيادة أعداد الحجاج فقد شعر الملك عبدالعزيز بحاجة مدينة مكة المكرمة إلى عين جديدة تساعد عين زبيدة في الإيفاء بما تحتاجه من المياه العذبة، ففي أوائل عام ١٣٧٠هـ أصدر أمره بالبحث

---

(١) أم القرى، العدد ٧٣٨، في ١٤/١٢/١٣٥٧هـ، ص ص٣ ـ ٦.

(٢) أم القرى، العدد ٥٨٦، في ٥/١٢/١٣٥٤هـ، ص٤، وانظر أم القرى، العدد ٥٨٧، في ١١/١٢/١٣٥٤هـ، ص٤.

(٣) المنهل، «شهرية الأنباء»، المجلد ١١، ١٣٧٠هـ، السنة الحادية عشرة، المحرم، الجزء الأول، ص٤٧، وانظر أم القرى، العدد ١٤٥٣، في ١٣/٦/١٣٧٢هـ، ص ص ١ ـ ٢.

عن عين قريبة من مكة تكون مياهها حلوة صافية، وقد عثر على عين سميت العين الجديدة أو العزيزية وتقع في الجانب الشمالي من مسيل السيل المنحدر من وادي النخلة الشامية، وهي تبعد عن مكة المكرمة بمسافة خمسة وأربعين كيلو متراً، وقد أصدر أمره إلى محمد بن لادن مدير الإنشاءات والتعميرات الملكية والحكومية بإيصال ماء العين إلى مكة المكرمة، وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر شوال عام ١٣٧١هـ تم إيصال الماء إلى مكة المكرمة(١). وقد صاحب هذا العمل عمل آخر كان له أثر في تسهيل الأمور على الحجاج وتفرغهم لأداء عباداتهم، فقد أمر في عام ١٩٥٢م بتوزيع المياه لجميع منازل المطوفين بغية تأمينها للحجاج(٢).

على أن الاهتمام بتوفير المياه ليس منحصراً فقط في المدن الرئيسة في منطقة الحجاز أو في المشاعر المقدسة؛ بل امتد إلى الطرق بين المدن، فقد عني الملك عبدالعزيز بطريق مكة المكرمة ـ جدة وبتوفير المياه فيه، ومن معالم ذلك الاهتمام إنشاء الأسبلة على ذلك الطريق بما يسهل للحجاج والزوار حصولهم على المياه بيسر وسهولة، فقد قام بوضع ثلاثة أسبلة على الطريق بين مكة المكرمة وجدة عام ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م(٣)، وتميزت هذه الأسبلة ببساطتها في التصميم والتكوين، وقد كانت هناك عدة أسباب دعته إلى إنشاء هذه الأسبلة منها عامل الدين والمسؤولية وهو عامل أخذ على تحقيقه منذ السنوات الأولى من حكمه للحجاز، حيث وجه عنايته إلى الاهتمام بكل ما يتعلق بشؤون الحج والحجاج، ومنها توفير الماء خاصة في طرق الحج بما ييسر على المسلمين أداء فريضتهم في يسر وسهولة، كما أنه من ضمن هذه الأسباب عدم وجود الأسبلة أو كفايتها، فلو وُجدت

---

(١) أم القرى، العدد ١٤٥٣، في ١٣/٦/١٣٧٢هـ، ص ص ١ ـ ٢، وانظر محمد طاهر الكردي. المرجع السابق، ج٦، ص٩٨، وسميت تلك العين الجديدة بعين العزيزية نسبة إلى الملك عبدالعزيز.

(٢) محيي الدين رضا. المرجع السابق، ص ص ٩ ـ ١٠

(٣) عادل محمد نور غباشي. أسبلة الملك عبدالعزيز على الطريق بين مكة وجدة، مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة التاسعة عشرة، ربيع الآخر وجمادى الأولى، ١٤١٤هـ الرياض، ص ص٢٠٤ ـ ٢٠٧.

الأسبلة أو كانت في حالة جيدة وعددها كـاف لما تطلب الأمر إنشاء أسبلة أخرى جديدة، كما نجد أنه من ضمن هذه الأسباب زيادة اتساع عمران مكة وجدة، الذي كان له أثر على زيادة الحركة المرورية بين مكة وجـدة فاستدعى بناء أسبلة لسـد احتياجات عـابري السبيل المتزايدة[١].

أما المياه في مدينة جدة فقد كانت تستخرج من مياه الآبار والصهاريج[٢] والحفر التي تتجمع فيها مياه الأمطار وهذا الماء يستعمل في الشرب والطبخ وصنع الشاي والقهوة. كـما كـانت تستـقي المدينة من مـاء الرديخ وهو الماء المستخـرج بواسطة الدلاء من الآبار المحفورة في وسط البلـد القديمة وهي مـالحـة غيـر صالحـة للشـرب. وإنما تسـتعـمل في الاستنجاء وغسيل بيوت الخلاء ورش الأرض ونحو ذلك[٣]، وقد كانت مدينة جدة تعاني من شحٍ المياه وندرتها وهي أزمة حـدَّت كثيراً من حـركتهـا ونموها حتى تأسـست العين العزيزية حيث كـان السقا هو رجل الأزمة الذي يجلب الميـاه للسكان من الكنداسة أو من مياه الصهـاريج أو مياه الآبار خارج المدينة[٤]. وكذلك تعتمد على المياه التي تستخرج من التقطير أو آلة تحلية مـياه البحر[٥]، وكانت الحكومـة العثمانيـة قد جلبت آلة تحلية صـغيرة لبلدة جـدة في عـام ١٣٢٧هـ واسـتـمـرت تلك الآلـة إلى عـام ١٣٣٣هـ، ثم بعـد ذلك أحضرت آلة كبيرة عوضًا عن السابقة[٦].

أمـا في العـهـد السـعـودي فقـد كـان التـوجـه لدى الملك عـبـدالعـزيز من خـلال

(١) عادل محمد نور غباشي. المرجع السابق.

(٢) من خزانات تبنى لحفظ مياه السيول والأمطار.

(٣) محمد طاهر الكردي. المرجع السابق، ج٦، ص٣٥٥.

(٤) عبدالعزيز عمر أبوزيد. المرجع السابق، ص٢٣.

(٥) يسمي سـكان جدة تلك الآلة الكنداسـة وهي مأخوذة من الـكلمة Condenser وهي عبارة عـن آلة خاصة لتكرير ماء البحـر المالح فيعود عذبًا صافيًـا وتركب بجانب البحر، فتكرر الماء وتقطرها كالـبخار فالماء الحلو المقطر يذهب إلى مواضع خاصة لاستعمال الناس والماء المالح المنفصل من الآلة يجري إلى البحر ثانية.

(٦) محمد طاهر الكردي. المرجع السابق، ج٦، ص٣٥٥.

الاستراتيجية المبنية على تطوير البلاد تطويـرًا شاملاً لكافة الجوانب هو العناية بمياه التحلية والاهتمام بذلك؛ لأنه يعدُّ أفضل الوسائل في الحصول على الماء الصالح للشرب، ونتيجة لتعدد مـدن المملكة العربية السـعودية التي تستخـدم آلات التقطير «الكنداسات» فـقد قام الملك عبـدالعزيز بإنشاء مصلحـة الكنداسات، وبناء على قرار مـجلس الشورى رقم ٢١ وتاريخ ٢٤/ ١/ ١٣٥٩هـ تم تنظيم أعمـال الكنداسات بناء على التعليـمات التي أعدت لهذا الغـرض والمتوجه بموافـقة النائب العام عليـها وفقًـا للقرار رقم ٦٧ وتاريخ ٢٨/ ٥/ ١٣٥٩هـ، ويحتوي نظام المـصلحة على اثنين وعشرين مادة، وقـد جاء في اختصـاصاتها بأن للمـصلحة الحق في تعـيين كمـيات الميـاه المقطرة وبيعـها واسـتيـفاء أثمانـها، ووضع عدادات خـاصة لإحصاء كـميات المياه التي تقطـر وتخزن في الخزانات المعدة لهـا، ولقد ركز الملك عـبدالعـزيز على تطوير مصـادر المياه لمدينة جـدة وعدم الاعتـماد على مـصدر واحـد، مما قد يؤدي إلى الضـرر بالمدينة وسكانهـا في حالـة تعرض هذا المصـدر الوحيـد للتلف أو الخلل أو غير ذلك، فقد كانت مدينة جدة تعتمد في الحصول على الماء في القرن التاسع الهجري على جلب المياه من عين جارية تقع في وادي قوص شمال الرغامة جنوب شرق المدينة من تحت الجبال الموجودة في ذلك الاتجاه، أما القرن الثالث عشر الهجري فقد كانت ميـاه هذه العين يعتريها الملوحـة؛ ورغبة من الملك عبـدالعزيز في إصلاحهـا لتغذية مدينة جـدة فقد أمـر بإنشاء هيئـة العين الوزيرية بموجب قرار مـجلس الشورى رقم ١٥٤ والصادر بتاريخ ١٢/ ٧/ ١٣٥٢هـ[1]. وكان من أهم الأعـمال التي تقـوم بها هذه الهيئة تطوير مياه الـعين والبحث عن مصادر مائيـة قريبة وإنشاء شـبكة مياه وخزانات لتـوزيعها على أحياء المدينة[2].

أمـا العين العـزيزية في مـدينة جـدة فقـد جـعلهـا الملك عـبدالعـزيز وقـفًـا في سنة ١٣٦٥هـ. إذ أمـر وزير المالية عـبدالـله السليمـان بجلب الماء إلى جـدة من وادي فاطمـة

(١) عبدالله السدحان؛ عبدالعزيز الغامدي. المرجع السابق، ص ص٧ ـ ٨.

(٢) أم القرى، العدد ٨٠١، في ١٨/ ٣/ ١٣٥٩هـ، ص ص ١ ـ ٣.

وخليص بكميات غزيرة وفي أنابيب كبيرة. وكان البدء في مشروع العين العزيزية بمنتصف عام ١٣٦٥هـ، وقد أحضر الخبراء والمهندسون من إنجلترا ومن مصر، وجلبت الأنابيب اللازمة لإسالة المياه داخلها، وفي يوم الجمعة الموافق غرة المحرم ١٣٦٧هـ أي بعد سنة ونصف السنة من بداية المشروع وصل الماء إلى جدة[1].

ومن أبرز مصادر المياه في المدينة المنورة عين الزرقاء، التي لقيت عناية خاصة من الملك عبدالعزيز، إذ أمر بتكوين لجنة خاصة بإدارة العين يرأسها زين العابدين مدني وهو الذي كان في الوقت نفسه أول رئيس لهذه الإدارة سنة ١٣٤٤هـ، وفي سنة ١٣٤٦هـ تم تعيين رواتب شهرية للرئيس وللأعضاء وللكاتب وأمين الصندوق وعينت لها هيئة مشرفة بمكافأة سنوية، ورصد لها ما تحتاجه في موازنة الدولة سنويًا، وقد تم تنظيف منابع العين القديمة وتوسعتها وإقامة قنوات جديدة من الأنابيب الحديدية لإيصال الماء إلى أهالي المدينة بدلاً من قنواتها القديمة التي كانت مجمعًا للحشرات والهوام والجراثيم بسبب قدمها وتآكل مبانيها[2].

كما قد تم تبليط مجرى العين من المنبع في قباء حتى منهل خرز عيسى داخل البلدة إلا في مواضع صخرية تركت كما هي لأنها في غنى عن التبليط، وقد أحدثت في عهد الملك عبدالعزيز عدة ممرات لماء العين في الأرض[3]، وقد كان للعين عدة مناهل في أحياء المدينة المنورة ينزل لها السقاة بدرج واسعة، بحيث تستوعب عدداً من السقاة ينزلون ويصعدون في آن واحد. كما كان موجوداً فيها عدد من الصنابير التي يخرج منها الماء، منها منهل المناخة قرب مسجد المصلى، منهل الساحة، منهل داخل القلعة،منهل باب

---

(١) عبدالقدوس الأنصاري. تاريخ جدة، ص ص ١٥٤ ـ ١٥٥، وانظر محمد صالح قزاز. «العين العزيزية»، مجلة الحج، العدد الأول، رجب ١٣٦٦هـ، السنة الأولى، مكة المكرمة، ص ص٣٩ ـ ٤٣.

(٢) علي حافظ. المرجع السابق، ص ص ٣٠١ ـ ٣٠٣.

(٣) خير الدين الزركلي. المرجع السابق، ج٣، ص٩٤٧.

السلام ، منهل باب بصرى ، منهل حارة الأغوات، منهل درب الجنائز، منهل الزكي[١].

وقد حدث في سنة ١٣٦٤هـ أن انخفض منسوب الماء في الآبار فأصدر الملك عبدالعزيز أمره بإنشاء خزانات للماء تقوم المضخات بملئها، وبجانب هذه الخزانات ومنها امتدت خطوط الأنابيب لتوصيل الماء إلى المدينة بقطر اثنتي عشرة بوصة عوضًا عن الأقبية «الدبول» التي يتسرب منها الماء ولايستفاد منه الاستفادة المطلوبة[٢]. ومن خلال هذه الدراسة التاريخية نجد أن الملك عبدالعزيز قد بذل جهدًا في سبيل توفير المياه لسكان الحجاز وللحجاج، وأنه في سبيل تحقيق هذه الغاية لم يتوان في إنشاء العيون والآبار المائية التي استخرج منها الماء. كما أنه أنشأ الهيئات التي أشرفت إشرافًا كاملاً على رعاية هذه العيون والآبار.

ولا شك أن هذه الأعمال قد استهلكت الكثير من موارد الدولة الاقتصادية التي لم تكن حسنة في ذلك الوقت، ورغم ذلك وفي سبيل خدمة حجاج بيت الله الحرام نجد اهتمامًا متواصلاً لجميع المشاريع والخدمات المائية.

ثانيًا ـ مشروعات توسعة الحرم المكي والمسجد النبوي:

عبر العصور الإسلامية المختلفة كانت الكعبة مقصد المسلمين على اختلاف أشكالهم وألوانهم، وكانت تهوى وترغب نفوسهم إلى زيارة الحرم المكي والمسجد النبوي. وانطلاقًا من هذه الأهمية التي حظي بها المسجدان كانت العناية الفائقة من لدن حكام المسلمين من مختلف أصقاع المعمورة بتعمير هذين الحرمين والاهتمام بشؤونهما.

وقد اهتم الملك عبدالعزيز بالحرم المكي والعناية به وحمايته من الأخطار التي قد تتهدده من جراء السيول الجارفة من أعلى جبال مكة المكرمة، كما قام بترميم وإصلاح

(١) علي حافظ. المرجع السابق، ص٢٩٩.

(٢) محمد صالح البليهشي. المدينة اليوم «المدينة المنورة في بداية القرن الخامس عشر» والمدينة المنورة. النادي الأدبي، ١٤٠٢هـ، ص ٢٠٥.

بعض التصدعات في أسقف وجدران الحرم المكي، ففي عام ١٣٤٦هـ صدر الأمر الملكي السامي بالموافقة على تقرير الجمعية العمومية الذي رفعته إلى الملك عبدالعزيز فيما يتعلق بحالة بيت الله الحرام، حيث نص على تنظيم أوضاع أغوات الحرم ومرتباتهم والأعمال المناطة بهم[1].

كما شمل التقرير تنظيم أوضاع نظافة الحرم وتعيين كناسين وغسالين وفراشين للقيام بهذه الأعمال، ونص كذلك على الاهتمام بوضع بوابين على أبواب الحرم الثمانية والعشرين، وفي المقابل نص التقرير على إلغاء الوظائف التالية: وظيفة منظف شمعدانات الحرم، ويقوم بذلك الغسالون والمنظفون، ومبخري الكعبة وأسند عملهم إلى الأغوات، وسقاة الطيور، ومنادى الصلاة وكلف بالنداء جند هيئة الأمر بالمعروف، ونجار الحرم ويكلف أمر القيام بإصلاح كل ما يلزم له إلى وكالة المالية، ومهندس الحرم ويكلف أمر التعميرات إلى الجهة المختصة، ومؤقت ساعات الحرم ويعهد بهذه الوظيفة إلى المؤقتين ورئيسهم، ووظيفة معمر فوانيس الحرم، وموزع حب الحرم، كما تم إلغاء وظائف الشيوخ الأربعة[2].

ولا شك أنه منذ أن دخل الملك عبدالعزيز الحجاز كان حريصًا على أن تكون الأمور واضحة وجلية أمام المسلمين، فقد كان يهتم بإصدار تقارير عن حالة الحرم المكي والإصلاحات والترميمات التي تتم فيه من خلال جريدة أم القرى ليبين مدى حرصه على العناية بالحرم المكي واهتمامه برعاية الأماكن المقدسة، وتقديم أفضل الخدمات للحجيج[3].

وفي الوقت نفسه كان قد فتح المجال أمام المسلمين فيمن يرغب في الإسهام في دفع

(١) أم القرى، العدد ١٤١، في ١٣٤٦/٢/٢٨هـ، ص٢.

(٢) أم القرى، العدد ١٤١، في ١٣٤٦/٢/٢٨هـ، ص٢.

(٣) أم القرى، المرجع السابق.

النفقات والتي ستصرف في ترميم الحرم المكي[١]، ففي عام ١٣٤٦هـ كان من أبرز الإصلاحات التي تمت في الحرم المكي وضع آلة رافعة للمياه من بئر زمزم، ومن ثم توزيعها بواسطة أقنية وحنفيات صيانة وحفظًا لها من التلوث، وقد كان المصلون في أمس الحاجة لهذا العمل وذلك لما يعانونه من التعب في الحصول على الماء، فقد كان يشعر جميع الذين يؤمون بيت الله في موسم الحج بصعوبة تناول مياه زمزم لشدة الازدحام وضيق المكان وفقدان الوسائط المناسبة لذلك، وبذلك تقرر تغطية البئر خوفًا من تسرب شيء من الأوساخ إليها، ثم وضع آلة رافعة لسحب المياه بواسطة القوة الكهربية وتوزيع هذه المياه بواسطة أنابيب حديدية تمد من أطراف الحرم الأربعة. وبهذه الطريقة تزول تلك الموانع والعقبات التي كانت تعترض حجاج بيت الله مما سهل عليهم تناول مياه زمزم بدون عناء ولا مشقة، كما أنه بهذه الطريقة تم حفظ الماء نقيا طيبًا[٢].

كما كان من أبرز الإصلاحات التي تمت في الحرم المكي والتي أمر بها الملك عبدالعزيز في عام ١٣٤٦هـ قيام المهندسين بوضع سقف من القماش لحماية وراحة المصلين. وذلك لكون أرضية الحرم المكي مكشوفة، وتقدر مساحة هذا القسم الذي تقرر تغطيته بـ ٧٧٢١ ذراعًا معماريًا مربعًا، وتم وضع هذا الغطاء، بحيث توضع أعمدة من حديد في نقاط معينة وتركز عليها ستائر من قماش حتى تسهل إعادتها نهارًا ورفعها ليلاً وذلك خشية من انحباس الهواء عن المصلين، ويقدر ما تستوعبه هذه الأمكنة التي تقرر تغطيتها بخمسة عشر ألف مصلٍّ، فإذا أضفنا إلى هذا العدد عشرة آلاف مصلٍّ أيضًا تستوعبها بعض الأماكن الكائنة تحت الأروقة التي كانت الشمس في السابق تحول دون الجلوس فيها فيزول هذا المانع بوضع الستار فيقدر المجموع بخمسة وعشرين ألف مصلٍّ، ومن جهة أخرى تم اتخاذ إجراء إصلاحي آخر، فقد تم تبليط أماكن الحصى في الحرم المكي، حيث يوجد في ساحة الحرم بقاع مغطاة بالحصى تقدر مساحتها بـ ١٥٨٤ ذراعًا

(١) أم القرى، العدد ١٢٦، في ٩/١١/١٣٤٥هـ، ص٤.

(٢) أم القرى، العدد ١٤٣، في ١٣/٣/١٣٤٦هـ، ص١.

معماريًا فتقرر تبليط هذه البقاع ببلاط الإسمنت بواسطة آلة صنع البلاط، ويعدّ هذا النوع من البلاط مفضلاً على البلاط الحجري وذلك لمنظره البهيج ومتانته، ثم بعدم نقله للحرارة، ولم يقتصر التبليط بالإسمنت على هذه البقاع فحسب، وإنما شمل البقاع الأخرى المبلطة بالبلاط الحجري ليكون بلاط الحرم كله من نوع واحد[١]. وقد استمرت الإصلاحات والتجديدات في الحرم المكي حسب الحاجة والعناية المتواصلة، ففي عام ١٣٥٦هـ كان أهم تلك الإصلاحات ترميم بعض قباب الأروقة التي كانت في حاجة إلى ترميم، وتلوين بعض الجدران بألوان مختلفة في كثير من الأجزاء التي كانت ألوانها القديمة بحاجة إلى الإصلاح[٢].

كما تم في السنة نفسها إنشاء أعمدة رخامية جديدة من قطع المرمر الصقيل الذي يعبر عنه بالرخام في ردهات المسجد الحرام لتعلق عليها لمبات الإضاءة الكبيرة التي يجلس إليها المصلون، كما تم إدخال جميع الأسلاك الكهربية في مواسير بداخل أبنية المسجد بعد أن كانت واضحة على جدرانه ظاهرة للعيان، وهناك إصلاحات أخرى أجريت في المسجد الحرام في السنة نفسها منها زيادة الإضاءة في أنوار الحرم باستيراد مصابيح كهربائية كبيرة، وضعت حول المطاف، علاوة على العناية بإدارة كهرباء المسجد وآلاتها عناية كبيرة جعلتها تؤدى الغرض المطلوب منها على أكمل وجه، وقد تم استيراد كثير من الآلات الكهربية والأدوات التي تؤمن انتظام الإضاءة في المسجد الحرام على أحدث طراز، خصوصًا بعد أن تم إحضار آلة كهربية كبيرة أضيفت إلى قوة ماكينات كهرباء الحرم[٣].

ومن جهة أخرى فقد أصدر الملك عبدالعزيز أمره بتجديد باب الكعبة المشرفة

(١) أم القرى، المرجع السابق.

(٢) أم القرى، العدد ٦٧٨، في ١٣٥٦/٩/٣٠هـ، ص٥.

(٣) أم القرى، المرجع السابق.

وتصفيحه بالفضة موشحًا بالآيات الكريمة من الذهب الخالص على نفقته[١].

وقد وجه الملك عبدالعزيز نظره نحو راحة المصلين والحجاج من خلال توجيهاته وتعليماته للمؤسسات والدوائر ذات الاختصاص، ففي عام ١٣٦٦هـ أكملت مديرية الأوقاف العامة تبليط الرحبات المؤدية إلى المسجد الحرام بمكة بالبلاط الأحمر الجميل[٢]، كما شملت الإصلاحات والتجديدات التي تمت في السنة نفسها تركيب الباب الجديد للكعبة المشرفة المصنوع بالذهب الخالص على نفقة الملك عبدالعزيز[٣]، أما في عام ١٣٧٣هـ فقد تم الاحتفال بإضاءة المسجد الحرام والمشعر والشارع العام بنور الكهرباء التابعة للشركة السعودية للكهرباء التي أسسها آل الجفالي[٤].

والواقع أن الاهتمام السعودي بالحرم المكي نجده قد بلغ ذروته وذلك بالتوسعة التي حدثت له في عهد الملك سعود التي كانت نتيجة لجهود الملك عبدالعزيز المستمرة في إصلاح وترميم الحرم المكي، فلقد كانت مساحة المسجد الحرام محدودة، وهي وإن كانت تتسع في بداية العهد السعودي للحجاج حين لم يكن للسفر وسائط غير الحيوان وسفن الشراع، فإنها ومنذ أواخر عهد الملك عبدالعزيز بدأت تضيق بالوافدين منذ تغيرت تلك الوسائط إلى بواخر سريعة وطائرات وسيارات، فازداد بسبب هذا التغير الإقبال على الحج، وأصبح عدد الوافدين في كل موسم يزيد على سابقه، وبدأت أروقة المسجد الحرام ورحابه تضيق بهم في أوقات الصلاة وخاصة في أيام الجمع، حيث يضطر كثير منهم لأداء فريضتهم في الطرقات والأزقة المحيطة بالحرم، ومن هنا أعلن الملك عبدالعزيز تنفيذ

---

(١) مجلة الحج، العدد الرابع، السنة الأولى، شعبان ١٣٦٦هـ، مكة المكرمة، ص٣٣.

(٢) المنهل. «شهرية الأنباء»، مجلد ٧، عدد شعبان، سنة ١٣٦٦هـ، ص٤٢٦.

(٣) عبدالرحمن مظهر. «ذكريات مجيدة عن الإمام عبدالعزيز»، المنهل، مجلد ١٤، ربيع الأول، ١٣٧٣هـ، ص١٩٤.

(٤) عبدالرحمن مظهر، المرجع السابق، ص١٩٤.

مشروع التوسعة للحرمين الشريفين[١]، الأمر الذي جعل الملك سعود يكمل الأعمال والتطويرات التي قام بها الملك عبدالعزيز، فقد أعلن في اليوم الخامس من شهر المحرم لعام ١٣٧٥هـ في بلاغ رسمي جاء فيه أنه قد صدر الأمر بأن تنقل جميع الآلات والمعدات التي استخدمت في مشروع المسجد النبوي إلى مكة المكرمة للشروع فورًا في مشروع توسعة الحرم المكي، وفي السادس من شهر صفر عام ١٣٧٥هـ وفي مرسوم ملكي أعلن عن تشكيل لجنة عليا للإشراف على المشروع، ثم تكونت لجنة ثانية تنفيذية أسندت إليها مراقبة تنفيذ المشروع ولجنة ثالثة لتقدير أثمان العقارات التي يقتضي المشروع نزع ملكيتها، ثم وحدت اللجنتان الأولى والثانية في لجنة واحدة باسم اللجنة التنفيذية العليا[٢].

ولقد استمرت المشروعات التوسعية للحرم المكي المواكبة لتطور الأحوال الاقتصادية والظروف الاجتماعية، ومن أهم هذه المشروعات تلك المشاريع التي انصبت على تطوير شارع المسعى والعناية به وعلى مدار سنوات عديدة، ففي عام ١٣٤٥هـ قدم المجلس البلدي في مكة المكرمة ميزانيته السنوية لعام ١٣٤٥هـ إلى نائب الملك ليعرضها على مجلس الشورى، وقد أدخل في جملة أعماله أن يتم تبليط وترصيف شارع المسعى بالحجارة، ثم يتم العناية به بعد ذلك برشه بالماء، ولاشك أن لهذا المشروع قيمة مهمة، فقد كان سكان مكة المكرمة والحجاج يعانون كثيرًا من الغبار الذي يكاد يخنقهم لاسيما أيام كثرتهم في غدوهم ورواحهم، مما جعل هذا الشارع موضع شكوى من عامة المسلمين في العهود السابقة[٣]، والواقع أن من المشكلات التي كان يعاني منها الشارع أنه يعدّ إضافة إلى أنه المكان الذي يسعى فيه المسلمون سوقًا عاماً يباع فيه الحاجيات من الأطعمة

(١) محمد طاهر الكردي. المرجع السابق، ج٥، ص١٩٣.

(٢) الأرزقي. المرجع السابق، الملحق رقم ٥، التوسعة السعودية للمسجد الحرام ١٣٧٥هـ - ١٣٨٥هـ، ج٢، ص ٢٣١، وانظر محمد طاهر الكردي. المرجع السابق، ج٥، ص١٩٣.

(٣) أم القرى، العدد ٨٦، في ١٣٤٥/١/٢٧هـ، ص١، وانظر غلام رسول مهر. المرجع السابق، ص٧٣.

والمشروبات المثلجة والأقمشة والألبسة والمجوهرات والعطورات والخردوات والمكتبات، وجميع ما يلزم للإنسان من الكماليات والضروريات، ويعدّ سوق المسعى من أهم الأسواق في مكة[١]، ويبلغ طول شارع المسعى ألفاً وخمسما ئة وأربعة أمتار وعرضه أحد عشر متراً، ولذلك ونتيجة للاهتمام بهذا الشارع فقد أمر الملك عبدالعزيز بتجديد سقفه وزيادة الأنوار الكهربية فيه[٢]، كما قام بشراء بيت باناجة الكائن في المسعى وهدمه تمهيداً لإنشاء نفق في هذا الجزء لتمر منه السيارات في طريقها إلى مناطق منى وعرفات منعًا للازدحام والاضطراب الذي يحدث في الشارع[٣]. واستمرت عناية الملك عبدالعزيز بشارع المسعى والاهتمام به، وذلك برصفه فقد تم جلب مهندس فني خصيصاً لذلك هو بهجت سليمان في عام ١٣٥٥هـ[٤]، وذلك أن هذا الشارع كان مرصوفًا بالحجر بشكل غير منتظم وبطريقة غير فنية، وتسبب ذلك في حدوث عدة انخفاضات، إضافة إلى أن الترصيف القديم لم يلاحظ عمل الميول اللازمة لانحدار مياه الأمطار وعدم تراكمها، إذ إن وضع هذا الطريق على طبيعته يساعد على عمل هذه الميول خصوصًا بالنظر إلى تقاطع شارع القشاشية وهو بطبيعته مجرى للسيول والأمطار التي تنحدر إليه من المرتفعات التي حوله، وتتخذ طريقها منه إلى تقاطع طريق المسعى، وبما أن هذا الموضع أفقيًا تقريبًا؛ فإن المياه تملؤه وتتجمع فيه فيتسبب عن ذلك رسوب الأتربة والأوحال، ولذلك اتجه تفكير الملك عبدالعزيز إلى إصلاح كل هذه العيوب شيئًا فشيئًا، وعلى ذلك ابتدأ في رفع الرصيف القديم وإعادته بأحجار منتظمة مرصوفة، مع الاهتمام بعمل الميول اللازمة لانحدار المياه. كما تم أيضًا رصف شارع القشاشية إلى مدى خمسمائة متر طولي، وتم كذلك رصف شارع الحكومة إلى باب إبراهيم[٥]. وفي عام ١٣٥٧هـ بدأت محاولة

(١) محمد طاهر الكردي. المرجع السابق، ج٦، ص٢٢٨.

(٢) محمد السلاح. وثبة الديار الحجازية، ص٤٩.

(٣) أحمد حسين. مشاهداتي في جزيرة العرب (القاهرة، مطبعة مصر، ١٩٥٠م)، ص٤٨.

(٤) أم القرى، العدد ٦٣٢، في ٢/١١/١٣٥٥هـ، ص٨.

(٥) أم القرى، المرجع السابق.

تسقيف شارع المسعى، وقد عملت تصميمات لذلك بواسطة المهندسين الفنيين، كما تم إجراء مفاوضات لجلبها من الخارج بواسطة بيوت النجارة وتركيبها[١]، وقد تم تظليل سقف شارع المسعى في الوسط أما المناطق الجانبية فقد كانت مكشوفة[٢]. ومن جهة أخرى فلاشك أن المدينة المنورة ومنذ بداية عام ١٣٦٠هـ تأثرت تجاريًا بالحرب العالمية الثانية حين أقفل باب البحر عن ينبع فاكتفى التجار بالاستيراد من الداخل، وانصرف بعض التجار عن جانب التجارة إلى الزراعة، وقد كانت الحركة التجارية في المدينة المنورة تنشط في تلك الفترة على الحجاج الذين يأتون للزيارة من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، حيث تزدهر حركة البيع والشراء وتقديم بعض الخدمات مثل تأجير بعض الدور عليهم، إذ لم يكن في المدينة يوم ذاك فنادق[٣]، وكما أن العامل الأول والرئيس لنشأة مكة المكرمة وازدهارها هو وجود بيت الله الحرام؛ فإن المسجد النبوي كان سببًا لتطور المدينة المنورة وكان هو الركيزة الأساسية التي تمحورت حوله المدينة عمرانيًا واجتماعيًا وثقافيًا واقتصاديًا. وقد تأسس المسجد النبوي على يد النبي، عليه الصلاة والسلام، في قلب المدينة المنورة والذي بناه باللبن وسقفه بالجريد ووضع له أعمدة من خشب النخل، وقد حدثت توسعة وزيادة في مساحة المسجد في عهود إسلامية مختلفة فقد حدثت توسعة في عهد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، كما حدثت زيادة في عهد عثمان بن عفان، رضي الله عنه، ثم كانت الزيادة والتوسعة في عهد الوليد بن عبدالملك في عهد الدولة الأموية[٤]. واستمرارًا للعناية والرعاية التي حظي بها المسجد النبوي في العصور الإسلامية المختلفة فقد قام الملك عبدالعزيز بدوره التاريخي في هذه الحلقات المتصلة، فقد قام بترميم أرض المسجد النبوي مما يلي رحبته في الجهات الأربع عام

(١) أم القرى، العدد ٧٢٨، في ١٣٥٧/٩/٢٦هـ، ص٥.

(٢) حسين عبدالله عابد. مطوف (مقابلة شخصية).

(٣) عبدالكريم محمود الخطيب. المرجع السابق، ص٦٤.

(٤) أبوالفداء ابن كثير. البداية والنهاية، ج٣، ط٣، (بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٨٠م) ص٢١٦.

١٣٤٨هـ ووضع أطواقًا حديدية على بعض الأساطين التي حدث فيها تشقق بغربي الرحبة وشرقيها وذلك في سنة ١٣٥٠هـ[١]. ونتيجة لتزايد أعداد الحجاج في عام ١٣٦٥هـ شعر الملك عبدالعزيز بضيق مساحة المسجد النبوي وعدم استطاعته استيعاب أعداد المسلمين، بالإضافة إلى أنه لاحظ تصدع في بعض العقود الشمالية وتفتت في بعض حجارة الأعمدة في تلك الجهة بشكل لافت للنظر[٢]، ولهذا وفي عام ١٣٦٨هـ أعلن اعتزامه تنفيذ مشروع التوسعة للحرمين الشريفين، وقد بدأ بالمسجد النبوي بالمدينة المنورة للحاجة الماسة لذلك، فأجريت دراسات دقيقة واسعة للمشروع، وبدئ التنفيذ الفعلي في الخامس من شهر شوال لعام ١٣٧٠هـ[٣] . وقد كانت الزيادة التي بدأ بها الملك عبدالعزيز وأتمها الملك سعود هي ٦٠٢٤ مترًا مربعًا فأصبحت المساحة الكلية بعد التوسعة السعودية الأولى هي ستة عشر ألفاً وثلاثمائة وسبعة وعشرين مترًا مربعًا[٤]، وفي الرابع عشر من شهر شعبان لعام ١٣٧٢هـ بدأ في حفر الأساسات،وفي الرابع والعشرين من شهر رمضان لعام ١٣٧٢هـ جرى البدء في العمارة السعودية[٥]، وفي عام ١٣٧٥هـ تم الانتهاء من عمارة المسجد النبوي في العهد السعودي[٦]. وقد بلغ ما صرف على عمارة المسجد النبوي ٣٠ مليون ريال، وأن ما صرف على التعويضات لنزع ملكيات الدور وإحداث الشوارع الجديدة حول المسجد نحو ٤٠ مليون ريال[٧].

هذا؛ وقد استعمل ميناء ينبع لترسو فيه البواخر التي تحمل جميع مواد البناء اللازمة،

---

(١) عبدالقدوس الأنصاري. آثار المدينة المنورة، ط٤ (المدينة المنورة: المكتبة العلمية، ١٤٠٦هـ) ص١٠٣.

(٢) علي حافظ. المرجع السابق، ص٩٠.

(٣) علي حافظ. المرجع السابق، ص٩٥.

(٤) أحمد ياسين أحمد الخياري. تاريخ معالم المدينة المنورة، ط٢ (جدة: مطابع شركة دار العلم للطباعة والنشر، ١٤١١هـ) ص٧٩.

(٥) أحمد ياسين أحمد الخياري. المرجع السابق، ص٧٩.

(٦) علي حافظ. المرجع السابق، ص٩٥.

(٧) علي حافظ. المرجع السابق، ص٩٩.

وقد بلغ مجموع البواخر التي رست في ميناء ينبع القديم ثماني عشرة باخرة جاءت بمواد عمارة الحرم الشريف وقد استعملت مستودعات ينبع القديمة والمسماة بالشونة لاختزان تلك المواد حين تفريغها من البواخر[١].

ثالثًا ـ إنشاء مصنع كسوة الكعبة:

كان للكعبة مكانة مقدسة عند العرب منذ القدم وتجلت هذه العناية في الاهتمام بالكعبة وكسوتها بالثياب، ولذلك يعدّ الملك تبَّع هو أول من كسى الكعبة كسوة كاملة من الأنطاع والوصايل[٢]، وبعد أن تم فتح مكة كسى الرسول، عليه الصلاة والسلام، الكعبة بالثياب اليمنية، ثم كساها من بعده الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم بالقباطي، وفي العهد الأموي كان معاوية بن أبي سفيان يكسو الكعبة مرتين كل عام فكان يكسوها بالديباج يوم عاشوراء وبالقباطي في آخر شهر رمضان، ثم كساها كل من يزيد ابن معاوية وعبدالله بن الزبير بالديباج[٣]، وفي العصر العباسي كان الخليفة المأمون يكسو الكعبة المشرفة ثلاث مرات في العام، بالديباج الأحمر يوم الثامن من ذي الحجة، والقباطي البيضاء في أول رجب، وبالديباج في السابع والعشرين من رمضان[٤].

وفي العهد الهاشمي وقع الخلاف بين الحكومة المصرية والشريف حسين سنة ١٣٤١هـ قام على أثرها الشريف حسين بمنع دخول البعثة المصرية إلى مكة المكرمة مما أدى إلى رجوع المحمل من جدة في مركبه ومعه كسوة الكعبة في شهر ذي القعدة من سنة ١٣٤١هـ، فلما رأى ذلك الشريف حسين أحضر كسوة الكعبة التي أودعتها الحكومة العثمانية في رابغ قبل إعلان الشريف حسين ثورته ضد الدولة العثمانية، ووصلت إلى مكة المكرمة في اليوم العاشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٤١هـ وكسيت الكعبة بها، ثم

(١) عبدالكريم محمود الخطيب. المرجع السابق، ص٣٦.
(٢) الأزرقي. المرجع السابق، ج١، ص ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠.
(٣) الأزرقي. المرجع السابق، ج١، ص ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤.
(٤) الأزرقي. المرجع السابق، ج١، ص ص ٢٥٦.

بعد ذلك عمل الشريف حسين كسوة الكعبة من القيلان نسجت في العراق احتياطًا في حالة عدم حل الخلاف الواقع بينه وبين الحكومة المصرية وامتناعها من إرسال كسوة الكعبة، وقد بقيت الكسوة القيلان محفوظة، وفي عام ١٣٤٤هـ امتنعت الحكومة المصرية من إرسال الكسوة بسبب الحرب الدائرة بين الملك عبدالعزيز والشريف فكساها الملك عبدالعزيز في ذلك العام بالكسوة القيلان التي عملها الشريف حسين بالعراق[١]. وعندما انتهت الحرب في جمادى الآخرة سنة ١٣٤٤هـ، واستتب الأمر للملك عبدالعزيز، أرسلت مصر الكسوة مع المحمل وقد حدث في ذلك الموسم حادثة المحمل بمنى[٢]. وكانت نتيجة ذلك أن توقفت مصر عن إرسال الكسوة في عام ١٣٤٥هـ، ورغبة من الملك عبدالعزيز في أن يكون له القرار السياسي، وأن لا يخضع للمتغيرات الخارجية قام في السنة التالية ١٣٤٦هـ وأسس دارًا خاصة لصناعة الكسوة في محلة أجياد بمكة المكرمة فكانت أول مؤسسة لحياكة الكسوة الشريفة بالحجاز[٣]، وقد تسلم إدارة العمل في هذه الدارة عبدالرحمن مظهر رئيس مطوفي الهنود بمكة[٤].

وقد كانت مساحة الأرض التي أنشئت عليها تلك الدار نحو ١٥٠٠ متر مربع وأخذ العمال يعملون بغاية السرعة، فتمت عمارتها في نحو ستة أشهر من عام ١٣٤٦هـ على دور واحد، ثم صدر أمر الملك عبدالعزيز بإحضار العمال اللازمين لحياكة الكسوة وعمل التطرير اللازم للحزام وستارة الباب، وما يقتضي عمله للكسوة وتوابعها من بلاد الهند، فوصل العمال والأنوال من الهند في ابتداء شهر رجب سنة ١٣٤٦هـ إلى مكة بواسطة الشيخ إسماعيل الغزنوي أحد علماء الهند ووجهائها مع الحرير والصباغ وكل ما

(١) حسين عبدالله باسلامة. تاريخ الكعبة المعظمة، عمارتها وكسوتها وسدانتها، ط٢ (جدة، تهامة، ١٤٠٢هـ) ص٢٨٩ ـ ٢٩١.

(٢) سعود بن هذلول. المرجع السابق، ص١٥١.

(٣) حسين عبدالله باسلامة. المرجع السابق، ص ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤، وانظر السيد محمد الدقن. كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ، ط٢ (القاهرة، مطبعة الجبلاوي، ١٩٨٦م) ص١١٨.

(٤) عبدالرحمن مظهر. المرجع السابق، ص١٩١.

يلزم لعمل الكسوة، وفي نهاية شهر ذي القعدة سنة ١٣٤٦هـ تم عمل الكسوة[١].

والواقع لم يعرف أن قماش كسوة بيت الله الحرام قد نسج يومًا في مكة المكرمة، وإذا حدث أن صنعت الكسوة فيها؛ فإن قماشها كان يجلب إليها من الخارج منسوجًا، ثم يتم حياكتها وتهيئ في مكة فقط على الرغم أنه كان في مر الظهران وهو المسمى اليوم بوادي فاطمة دار صناعة تنسج للناس قماشًا معروفًا باسم الظهراني[٢]، لذا كان حرص الملك عبدالعزيز على تأسيس دار لصناعة الكسوة في مكة المكرمة كان شديدًا لأنه هدف أن يكون لمكة المكرمة فخر نسج قماش الكسوة وصنعها، كما أنه هدف من إدخال صناعة النسيج إلى هذه الديار وتعليمها لأبنائها كي تقوم البلاد بقسط من واجباتها في إخراج قسم من حاجياتها إن لم يكن كله وتشجع الصناعات المحلية؛ لذا؛ فإنه منذ الوقت الذي بدأ فيها الاختصاصيون الذين جلبوا من الهند في العمل بالدار كان بجانبهم فريق من أبناء البلاد يتعلمون هذه الصنعة، ومن هنا فقد خصصت الدار بضعة أشهر في كل عام لصنع قماش الكسوة وتشتغل في الأوقات الأخرى بصنع الحنابل والكوفيات وغير ذلك[٣]وقد تم تعيين محمد خان في سنة ١٣٤٧هـ مديرًا لمعمل الكسوة، وهو الذي قام بتعليم السعوديين العاملين في دار الكسوة عمل النسيج والتطريز وصنوف الحياكة حسبما اشترطت عليه الحكومة السعودية، وفي عام ١٣٥٢هـ تم تعيين أحمد سالم الجوهري مديرًا لمعمل الكسوة، وهكذا بدأ يعمل في الكسوة عمال سعوديون إلى أن جاء موسم عام ١٣٥٢هـ، وفيه كسيت الكعبة بكسوة حيكت ونسجت وطرزت بأيدي عمال سعوديين[٤]. وقد ظلت هذه الدارة تصنع الكسوة للكعبة طوال عشر سنوات حتى تم

(١) وزارة الحج والأوقاف. مصنع كسوة الكعبة المشرفة، مكتب الوزير، ١٤١٠هـ، ص١٧، وانظر حسين عبدالله باسلامة. المرجع السابق، ص٢٩٥.

(٢) أم القرى، العدد ٣٣١/ في ٣٠/ ١١/ ١٣٤٩هـ، ص١.

(٣) أم القرى، المرجع السابق.

(٤) حسين عبدالله باسلامة. المرجع السابق، ص٣٠٠.

التوصل إلى صيغة تفاهم بين الحكومتين السعودية والمصرية عام ١٣٥٥هـ كانت نتيجته استئناف مصر إرسال الكسوة مرة أخرى إلى الكعبة، فقد نجحت الاتصالات بين الحكومتين المصرية والسعودية في إذابة الجمود في العلاقات بينهما إذ حضر إلى مصر فؤاد حمزة مندوبًا من لدن الملك عبدالعزيز لمفاوضة الحكومة المصرية في الأمور والشؤون التي أدت إلى الخلاف بين الحكومتين والتي نتج عنها توقف إرسال المحمل والكسوة ومخصصات الحرمين الشريفين إلى الحجاز[١]. وقد كانت تجرى مراسيم استلام كسوة الكعبة في احتفال في دار المفتاح حسب المعتاد في كل عام حيث يجتمع مندبو الملك عبدالعزيز وهم مدير الأوقاف ورئيس سدنة بيت الله الحرام ونائب الحرم ورئيس هيئة إدارة الحرم مع مندوبي الحكومة المصرية يرأسهم أمير الحج وبعد مراجعة المحاضر المختصة بالتسليم بين الفريقين يجرى التسليم بين المندوبين حسب العادة[٢].

رابعًا ـ المرافق العامة

اهتم الملك عبدالعزيز بتطوير المرافق العامة الخاصة بالحجاج حيث ركز اهتمامه بجلب أحدث التقنيات، وقد مثل دخول الكهرباء حدثًا هامًا على كافة الأصعدة، فمن ضمن التطويرات التي حدثت في مرافق الحرم المكي في عام ١٣٥٦هـ صدور الأمر الملكي بإنارة الحرم المكي، وقد كانت هذه الإنارة في نطاق ضيق إلا أنه في عام ١٣٧٠هـ أمر بتوسيع إنارة المسجد الحرام بالكهرباء، وتم وضع المصابيح الكهربية في الجدار الشرقي بالحرم المكي الشريف[٣]، ولقد نتج عن دخول الكهرباء حدوث العديد من التطورات في الحرم المكي ذلك أن الحدث لم يكن عاديا، فقد تم إدخال الميكروفونات إلى

---

(١) انظر حول الوثائق الرسمية المتبادلة بين الحكومة السعودية والحكومة المصرية يوسف أحمد. المحمل والحج، (القاهرة، مطبعة حجازي، ١٣٥٦هـ) ص ص١٤ ـ ٢٠، وانظر السيد محمد الدقن. المرجع السابق، ص ص١١٨ ـ ١١٩.

(٢) محمد السلاح. عبدالعزيز والحج، ص ص ٤٣ ـ ٤٤.

(٣) أم القرى، العدد ١٣٧٤، في ١١/٧/ ١٣٧٠هـ، ص٢.

المسجد الحرام، إذ إنه قبل ذلك كان التبليغ للآذان إنما يعتمد على أصوات المؤذنين والإمام، وكانوا يختارون من ذوي الأصوات الحسنة والقوية في آن واحد، وكان المؤذنون يرتقون المنائر العالية المشيدة في أطراف الحرم ولكن بعد دخول الأجهزة الحديثة من الميكروفونات أصبحت الأمور أفضل من السابق.[(١)].

أما ما يخص مدينة مكة المكرمة فقد كانت شوارعها وحارتها تضاء ليلاً بمصابيح الجاز منذ القدم مثلها في ذلك مثل جميع الأقطار والمدن العربية والإسلامية، فكانت المصابيح توضع في داخل الفوانيس وتعلق على جدران المنازل والبيوت في الحارات والشوارع، ولكن عندما انتشرت الكهرباء وعمت المملكة العربية السعودية استبدلت الفوانيس بالمصابيح الكهربية[(٢)].

ويعتبر السكن من ضمن المرافق العامة والهامة في حياة الحجاج، وفي الواقع كان الملك عبدالعزيز حريصًا على تسهيل أمور الحجاج وتوفير الخدمات لهم، ومن هذا المنطلق تكونت لجان وهيئات مهمتها تقديم المساعدات التي يحتاجها الحجاج، ومن ضمن هذه الهيئات هيئة لتفقد مساكن الحجاج وأحوالهم وصحتهم[(٣)]. وانطلاقًا من كون السكن مرفقاً عاما وخدمة لها أهمية بالغة بالنسبة للحاج في مكة المكرمة، فقد اهتم الملك عبدالعزيز بالمنازل التي تكون صالحة لسكنى الحجاج في مكة المكرمة ونتيجة لهذا الاهتمام عين لها لجنة في عام ١٣٥١هـ خاصة لمراقبة نظافة المنازل وأحوالها وتحديد أعداد الأشخاص الذين تستوعبهم[(٤)]، إلا أن مشكلة العقار كانت تشكل بعض الصعوبات مما أدى إلى تأليف لجنة العقار، وكانت مهمة هذه اللجنة حل الخلافات بين المستأجرين، إذ

---

(١) محمد علي مغربي. أعلام الحجاز، ج١، ص ص ٣٢٨ ـ ٣٢٩.

(٢) محمد طاهر الكردي. المرجع السابق، ج٢، ص٢٦٦.

(٣) أم القرى، العدد٤٢٤، في ١٣٥١/٩/٢٩هـ، ص١.

(٤) محمد أمين إسماعيل سيف الدين. مطوف (مقابلة شخصية)، وانظر أم القرى، العدد ٤٢٤، في ٢٩/٩/ ١٣٥١هـ، ص١.

يقوم المستأجر بتأجير بيته للحاج بمثل الأجرة التي استأجر بها المنزل لقاء تنازله عن الدار لمدة لا تزيد على شهر، حين ذاك يشعر المالك بأنه مغبون لأن المستأجر سكن دون أجر أو بأجر لا يذكر فيطمع في زيادة الأجرة للعام التالي، وهكذا فإن وجود لجنة للعقار في مكة كانت ضرورة أملاها واقع الحال، أما بيوت منى فكانت تؤجر في أيام الحج، وكانت الأسعار تزيد بزيادة عدد الحجاج وتنقص بنقصهم ولكن هذه الأجور بصورة عامة كانت في حدود الاحتمال[١]. ونتيجة لكثرة قدوم الحجاج مما يؤدي إلى ارتفاع أجور العقارات الأمر الذي جعل الملك عبدالعزيز يصدر في أول كل عام قراراً يضمن مصالح الطرفين المالك والمستأجر إلى نهاية سنة ١٣٧٣هـ[٢]، وفي المقابل تأسست عام ١٣٥١هـ فنادق في مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة وفيها جميع ما يحتاج إليه الحجاج من طعام وشراب ومنام وجهزت بالأثاث والمفروشات، ويسع فندق مكة ستين سريرًا فأكثر، وفندق جدة أربعين سريرًا وفندق المدينة ما بين خمسين وستين سريرًا. كما أن الإدارة خصصت سيارات لخدمة الحجاج الذين ينزلون في الفنادق لنقلهم إلى الأماكن التي يرغبون فيها بأجور زهيدة[٣].

وسعياً وراء تحقيق الفائدة المرجوة من الخدمات والمرافق العامة التي وفرها الملك عبدالعزيز للحجاج فقد وضع لجنة سميت لجنة الحج، كانت كل عام تضم العديد من المسؤولين في مختلف مرافق الدولة المعنية بخدمة الحجاج[٤]، ففي ٢٩/ ٩/ ١٣٥١هـ كانت هذه اللجنة مكلفة بمراقبة بيوت ومساكن الحجاج وتدقق في حالتها الصحية ونظافتها، وتتلقى شكاواهم وتسعى لوضع الحلول التي تؤمن للحجاج راحتهم، وقد انبثق عن هذه اللجنة لجنتان فرعيتان إحداهما تقوم بتفتيش الدور والمنازل التي يقيم فيها الحجاج

(١) محمد علي مغربي. ملامح الحياة الاجتماعية، ص ص ٦٠ ـ ٦١.
(٢) محمد طاهر الكردي. المرجع السابق، ج٦، ص٢٣٩.
(٣) أم القرى، العدد ٤٢٤، في ١٣٥١/٩/٢٩هـ، ص١.
(٤) أم القرى، العدد ٤٢٤، في ١٣٥١/٩/٢٩هـ ، ص١.

والإشراف على نظافتها وموقعها والعناية براحة الحجاج، واللجنة الثانية لجنة فنية صحية تقوم بمراقبة الحالة الصحية في المنازل والدور وفي الحوانيت والشوارع، وقد كلفت المطوفين أن يقدموا تقريراً يوميًا عن الحجاج الذين يأتون وبيان أماكن نزولهم والحارات الكائنة فيها تلك الأماكن مع رقمها، بحيث إن اللجنة عقب وصول هذه التقارير إليها تجري التفتيش على المساكن المذكورة، وتنظر فيما يؤدي إلى راحة الوافدين[١]. أما منطقة منى فقد عني الملك عبدالعزيز كثيراً بتطويرها وإصلاح مرافقها العامة، ففي عام ١٣٧٢هـ تم توسعة شوارعها وعبدت بالإسفلت، وأزيحت الدور التي كانت حول الجمرات الثلاث، وأضيفت التقاطعات في الشوارع، وفتحت شوارع جديدة وأزيلت النتوءات وسويت الأرض[٢]. كما أزيلت عشرات الأحوشة لزيادة المساحة وزودت بالمظلات المتسلسلة أمام مسجد الخيف على الشارع العام. وبنيت مجزرة فنية واسعة الأرجاء مظللة وفي وسطها مظلات كبيرة مسقفة بمادة الأسبستوس التي من طبيعتها تلطيف الجو الملتهب[٣]. وحرصاً على الوقاية من الأمراض واستناداً إلى الاهتمام بتطوير الأوضاع الصحية للحجاج فقد تم إنشاء مراحيض في مختلف جهات منى مبنية كلها بالحجارة والنورة، ثم بنيت في سنة ١٣٧٥هـ بالأسمنت والحديد، والحقيقة أن كثرة بناء المراحيض العامة في منى كان لها نفع كبير لعامة الحجاج من جهة، ومن جهة أخرى لنظافة المنطقة[٤].

وفي ميناء مدينة جدة أقيمت عدة مظلات للحجاج في عام ١٣٦٨هـ لتقي الحجاج شدة الحر وأشعة الشمس، وذلك عند نزولهم من السفن إلى الميناء[٥]، وفي موسم عام ١٣٧٢هـ أنشئت مدينة الحجاج التي أقيمت على الطريق المؤدية إلى جدة بطاقة ٢٠٠٠٠٠

(١) أم القرى، المرجع السابق.

(٢) المنهل، "شهرية الأنباء"، مجلد ١٣، عدد ذو القعدة، ١٣٧٢هـ، ص٥٢٣.

(٣) المنهل، المرجع السابق.

(٤) محمد طاهر الكردي. المرجع السابق، ج٦، ص١٩.

(٥) المنهل، "شهرية الأنباء"، المجلد٩، رمضان وشوال، سنة ١٣٦٨هـ، ص٤٣٥.

حـاج إلى جـانب مظلات الحـجاج التـي أقيـمت في منى وعـرفـات، وعـينت إدارة الحج مفـتشين للإشراف على ظروف واحـتياجات الحـجاج. كما قـد أنشئت إدارة للمفـقودين للتعامل مع المواد المفقودة، ومراكز أمن فـي جدة ومكة ومنى ومزدلفة وعرفات إلى جانب الدوريات بالسيـارات على طريق جدة والمدينة لتفتـيش حملات الحجـاج، وبالإضافة إلى ذلك أقيم العـديد من مراكز الإسـعافات الأولية فـي نقاط تجمع الحجـاج الرئيسة ولمعـرفة ردود فعل الحجاج حول الخدمات المقـدمة لهم ومستوى المرافق وضعت الحكومة صناديق شكاوى على أبواب المساجد في مكة والمدينة مزودة بتعليمات بمعظم اللغات التي يتحدث بها الحجاج، ويتم جمع هذه الشكاوى كل مساء[١].

وشمل الاهتمام كذلك تأسيس بعـض الاستراحات في عام ١٣٥١هـ بين جدة ومكة المكرمة في منطقة بحرة، وكذلك في منطقـة الشميسي وبين مكة المكرمة والمدينة المنورة في منطقـة أبيار ابن حـصاني وفي منطقـة المسيـجيـد، وهذه الأماكن أقـيمت من أجـل راحة الحجاج أثناء سفرهم، كما وضـعت أسرة للنوم في هذه الأماكن، وقد أقيمت بجانب كل منهـا دائرة صحيـة وأخرى للشـرطة وربطت بالاتصالات الـتليفونـية مع المراكز الـكبرى الرئيسة كالمدينة المنورة وجدة ومكة المكرمة[٢].

إضافـة إلى ذلك فقد تم إلغـاء الكوشان الذي كان مفـروضاً على الأهالي، كمـا كان مفـروضاً علـى الحجـاج، وهذا الرسم فرض مع السـماح بدخـول السيـارات إلى المملكة واستعمالها[٣].

وفيـما يتعلق بالرسـوم التي يدفعـها الحجـاج في جدة لأصحـاب الخدمات فـفي عام ١٣٧١هـ صـدر إعـلان من وزارة الماليـة لكافـة الحـجاج القـادمين إلى المملكة العـربيـة

---

(١) British Embassy, Jedda, February 2nd, 1953, (1785/6/53) Records of the Hajj, vol. 8. p. 96.

(٢) أم القرى، العدد ٤٢٤، في ٢٩/٩/١٣٥١هـ، ص١.

(٣) محمد علي مغربي. أعلام الحجاز، جـ١، ص٦٨.

السعودية بتنظيم وإيضاح المبالغ المستحقة لأصحاب الخدمات التي يدفعها الحاج حين وصوله إلى جدة لوكيل المطوف بذلك[١].

أما المدينة المنورة فمن ضمن الخدمات العامة الموجودة في المسجد النبوي نجد بوابي المسجد النبوي، والسقائين وهم الذين يتولون إعداد الدوارق في أماكن مخصصة بعد ملئها بالماء، وطائفة الكناسين بالمسجد النبوي، والخطاط وهو الذي يقوم بالمحافظة على الكتابات والزخارف من التلف أو المسح أو الطمس، ومنظفي ثريات المسجد النبوي الشريف[٢]واستمراراً لسياسته القائمة على توفير المرافق العامة وتيسيرها فقد نفذت مشاريع عديدة منذ سنة ١٣٧٠هـ حتى سنة ١٣٧٥هـ أكملت بعد ذلك بسنوات، ومن أهم هذه المشاريع الخاصة بالمرافق العامة سفلتة العديد من الطرق داخل المدينة المنورة ولم يقف عند هذا الحد؛ بل تطور الأمر إلى شق وفتح العديد من الشوارع التي سهلت عملية الانتقال للمواطنين والحجاج. كما أن المشاريع شملت بناء بعض السدود في مناطق مختلفة من المدينة المنورة وخزانات للمياه[٣].

من الواضح أن منطقة الحجاز كانت بحاجة إلى العديد من الإصلاحات والتطويرات في شتى المجالات والمرافق ذلك أن الموجود والمتوافر منها لم يكن في مستوى طموحات وآمال سكانه، هذا الأمر أصبح هدفاً أمام الملك عبدالعزيز سعى إلى الوصول إليه.

وعندما دخل المنطقة وجه نظره نحو تحقيق العديد والمزيد من الإصلاحات وذلك في إطار تأسيس مرافق الدولة ومديرياتها، هذا التأسيس الذي هدف من خلاله إلى المرافق المتعلقة بالحجاج من خلال إيجاد الخدمات المتعلقة بهم وذلك عند تأسيس بنية الدولة الأساسية ومن أهم ما اهتم به الملك عبدالعزيز هو توفير الماء، وهو هدف استطاع أن يربط

---

(١) أم القرى، العدد ١٤٢٢، في ١٣/ ١١/ ١٣٧١هـ، ص١.

(٢) ياسين أحمد ياسين الخياري. صور من الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة، ص ص٩٩- ١٠٤.

(٣) علي حافظ، المرجع السابق، ص ص٣١٣- ٣١٧.

تحقيقـه من ناحيتين الناحية الأولى توفيره للحـجاج للحصول عليه بسهـولة ويسر والناحية الثانية توفيره لسكان المنطقة كذلك ليحصلوا عليه من غير تعب وعناء.

ولم تتـوقف الإصلاحـات عند هذا الحـد؛ بل كان الاهتـمام بمشـاريع حـيوية كـبيـرة كتوسعة الحرم المكي والمسجد النبوي، هذه المشاريع التي قابلت الزيادة الكبيرة التي حدثت في أعداد الحجـاج، ومن ناحية أخرى نجد أن إنشـاء مصنع لصناعة كسـوة الكعبة في مكة المكرمـة أعطى للدولة استـقلاليـة كبـيرة، فـأصبـحت الكعبـة تكسى سنويًا دون أن يكون للأحداث السياسية أثر في ذلك، وهو أمر بالغ الأهمية.

إن هذه الإصلاحات التي لم تكن مـوجودة سابقًا أعطت ثقـة في نفوس سكان البلاد عامةً وفي نفـوس الحجاج خاصـةً وجعلتهم يؤدون مناسكهم دون مشـكلات أو مصاعب تعترضهم كما أنها أسهمت إسهـاماً فعالاً في تأسيس مرافق عديدة للدولة وإصلاح الكثير من المنشآت التي لم تكن في السابق ذات فعالية.

الفصل السابع

آثار ونتائج تطور الخدمات العامة

أولاً – أعداد الحجاج.

ثانياً – النواحي العمرانية.

ثالثاً – النتائج الاقتصادية.

أولاً- أعداد الحجاج:

نستطيع أن نقول إن قدوم الحجاج إلى الأراضي المقدسة كان يتم بطريقتين الأولى فردية ينتقل فيها الحاج بمفرده إلى الأراضي المقدسة، والثانية جماعية يكون فيها الحاج مع غيره من الحجيج في أفواج وجماعات، وفي حقيقة الأمر أن قدوم بعض الحجاج إلى الأراضي المقدسة كان يتحول إلى هجرة دائمة حينما يستقرون في الأراضي المقدسة لايعودون منها إلى بلادهم إما بحثاً عن عمل أو قضاء للبقية الباقية من حياتهم بجانب الحرمين الشريفين خاصة من جانب كبار السن من الحجيج[١]. فأصبحت مكة المكرمة والمدينة المنورة بوتقة تذوب بهما عناصر شتى وثقافات عديدة مكونة مزيجاً فريداً من سكان العالم الإسلامي. ولاشك أن توافر الخدمات والمرافق العامة أو عدم توافرها يسهم بشكل فعال في زيادة أعداد الحجاج ونقصانه، إذ إن وجود تنظيمات إدارية تقوم بتسهيل دخول الحجاج إلى الأراضي المقدسة، وتوافر وسائل المواصلات المناسبة، وتوافر الأمن، ووجود بيئة ومناخ صحي جيد أمور تساعد في زيادة أعداد الحجاج، كما أن عوامل الخوف والاضطراب والحروب والأمراض تعدّ عوامل مهمة جداً في نقصان أعدادهم، وسوف نحاول من خلال هذه الدراسة معرفةالظروف المختلفة والأسباب التي أدت إلى حدوث الارتفاع والانخفاض في أعداد الحجاج.

أ – قبل العهد السعودي:

لقد ازداد حجم الحجاج المسلمين خلال معظم العهد العثماني منذ بداية القرن العاشر الهجري، ويعزى ذلك إلى التوسع العثماني الذي نجم عنه دخول المزيد من الناس في الإسلام، فقد عني السلاطين العثمانيون كثيراً بتحصين قلاع كل من العقبة ومويلح والوجه الواقعة غرب وشمال الجزيرة العربية، ولكن ذلك لم يكن ليمنع الانحدار العام

(١) خالد المطري. الحج دراسة في حركة السكان، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي، المجلد الخامس (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مركز البحوث، ١٤٠٤هـ) ص٢٧٧.

الذي حصل لعـدد الحجاج منذ أوائل القـرن الثالث عشر الهـجري[١]. وفي أواخر العهد العثـماني نجد أن أعـداد الحجاج تميـزت بالتذبذب نتيـجة للعلاقـة بين الظروف السياسـية والحربيـة وحالة عـدم اسقـرار الأوضاع في المناطق الإسـلاميـة، فقـد حصل انحـدار عام لأعداد الحجـاج منذ أوائل القرن الثالث عـشر الهجري بسـبب الأوضاع غير المستقرة في الدولة العثمانية في آواخر عهدها، إذ انشـغلت الحكومة العثمانية بالحروب العسكرية التي تدور رحاها في البلقـان واليمن والشام عن تأمين طرق الحـج فانخفض عدد الحـجاج في ذلك الوقت[٢].

وعندما استقرت الأمور في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر نجد أن الحجاز قد تحسن وضعه الاقتصادي للهدوء السياسي وعدم مشاحنة الأشراف على إمارته وتغير السياسة التركية نحوه، وقـد ازداد عدد الحجاج في مطلع القرن الرابع عشر الهجري نتيـجة لتـشغيل الخط الحـديدي الحجـازي مما جعل الحجـاج يتضاعـف عددهم من أوربا وتركيا والعراق وجميع البلاد الشامية، مما كان له الأثر على هذا الإقليم وكثرت الصدقات والمساعدات من الحجاج من مسلمي المعمورة[٣].

وقـد أسهـم مـشروع سكـة حديد الحـجاز في زيـادة أعداد الحـجاج ضـمن الأهداف السياسية التي حققها للدولة العثمانية[٤]. وخلال عشر سنوات من التشغيل الناجح للخط الحجـازي زادت أعداد الحجاج بسـبب توفير الأمن والقـضاء النسبي على نهب الحـجاج

(١) عيـسى موسى الشاعر. "أعـداد ومواطن الحجاج المسلـمين بين الماضي والحاضر"، بحوث المؤتمر الجـغرافي الإسلامي، المجلد الخـامس (جامـعة الإمام مـحمـد بن سعود الإسـلامية، مـركز البـحوث، ١٤٠٤هـ) ص٢٤٨.

(٢) عبدالله الرقيبة. دراسة جغرافية لمنطقة الحج وأعداد الحجاج، ص ص١٤١-١٤٤.

(٣) إبراهيم الفوزان. إقليم الحجاز وعوامل نهـضته الحديثة (الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤٠١هـ) ص ص٨٨-٨٩.

(٤) عبـداللطيف بن محمـد الحميـد. وثائق سكة حديد الحـجاز في الأرشيف العـثماني، مـجلة الدارة، العدد الثالث، السنة الثامنة عشرة، ربيع الآخر وجمادى الأولى وجمادى الآخرة، ١٤١٣هـ، الرياض، ص٦٢.

وزادت أعداد القادمين للديار المقدسة، وأصبحت المدينة المنورة محوراً جديداً للتجارة يتم فيها تبادل تجارة الشام بتجارة الحجاز ووسط الجزيرة[١].

وقد بلغ عدد الحجاج الذين قدموا إلى الأراضي المقدسة في عام ١٩١٠م نحو ٣٠٠ ألف حاج، ولكن الحرب العالمية الأولى أدت إلى انخفاض حاد في عدد الحجاج فلم يصل إلى مكة عام ١٩١٧م سوى ٦٠ ألف حاج[٢].

ب ـــ في العهد السعودي:

إن بيانات وإحصاءات الحجاج التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة التحليلية هي تلك البيانات التي قامت بتسجيلها وإصدارها وزارة الداخلية بالمملكة العربية السعودية، وقد اقتصر هذا التسجيل في تلك الفترة المبكرة على حجاج الخارج، أي الذين من خارج البلاد[٣].

ففي بداية حكم الملك عبدالعزيز نجد أن هناك انخفاضاً مؤقتاً في الأعداد لأسباب سوف نذكرها، إذ وصل عدد الحجاج ٥٧٩٥٧ حاجاً في عام ١٣٤٤هـ[٤]، ومنذ عام ١٣٤٥هـ إلى عام ١٣٤٩هـ، نجد أن أعداد الحجاج شبه مستقرة لاتتجاوز ٩٦٢١٢ حاجاً في عام ١٣٤٦هـ ولاتقل عن ٩٠٦٦٢ حاجاً في عام ١٣٤٥هـ، وقد انخفضت تلك الأعداد في عام ١٣٤٨هـ، حيث وصل عدد الحجاج ٨١٦٦٦ حاجاً، لكننا نجد من خلال دراسة هذه البيانات أن أعداد الحجاج التي وصلت إلى مكة المكرمة منذ عام ١٣٤٩هـ

---

(١) عبداللطيف بن محمد الحميد. المرجع السابق، ص ص٣٦- ٦٤.

(٢) عيسى موسى الشاعر. الحج إلى مكة، المجلة العربية، العدد التاسع، السنة الرابعة، صفر ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م، ص٦.

(٣) عبدالله الشاعر. دراسة جغرافية لمنطقة الحج وأعداد الحجاج، ص١٣٧.

(٤) Vredenbergt. The Hajj, Some Of its Features and functions in Indonesia, Bijdragen tot de Taal-Land -en Volkenkande, 1962, pp. 91-154.

نقلاً عن عبدالله الرقيبة. دراسة جغرافية لمنطقة الحج وأعداد الحجاج، ص١٤٣.

بدأت في الانخفاض، ففي عام ١٣٤٩هـ وصل عدد الحجاج إلى ٣٩٠٤٥ حاجاً[١].

والواقع أنه بعد الحرب العالمية الأولى ظهر عامل مهم، أثر على عدد الحجاج في السنوات التالية، وهو دخول الملك عبدالعزيز الحجاز وتوحيده مع بقية أجزاء الدولة في عام ١٣٤٣هـ، فقد نقص عدد الحجاج خلال هذا العام نتيجة للظروف السياسية والعسكرية التي كانت تمر بها المنطقة، فوصل العدد في سنة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م إلى ٥٧٩٥٧ حاجاً[٢]، ولكن بعد استقرار الأحوال ووضوح السياسة السعودية وزيادة الثقة بها ازداد عدد الحجاج مرة أخرى وتراوحت أعدادهم بين ٩٦- ٨٢ ألف حاج خلال السنوات الأربع التالية لسنة ١٣٤٤هـ[٣]. ومن خلال بيانات وإحصاءات الحجاج نجد أن الانخفاض في أعداد الحجاج كان خلال فترة الثلاثينات الميلادية وذلك بسبب فترة الكساد العالمي والتي كانت بمثابة مقدمة للحرب العالمية الثانية ولهذا انخفضت أعداد الحجاج في الفترة بين الأعوام ١٣٤٩هـ/ ١٣٦٤هـ - ١٩٣١م/ ١٩٤٥م وهي تضم أعوام فترة الكساد العالمي والحرب العالمية الثانية معاً، وتعتبر سنة ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م أقل هذه السنوات في أعداد الحجاج إذ بلغ عددهم ٩٠٢٤ حاجاً، ولعل ذلك بسبب اشتداد المعارك الحربية التي حدثت في بعض مناطق العالم الإسلامي والذي أثر بدوره على الأمن في الطرق المؤدية إلى الأراضي المقدسة مما سبب بالتالي قلة أعداد الحجاج. وقد شهدت الفترة التالية لها ابتداء من موسم حج عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م ارتفاعاً واضحاً في أعداد الحجاج حيث بلغ عدد الحجاج في تلك السنة ٦١٢٨٦ حاجاً ثم توالت الأعداد في الارتفاع تباعاً إلى أن وصلت في عام ١٣٦٩هـ ١٠٧٦٥٢ حاجاً ثم كان عام ١٣٧٣هـ والذي بلغ فيه عدد

---

(١) إحصائية الحجاج. شؤون الجوازات والجنسية، وزارة الداخلية، إحصائية عام ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٤م، مطابع دار الأصفهاني وشركاه بجدة، ص٢٥. انظر الجدول رقم١.

(٢) Vredenbergt نقلاً عن عبدالله الرقيبة. دراسة جغرافية لمنطقة الحج وأعداد الحجاج، ص١٤٣.

(٣) إحصائية الحجاج. شؤون الجوازات والجنسية، وزارة الداخلية، إحصائية عام ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٤م، مطابع دار الأصفهاني وشركاه بجدة، ص٢٥.

الحجاج ١٦٤٠٧٢ حاجاً وذلك نتيجة لتطور وسائل المواصلات الحديثة فقد أصبح الحجاج يستخدمون الطائرات في قدومهم إلى الأراضي المقدسة مما ساعد على زيادة أعدادهم أكثر من ذي قبل[١].

وقد كان لازدياد أعداد الحجاج أسبابه فقد استقرت الأحوال في العالم وذلك بعد انتهاء الحروب العالمية واستقرار الأوضاع الاقتصادية فيه، كما أنه قد حدث تقدمٌ وتطورٌ في الخدمات والمرافق المقدمة للحجاج في المملكة العربية السعودية فقد استتب الأمن في البلاد وتطورت المواصلات تطوراً هائلاً حيث أصبح الحجاج يستخدمون وسائل المواصلات الحديثة سواءً كانت برية أم بحرية أم جوية، كما قدم لهم في المجال الصحي تسهيلات عديدة ومتنوعة لهم ساهمت في رفع مستوى هذه الخدمة. كل هذه الأمور شجعت الحجاج على القدوم للمنطقة لأداء فريضة الحج.

ج ـــ العوامل المؤثرة في تطور أعداد الحجاج في العهد السعودي:

لاشك أن هناك عوامل كثيرة ومتعددة أسهمت بشكل فعال في تطور ونمو أعداد الحجاج؛ ولعل من أهم هذه العوامل استقرار الأوضاع الأمنية والسياسية، وتوافر المناخ الصحي الملائم للحجاج، ووجود مواصلات متطورة تساعد في انتقال الحجاج من موقع إلى آخر بسهولة ويسر؛ لذلك فإن أية دراسة لأعداد الحجاج يجب أن لا تغفل هذه العوامل إذ هي في الواقع مترابطة ومتشابكة لانستطيع أن نفصل واحدة عن الأخرى ذلك أن عدم الاستقرار السياسي يؤدي إلى اضطراب وتفكك الوضع الأمني، وينتج عن ذلك تدهور الوضع الصحي وانتشار الأمراض والأوبئة مما يحد كثيراً من قدوم الحجاج.

١ ـ الأوضاع الأمنية:

عند تتبع أعداد الحجاج في أية مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامي نجد أن للأحداث

---

(١) إحصائية الحجاج، شؤون الجوازات والجنسية، وزارة الداخلية، المرجع السابق.

الحربية أو السياسية تأثيراً واضحاً في أغلب السنوات، إذ يرتبط هذا العامل بأمن وسلامة طريق الحجاج ذلك أن أثر الحروب والخلافات السياسية سواء كانت عالمية أو محلية تمتد عادة إلى مسالك وطرق الحج مما يؤثر في أعداد الحجاج الوافدة عبر هذا الطريق أو ذاك[1].

ويعدّ توفر الأمن في الطرق أحد العوامل المهمة المؤثرة في أعداد الحجاج الذين يفدون من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، ولكن عندما تضطرب الأحوال الأمنية في جزء من الطريق؛ فإنه تقل أعداد الوافدين من الحجاج عبر هذا الطريق، ويدخل في ذلك أخطار الحروب سواء كانت هذه الحروب محلية أو عالمية، ويمكن أن نلاحظ أن فترة الحرب العالمية الأولى التي حدثت في بداية هذا القرن (١٩١٤م- ١٩١٧م) كانت الدولة العثمانية طرفاً فيها، ولما كانت منطقة الحجازومناطق أخرى في العالم الإسلامي لاتزال خاضعة للحكم العثماني ، فقد تأثر أمن الطريق بتلك الحرب وأصبح الطريق إلى منطقة الحجاز مضطرباً غير مستقر مما أدى إلى عدم استقرار أعداد الحجاج. لكن في العهد السعودي نجد أقل موسم حج هو الذي حدث في عام ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م، فقد كانت الحرب العالمية الثانية قد اندلعت قبل ذلك الموسم ، وبما أن معظم العالم الإسلامي في ذلك الوقت خاضع للاستعمار الغربي الأوربي فقد أصبح طرفاً مرغماً في هذه الحرب التي حدثت بين دول المحور ودول الحلفاء، وبما أنه قد حدثت في بعض أجزاء العالم الإسلامي وخاصة في شمال أفريقيا بعض المعارك الحاسمة لهذه الحرب، وبالتالي فقد تأثر أمن الطريق بين مناطق العالم الإسلامي والأراضي المقدسة مما أدى إلى قلة أعداد الحجاج حتى انتهت الحرب فعاودت الأعداد ارتفاعها من جديد[2].

ولاشك أن من أسباب تزايد أعداد الحجاج دخول المنطقة تحت الحكم السعودي ذلك أن منطقة الحجاز، ومن خلال الدراسة التحليلية للوضع الأمني في المنطقة ـ خلال فترة

---

(١) عبدالله الرقيبة. دراسة جغرافية لمنطقة الحج وأعداد الحجاج، ص١٦٧.

(٢) أحمد علي إسماعيل. حركة الحج من دول العالم الإسلامي، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي، المجلد الخامس، (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مركز البحوث، ١٤٠٤هـ) ص ص٢١٢- ٢١٥.

حكم الملك عبدالعزيز في الفصل الثالث من هذه الدراسة ـ تبين لنا توتر الوضع الأمني في الطرق التي تربط مدن الحجاز بصفة عامة، وفي طريق مكة المكرمة والمدينة المنورة بصفة خاصة في العهد السابق لعهد الملك عبدالعزيز، وقد أدى ذلك إلى شعور الحجاج بالخوف وعدم الأمان ولكن ومع تطور الخدمات المقدمة للحجاج في عهد الملك عبدالعزيز، ومن أهمها إحكام السيطرة الأمنية على المنطقة بأكملها، كان ذلك مساعداً لزيادة أعداد الحجاج القادمة للأراضي المقدسة في فترة حكم الملك عبدالعزيز.

وعندما كانت الحرب قائمة في الحجاز بين الملك عبدالعزيز والشريف حسين، وعلى الرغم من دخول أغلب الموانىء الحجازية التي تقع إلى الشمال من جدة وإلى الجنوب منها تحت حكم الملك عبدالعزيز، وعلى الرغم من إعلانه فتح البلاد للحج إلا أن أعداد الحجاج كانت منخفضة جداً؛ لأن مدينة جدة وهي ميناء مدينة مكة الرئيس كانت محاصرة، وكانت مقاومة الشريف علي لاتزال مستمرة بها وكان الملك عبدالعزيز قد وجه نداء إلى المسلمين يعلنهم فيه: أن النظام قد ساد في البلدة المطهرة واستتب الأمن فيها، وأنه يتكفل بتأمين راحتهم والمحافظة على جميع حقوقهم وتسهيل سفرهم إلى مكة المكرمة من أحد الموانىء الثلاثة رابغ، والليث، والقنفذة، وذلك قبل أن يستولي على جدة[1].

٢ ـ الأوضاع الاقتصادية:

يشترط فيمن يريد أداء فريضة الحج أن تكون لدية القدرة المالية على ذلك؛ ولذلك فإن توافر المال من أهم الأمور التي تساعد الحاج على أداء الفريضة.

وتختلف الأحوال المالية للمسلمين، فهناك فئات فقيرة وهناك فئات غنية، وبالتالي فعند حدوث أية أزمة اقتصادية سواء في داخل بلدانهم أو على المستوى العالمي؛ فإنهم بلاشك سوف يتأثرون بذلك، ومن هنا فإنه يلاحظ أن حدوث أزمات في الاقتصاد

(١) أم القرى، العدد ١٢، في ١٣٤٣/٨/٣هـ، ص٢.

الدولي تؤثر أيضاً في أعداد الحجاج، لأن ذلك يرتبط كثيراً بالتضخم النقدي وانهيار قيمة العملة. كما حدث في فترة الكساد العالمي في الثلاثينات الميلادية والتي كانت بمثابة مقدمة للحرب العالمية الثانية، ولهذا انخفضت أعداد الحجاج في الفترة بين أعوام ١٣٤٩هـ - ١٣٦٤هـ/ ١٩٣١م- ١٩٤٥م وهي تضم أعوام فترة الكساد العالمي والحرب العالمية معاً، وقد شهدت الفترة التالية له ابتداء من موسم حج ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م ارتفاعاً واضحاً في أعداد الحجاج لانتهاء الحرب وظروف الأزمة الاقتصادية العالمية وعودة الأوضاع إلى طبيعتها إلى حد كبير[1].

٣ - تطور وسائل المواصلات:

كان الحجاج يأتون إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج إما عن طريق البر أو البحر عن طريق السفن، وكانوا يستخدمون وسائل نقل تقليدية، وذلك قبل شيوع المواصلات الحديثة، فهم إما أن يسافروا مشياً على أقدامهم أو على الدواب، ولكن مع دخول المواصلات الحديثة للأراضي المقدسة وخاصة سكة حديد الحجاز التي أسهمت في ارتفاع أعداد الحجاج القادمة، إذ شجعت على الإقبال لأداء الفريضة نظراً لما تتمتع به هذه الوسيلة من مميزات كالسرعة واختصار الوقت وتوافر عامل الأمن، ومن جهة أخرى نلاحظ أن أغلب الحجاج وخاصة في المناطق الإسلامية البعيدة عن مكة المكرمة يستخدمون السفر عن طريق السفن التي تعدّ أكثر الوسائل المستخدمة شيوعاً عند الحجاج، وبعد استخدام وسائل النقل الجوية نجد أنه قد زادت أعداد الحجاج، وخاصة منذ بداية عام ١٣٦٧هـ حيث أخذت أعداد الحجاج تزداد تدريجيًا من غير نقصان إلى أن وصلت في عام ١٣٧٣هـ ١٦٤٠٧٢ حاجاً.

وقد أدى التطور المستمر والهائل في حركة النقل والمواصلات إلى اختصار الفترة التي تتطلبها رحلة الحج من أي قطر إسلامي إلى الأراضي المقدسة؛ وبالتالي فإن الفترة التي

---

(١) أحمد علي إسماعيل. المرجع السابق، ص ص٢١٢- ٢١٥.

يقضيها الحاج بعيداً عن موطنه لم تعد طويلة، كما كانت في الماضي[١]. كما أنه عندما بدأ النقل الجوي ينافس الوسائل الأخرى؛ فإنه يمكن عدّ التغير الذي حصل في وسائط نقل الحجاج من أهم التغيرات التي شهدها الحج الإسلامي في الأزمنة الحديثة فقوافل الجمال البرية التي كانت مهمة لعدة قرون تضاءلت أهميتها تدريجيًا وأصبح السفر البحري بعد الحرب العالمية الثانية هو الوسيلة الرئيسة لوصول الحجاج إلى المملكة العربية السعودية، ولقد بدأ النقل الجوي ينافس القوارب البحرية في أوائل الخمسينات من القرن العشرين. كما أن إغلاق قناة السويس قد عزز النقل الجوي حتى أصبح هو الوسيلة الرئيسة بالنسبة لحجاج العديد من الأقطار[٢].

٤ ـ الجوانب الصحية:

نظراً لأن الحج يمثل تجمعاً كبيراً للمسلمين،ونظراً لأن الحجاج يعيشون في ظروف سكنية مؤقتة، وقد يحمل بعضهم معه عدوى بعض الأمراض، وقد يحمل آخرون أطعمة فاسدة أو يستخدمون مصادر مياه غير نقية؛ فإن تلك الظروف تكون سبباً لانتشار الأمراض بسرعة، وفي مثل ظروف هذا التجمع فإن الكوليرا هي أكثر الأمراض المؤثرة في الحجاج خاصة أنها مرض شبه مستوطن في بعض الأقطار التي يفد منها الحجاج مثل شبه القارة الهندية، وقد تساعد وسائل المواصلات الحديثة في سرعة انتشار المرض أو الوباء إن كان هناك أي تقصير في اتباع الإجراءات الصحية المتعارف عليها دولياً.

وقد أدى ظهور وباء الكوليرا في مكة في عام ١٨٦٥م/ ١٢٨١هـ وانتشارها عن طريق الحجاج في عودتهم إلى أقطارهم، ثم في بقية أجزاء العالم إلى عقد المؤتمر الصحي الدولي الثالث في استنبول في عام ١٨٦٦م ونوقش فيه استخدام العزل الصحي للحجاج

(١) أحمد علي إسماعيل. المرجع السابق، ص٢١٠.

(٢) عيسى موسى الشاعر. الحج إلى مكة، المجلة العربية، العدد التاسع، السنة الرابعة، صفر ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م، ص٥.

وللسفن التي يشك في وجود حالات كوليرا عليها، وعندما استخدمت الطائرات في نقل الحجاج زادت أخطار انتقال العدوى في حالة الوباء وهذا ماجعل الملك عبدالعزيز يركز على بذل العناية الكبيرة وخاصة في إجراءات الدخول والتفتيش على البطاقات الصحية أو إيجاد عدد كبير من مراكز الإسعاف والمستشفيات في كل من مكة المكرمة ومنى وعرفة، وكذلك السماح لعدد من بعثات الدول الإسلامية بالإسهام الطبي خلال مواسم الحج، ولاشك أن حصر الوباء بسرعة يمنع تفاقم الخطر في كل مرة ولكن بالنظر إلى ارتباط تلك الأخطار بمواسم الحج أثناء وجود الحجاج فعلاً في الأراضي المقدسة إلى جانب التشديد من جانب الحكومة السعودية والحكومات الإسلامية الأخرى في عمليات تطعيم الحجاج قبل السفر وعزلهم بعد عودتهم؛ فإن أثر العوامل الصحية لم يعد كبيراً في حركة الحج اليوم[١].

والواقع أننا لو نظرنا إلى تطور ونمو أعداد الحجاج بعمق أكثر نجد أن العوامل الرئيسة في هذه الزيادة ترجع إلى تلك الخدمات العديدة والمتنوعة التي أدخلها الملك عبدالعزيز بقصد تسهيل انتقال الحجاج وإقامتهم في المشاعر المقدسة وتوفير كافة الخدمات الضرورية لجعل الرحلة إلى الحج أكثر سهولة ويسراً، ويشمل ذلك الخدمات المقدمة في طرق المواصلات مع توفير مياه الشرب والمساكن وتنظيم حركة المرور وتوفير المواد الغذائية للحجاج، وقد كان الملك عبدالعزيز وخاصة خلال مواسم الحج يقوم بتسخير جميع أجهزة الدولة المختلفة لخدمة الحجاج وخاصة تلك الأجهزة والإدارات التي تشارك في الرعاية المباشرة للحجيج وخدمتهم[٢].

(١) احمد علي إسماعيل. المرجع السابق، ص ص٢١٥- ٢١٦.

(٢) خالد المطري. الحج الهجرة السكانية دراسة في حركة السكان في العالم الإسلامي، مجلة الفيصل، العدد ٣٠، ذو الحجة ١٣٩٩هـ/ نوفمبر ١٩٧٩م، السنة ٢٣، المجلد ٢/٢٨- ٣٠، ص٢٢.

٥ ـ إمارة الحج:

ويرتبط بأعداد الحج إمارة الحج، ذلك أن وجود آلاف من المسلمين في منطقة الحج كان يتطلب من ولاة الأمر الاهتمام بهم وبراحتهم؛ ولذلك فمنذ أن حج الرسول المصطفى، صلى الله عليه وسلم، بالناس في السنة العاشرة من الهجرة وعلمهم مناسك حجهم، فقد أصبحت قيادة ولي الأمر للحجيج سنة متبعة سار عليها الخلفاء الراشدون والملوك وولاة الأمر من بعدهم ولا يفوتون هذا العمل العظيم؛ بل يتولونه بأنفسهم لما فيه من فضلٍ؛ اقتداء بسيد البشر محمد، صلى الله عليه وسلم، فكان أبو بكر، رضي الله عنه، هو الذي يتولى قيادة الحج في خلافته، ثم بعده عمر، ثم عثمان، رضي الله عنهم.

وقد بلغ عدد السنوات التي لم يحج بالناس فيها أحد إما بسبب الحوادث والفتن أو عدم ذكره في كتب التاريخ ٢١٣ سنة، والسنوات التي لم يحج فيها أمير بعينه وإنما كان يحج من كل قطر أمير على حجاج بلده ٢٠١ عام وبذلك يكون المجموع ٤١٤ سنة، وقد يكون فيها من الدلالة مايكفي للإشارة كيف كان الحج في الماضي مضنياً وشاقاً، وبعد عام ١٣٤٣هـ استمر حكام الدولة السعودية منذ عهد الملك عبدالعزيز يقودون إمارة الحج[١]، وقد كان يقود إمارة الحج الملك بنفسه إلى عام ١٣٧٠هـ ما عدا عام ١٣٦٠هـ وعام ١٣٦٣هـ والذي أناب عنه الأمير فيصل، وعام ١٣٦٦هـ وعام ١٣٦٩هـ والذي أناب عنه الأمير سعود[٢].

ثانياً: النواحي العمرانية:

لقد أسهمت الخدمات المقدمة للحجاج والتحسينات في أحوالهم السكنية والمعيشية في التطور العمراني للمنطقة فقد كانت المدن الرئيسة في الحجاز في النصف الأول من

---

(١) انظر الجدول رقم ٢.

(٢) إحصاء الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين. نشر عن طريق وكالة انباء السعودية، جريدة عكاظ، العدد الأسبوعي ٩٤٣٩، في ٣٠/١١/١٤١٢هـ، ١ يونيو ١٩٩٢م، السنة الثالثة والثلاثون، ص٢١.

القرن الهجري الرابع عشر محصورة إما داخل الأسوار مثل مدينة جدة أو الحدود الشبيهة بالأسوار مثل المدينة المنورة ومكة المكرمة والطائف.

أ - الحالة العمرانية في مكة المكرمة:

يعدّ الحرم المكي هو المحور الأساس الذي تمحورت حوله مساكن مكة المكرمة وأحياؤها وذلك حرصاً من السكان على السكن بالقرب منه، وبالنظر إلى عدم استخدام وسائل المواصلات الحديثة والحرص على السكن بالقرب من الحرم المكي فلم تشهد مدينة مكة المكرمة ذلك التوسع العمراني، خاصة أنها تقع في بطون الأودية وعلى سفوح الشعاب المحيطة بها، والسفوح الجبلية التي تنتشر بينهاهذه الشعاب شديدة الانحدار، ولها تأثير كبير على الامتداد العمراني للمدينة، ذلك أن تطور مدينة مكة عبر القرون كان مرتبطاً دائماً بانحدار السفوح واتجاه الأودية وموضع السهول منها.

ونظراً لضيق هذه السهول فقد قام العمران وانتشر على السفوح المطلة على الحرم الشريف، غير أنه منذ أن بدئ في استخدام المواصلات الحديثة فقد أسهمت في زيادة الانتشار العمراني وتوسعة الرقعة الأرضية التي تمتد عليها، وعلى الرغم من تأثير العوامل الطبيعية في تحديد الامتداد العمراني، فإن الظروف الاقتصادية والاجتماعية كان لها الدور الأكبر في نمو المدينة على السفوح(١).

والواقع أنه إذا ألقينا نظرة إجمالية حول مساحة مكة المكرمة في بداية الحكم السعودي لجدها صغيرة جداً، وبيوتها كانت قليلة ومعظمها حول الحرم المكي وما بعد عن الحرم فهو في حي المسفلة، أما الحرم المكي فقد كانت مساحته أقل بكثير من مساحته الحالية، وبئر زمزم كانت ظاهرة وفوقها قبتها، وتحيط بالحرم المدارس الكثيرة التي وقفت للتدريس جوار الكعبة، كما تحيط به بعض البيوت مما كان يحجب رؤية الحرم من مسافة بعيدة، أما

---

(١) معراج نواب مرزا. "أثر العوامل الطبيعية في النمو العمراني لمكة المكرمة"، المنهل، المجلد ٥٦، العدد ٥١٩، جمادى الأولى وجمادى الآخرة ١٤١٥هـ/ نوفمبر ١٩٩٤م، ص ص١٧٠- ١٧١.

الصفا والمروة فكانتا خارج الحرم وبدون سقف والأرض تمتلئ بالرمال ويتخللهما سوق يغص بالبائعين ويعج بالمشترين، فلذلك كان يختلط الحجاج مع البائعين والمشترين مما أدى إلى ضياع بعض الحجاج عن ركبهم وقافلتهم. أما منى؛ فإنها صغيرة ولا يوجد بها سوى مسجد الخيف والجبال تحيط به من كل جانب[1]. والكثير من الحجاج في الأعوام السابقة لعام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣١م عانوا من المصاعب خلال وجودهم في منى، وذلك بسبب سيطرة بعض الحجاج على السكن عندما يقدمون إليها مبكرين، وفي عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣١م كان من أهم الإصلاحات التي قدمت من لدن السلطات المختصة أن أوجدت بعض المباني المزودة بالإنارة والكهرباء وبعض الوسائل الأخرى التي يحتاجها الحجاج، وساعد هذا بالفعل على خفض أزمة السكن في منى[2]، وتعدّ مصادر المياه في مكة من أهم مشكلاتها بوصفها مدينة تقع في بيئة جافة، ومع ذلك تشهد طوفاناً بشرياً في موسم معين من السنة، ولما كان نمو المدن يتأثر كثيراً بمقدار مايمكن تدبيره من مياه لاستخدامات السكان المتعددة والتي تتمثل أساساً في الاستخدامات الشخصية ثم في النواحي الاقتصادية وأهمها الصناعة؛ فإنه بالنسبة لمكة نجد أن الاستخدامات الأولى تمتص النسبة الكبرى من مواردها المائية بالإضافة إلى بعض الزراعات الصغيرة فهي مدينة لاتضم سوى بعض الصناعات الخفيفة أو اليدوية التي لاتستهلك من الماء إلا القليل، ثم تأتي بعدها الأغراض الأخرى، وتواجه مكة مشكلة مياه متجددة مرتبطة بنموها السكني والسكاني خاصة أنه قد صاحب ذلك تعدد ونمو في وظائفها، وذلك بسبب اعتمادها القديم والدائم على مجموعة معينة من الآبار[3]. وفي الحقيقة أن للحج تأثير على التوسع العمراني لمكة المكرمة ذلك أنه على الرغم من أن منطقة الحرم تتعرض لسيول جارفة إلا أن الناس لم

---

(١) سليمان عبدالغني مالكي؛ سعد الدين أونال. المرجع السابق، ص ص٨٩- ٩٠.

(٢) Report on the Pilgrimage of 1931 (A. H. 1349) (E 5862/100/25) British Documents on Foreign Affairs, Vol, 14, P. 119.

(٣) سمير الدسوقي عبدالعزيز. "مكة المكرمة دراسة جغرافية المدن" (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، إدارة الثقافة والنشر، ١٤٠٤هـ)، ص٣٣٠.

يبتعدوا عنها نظراً لمجاورة الحرم من جهة، وللفوائد المادية من جهة أخرى، حيث يرغب العديد من الحجاج أن يكون سكناهم بالقرب منه. ومن هنا؛ فإن الأهالي كانوا لايبتعدون كثيراً عن المنطقة، في حين نجد أن المناطق البعيدة عن الحرم كالزاهر وأسفل مكة مثلاً لم تكن لتستوطن[١].

وقد تركز السكان حول الكعبة فمعظم من سكن مكة قديماً عاش بالقرب منها حتى يسهل الاتصال بالحجاج أو الوافدين إلى المدينة، وكذلك حتى يكون قريباً من بئر زمزم مصدر المياه الوحيد تقريباً في ذلك الوقت، ولكن مالبث أن تضخم حجم المدينة وزاد اتساع رقعتها كثيراً نظراً للزيادة السكانية الهائلة والمستمرة، وكذا لاهتمام الدولة بإعادة تخطيط مكة وشق الطرق الحديثة وخاصة الموصلة منها إلى الحرم أو منطقة مشاعر الحج، وما لبثت أحياء جديدة أن ظهرت في اتجاه كل من جدة والطائف[٢].

والواقع كان هناك أسباب وعوامل حملت الناس على أن تكون بيوتهم ومنازلهم متداخلة متلاصقة في العهود المختلفة، فمن هذه العوامل الشعور بالخوف وعدم الأمان نتيجة الحكم المضطرب المذبذب والرغبة في الاجتماع والتكتل، وهذا يجعلنا نربط العامل الأمني بطريقة بناء البيوت في المدن الحجازية، ولهذا نجد أن النمط العمراني قد تغير كثيراً بعد العهد السعودي، حيث اختلفت طريقة بناء البيوت كما أن الشعور بالاطمئنان والراحة أدى إلى إنشاء أحياء سكنية جديدة، وبالتالي أدى ذلك إلى توسع المدن كثيراً عما كانت عليه، ومن الأسباب كذلك التي حملت الناس على أن تكون بيوتهم ومنازلهم متداخلة في العهود السابقة التنافس في القرب من الكعبة، وذلك اعتقاداً على أن الأجر يمكن الحصول عليه مضاعفاً كلما كان السكنى أقرب إلى المسجد، أما الآن فقد خف تأثير ذلك باختلاف أمزجة الحجاج ودرجة تعليمهم وثقافتهم وثرائهم، وتوافر وسائل

---

(١) معراج نواب مرزا. "أثر العوامل الطبيعية في النمو العمراني لمكة المكرمة" ، المنهل، المجلد ٥٦، العدد ٥١٩، جمادى الأولى وجمادى الآخرة ١٤١٥هـ/ نوفمبر ١٩٩٤م. ص ١٧٤.

(٢) سمير السوقي عبدالعزيز. المرجع السابق، ص٣٣٥.

المواصلات وسرعتها، وإمكان الوصول إلى المسجد في دقائق معدودات من أبعد الضواحي المحيطة بالبلد[١]، وتتميز دور مكة بأنها ذات طوابق متعددة تتراوح مابين طابقين إلى خمسة طوابق[٢]، وأن أبنيتها متوسطة ولا تحتوي على شيء من الأدوات الصحية بدورة المياه، فالمراحيض عادية، والمياه تجلب بواسطة السقائين[٣]، وتتميز بعض المباني بالارتفاع وهي تستوعب العديد من الحجاج في المواسم وهذه المباني مبنية، بحيث تصلح كل حجرة من حجراتها مسكناً خاصاً لمجموعة من الحجاج، ولذلك كان لها نظام هندسي خاص، وهي ثانية قاصرة في أكثرها على هؤلاء الحجاج الذين يستأجرونها لمواسم الحج بإيجار يبلغ إيجار العام كله أو يزيد؛ ولذلك فإن أكثر الملاك يغلقونها بعد ذلك طوال العام ويرفضون تأجيرها لغير الموسم أما إيجار العام نفسه فيبدأ من أول المحرم حتى منتصفه ويدفع الإيجار السنوى كاملاً، وهذا الإيجار إما أن يقبضه المالك مباشرة وإما أن يقبضه مستأجر الدار، إذ إن له الحق في التأجير من الباطن مادام قد دفع هو الإيجار كاملاً للمالك[٤].

وإذا قمنا بتحليل التركيب الوظيفي لمدينة مكة المكرمة إلى الوظائف الأولية، التي تمثل أصل قيام المدينة ومبرر ظهورها وهي بالنسبة لمكة تتمثل في الوظيفتين الدينية والتجارية، وتتضح أهمية الوظيفة الدينية في وجود الكعبة المشرفة نواة هذه المدينة وقلبها وحج المسلمين إليها، فمع نبض حركة الحج إليها والمترددين عليها استمرت مكة تؤدي وظيفتها هذه، وقد التف حولها عمران مكة واتجهت إليها شوارعها وحاراتها وتداخلت معها أحياؤها فالحرم شكَّل تكوين مكة، ومن هنا كان الاهتمام بشق الطرق إلى الحرم[٥].

(١) أحمد إبراهيم الغزاوي. "مكة تطورها العمراني في العهد السعودي"، المنهل، المجلد٦، السنة ٦، جزء ممتاز، عدد ذو القعدة وذو الحجة، ١٣٦٥هـ، ص ص٥٢٨- ٥٢٩.

(٢) غلام رسول مهر. المرجع السابق، ص٧٢.

(٣) مصطفى محمد. المرجع السابق، ص٤٥.

(٤) عامر محمد بحيري. نحو القبة الخضراء (القاهرة، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٧هـ)، ص٥٢.

(٥) سمير الدسوقي عبدالعزيز. المرجع السابق، ص ص ٣٥٩- ٣٦٣.

أما الوظيفة التجارية فهي من أقدم وظائف مكة المكرمة، وقد تراوحت خلال الزمن ما بين تجارة ذات مدى إقليمي محدود يشمل نجداً والحجاز إلى المشاركة في حركة التجارة العالمية إبان ازدهار طريق التجارة القديم بين الشام واليمن، وفي العصور الحديثة عادت إليها وظيفتها التجارية الإقليمية المحدودة، حيث تهيأت لتصبح سوقاً لشتى البضائع العالمية، وقد ارتبطت بالوظيفتين الدينية والتجارية مجموعة من الخدمات والوظائف أهمها الطوافة القائمة على خدمة الحجاج والبنوك، حيث يقوم الصرافون باستبدال العملات للحجاج بالإضافة إلى بعض الأعمال المحدودة، والفنادق التي تقوم بخدمة الزوار والضيوف وشركات نقل الحجاج التي تقوم بنقل الحجاج بين المشاعر المقدسة[1].

وإذا نظرنا إلى تخطيط مكة المكرمة القديم نجد أن الشوارع كانت ضيقة ويتراوح عرضها بين ثلاثة وستة أمتار، وتحيط بها البنايات العالية التي تزيد على ثلاثة أدوار بارتفاع يتراوح بين خمسة عشر متراً وخمسة وعشرين متراً كانت تلقي بظلالها المستديمة على هذه الشوارع الأمر الذي يجعلها لاتتلقى أشعة الشمس المباشرة مما يسهل حركة المشاة ويبعدهم عن تأثيرات الحرارة الشديدة في المدينة[2].

وقد سعى الملك عبدالعزيز لتنظيم مكة المكرمة سكنياوتخطيطها لكي تصبح قادرة على مواجهة التغيرات والتوسعات المرتقبة، وذلك نتيجة لكثرة السكان وازدياد عدد الوافدين إليها في موسم الحج وسواه، وقد تم تكوين لجنة تخطيط المدن وبيع الأراضي الحكومية في مكة المكرمةالتي سعت إلى حل أزمة السكن الناشئة بسبب ذلك فتكونت لجنة خاصة عهد إليها بيع الأراضي الحكومية بضواحي مكة بعد تخطيطها وتقسيمها إلى قطع، وتوفير الخدمات فيها كالمساجد ومراكز الصحة والشرطة[3]. والواقع أنه لنمو مدينة

(١) سمير الدسوقي عبدالعزيز. المرجع السابق، ص ص٣٥٩- ٣٦٣.

(٢) معراج نواب مرزا. "أثر العوامل الطبيعية في النمو العمراني لمكة المكرمة"، المنهل، المجلد ٥٦، العدد ٥١٩، جمادى الأولى جمادى الآخرة ١٤١٥هـ/ نوفمبر ١٩٩٤م، ص١٧٤.

(٣) فؤاد رضا. "تعريف بوضعنا الإداري. اللجان والهيئات"، المنهل، المجلد١٠، جمادى الأولى وجمادى الثانية عدد ٥ و٦، ١٣٦٩هـ، ص ص١٨٢- ١٨٣.

مكة المكرمة وتطورها العمراني عدة أسباب من أهمها العامل الديني والثقافي، ثم العامل الاقتصادي، ثم توافر الأمن والاستقرار.

فقد نشطت حركة العمران بالمدينة منذ نشأتها إذ كانت على طريق التجارة بين الشام واليمن، وقد استدعى ذلك ضرورة توفير الأماكن المناسبة لسكنى التجار وإقامتهم.

وفي عهد الملك عبدالعزيز ازدحمت مكة المكرمة بالمحال التجارية وتوكيلات الشركات العالمية وفروع البنوك المختلفة هذا بالإضافة إلى قيام بعض الصناعات الخفيفة التي تخدم الوظيفة الدينية ونظراً للزيادة المطّردة في أعداد حجاج البيت والمعتمرين إليه كل عام ظهرت ضرورة إقامة الفنادق والمساكن لإيوائهم وشق الطرق المرصوفة والواسعة إلى منطقة الحج في منى وعرفات أو إلى جبل النور أو غيره من المعالم الإسلامية بمكة، ولما كان موسم الحج يعدّ من مصادر الدخل المهمة لسكان المدينة، فقد اهتم المطوفون والتجار بصفة خاصة بإنشاء المساكن الحديثة التي خصصت لسكنى الحجاج خلال موسم الحج[1].

ب ـــ الحالة العمرانية في المدينة المنورة:

تقع المدينة المنورة على ارتفاع ألفي قدم تقريباً فوق سطح البحر، وتبعد عن مدينة جدة ٢٣٩ ميلاً إلى الشمال، وفيها مياه غزيرة وافرة تساعد على زراعة الفواكه والخضر بكثرة مما يربو على حاجة الآهلين[2]، وتتميز المدينة المنورة بوجود الشوارع الضيقة التي لايزيد عرض الواحد منها على أربعة أمتار والحارات والأزقة التي لايزيد عرضها على متر أو مترين، وكان ارتفاع المباني مختلفاً فبعض المباني يصل إلى أربعة أدوار والبعض يصل إلى دورين وأكثرها ثلاثة، ولجد أن في معظم الدور فناء داخلياً تطل عليه الغرف الداخلية للمبنى[3]، وقد بني السور حول المدينة وكان الهدف منه حماية المدينة من الأعراب ومنع

(١) سمير الدسوقي عبدالعزيز. المرجع السابق، ص ص ٣٣٦- ٣٣٨.

(٢) ك. س. تويتشل. المرجع السابق، ص ص ٧٠- ٧١.

(٣) حاتم عمر طه. "ملامح من فن العمارة في المدينة المنورة"، المنهل، المجلد٥٤، الربيعان، ١٤١٣هـ العدد السنوي المدينة المنورة دار الهجرة ومأرزالإيمان، العدد٤٩٩، ص ٦٢.

دخولهم مسلحين، وبقي السور يحيط بالمدينة حتى بدأت المراحل الأولى لإزالته عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٨م، وكان للسور المحيط بالمدينة مجموعة من البوابات من أهمها: باب الجمعة، وباب الشامي، وباب الحمام، وباب القاسمية، والباب الصغير، وباب المجيدي، وباب بصرى، وباب العنبرية، وهذه الأبواب مقر للجمارك ومحصلي الضرائب من التجار في ذلك الوقت. إن النمو العمراني للمدينة المنورة كان معظمه يقع داخل السور وفي أحيائها المتعددة وهي: الأغوات، باب المجيدي، الساحة، باب الشامي، التاجوري، زقاق الطيار، العنبرية، قباء، قربان، العوالي، وبعد إزالة السور أضيف إليها عدد من الأحياء[1].

لقد كان السور من أهم الأسباب التي تحكمت في نمو المدينة المنورة وتطورها المحدود طوال القرون الماضية، وكان للظروف العسكرية والأمنية أثر في وجوده والتمسك به فقد أدى دوراً مهماً في صد هجمات البدو والغزاة المحليين إلى جانب حماية المدينة من أي غزو خارجي، واستمر هذا الوضع حتى قيام المملكة عام ١٩٣٢هـ حيث انتهى دوره عندما آلت السلطة في الحجاز للسعوديين الذين وحدوا أقاليم الجزيرة العربية، ونشروا فوقها الأمن والعدل الأمر الذي ساعد على ظهور بعض التجمعات السكنية خارج السور، ويمكن عدّ ذلك مؤشراً لنهاية السور الذي هدم في أوائل النصف الثاني من القرن العشرين وانطلاقة جديدة لنمو المدينة، وقد أسهم هدم أجزاء عديدة من السور في دخول السيارات إلى المدينة المنورة وخروج السكان للبحث عن مواضع جديدة لبناء مساكنهم خارج السور، كما شهدت الفترة ١٣٧٠هـ/ ١٣٧٥هـ القيام بتوسعة المسجد النبوي التوسعة العزيزية، وهي التوسعة الأولى في العهد السعودي، التي ترتب عليها حدوث تغيرات في تركيب المدينة الداخلي، ونتج عن هذه التوسعة للمسجد القيام بفتح شوارع جديدة وعريضة تربط المسجد بأجزاء المدينة الأخرى من أهمها شوارع: الملك عبدالعزيز،

(١) محمد أحمد الرويثي. "جوانب من الشخصية الجغرافية للمدينة المنورة"، المنهل، المجلد ٥٤، الربيعان، ١٤١٣هـ، العدد السنوي المدينة المنورة دار الهجرة ومأرز الإيمان، العدد٤٩٩، ص٩٧.

باب السلام، أبو ذر، السحيمي[١]. كما أسهم ذلك في نقل الصناعات والحرف خارج المدينة وتوسعة مداخل الأحواش القديمة، وترتب على كل هذه التوسعات والتغيرات في قلب المدينة أن ازداد تركز الوظيفة التجارية في وسط المدينة إلى جانب ظهور مراكز جديدة ثانوية موزعة على أحياء المدينة التي أصبحت تنقسم إلى قسمين هما: الأحياء الداخلية وهي التي تؤلف مايعرف بالمدينة القديمة ممثلة في باب المجيدي، والأغوات، والتاجوري، والنخاولة، وزقاق الطيار، وباب الشامي، والمناخة، والعنبرية، وقباء، والأحياء الخارجية وهي التي برزت بعد هدم السور وقامت حول المنشآت الرئيسة وتتمثل في حي النصر، وسلطانة، والعنابس، والحرة الشرقية، والحرة الغربية، الحزام، وسيد الشهداء، والجرف، والدخل المحدود، والهجرة، وعروة[٢].

وقد كانت محاطة بسور عالٍ تداعى مع مرور الزمن وفيه أربعة أبواب، أما في الجهة الجنوبية والغربية من المدينة فتتميز بوجود البساتين وأشجار النخيل، وقد كانت مساكنها مبنية من الآجر والحجر الخفيف تتخلله الأخشاب لربط بعضها ببعض، ولكل بيت روشن خاص بارز نحو الشارع، أما دَرَج الأبنية غالباً فليس على شيء من الترتيب والتنسيق فارتفاع الدرجة الواحدة قد تزيد على ثلاثين سنتمتراً تقريباً، وفي ذلك ما فيه من صعوبة الصعود والنزول وليس لبيوت الخلاء ترتيب صحي، ولذلك فالروائح الكريهة تؤذي الحاج في كثير الأحيان[٣]. ومباني المدينة المنورة تتكون من كتل متراصة من المباني والمتاجر والمدارس والأربطة التي تحيط بالمسجد النبوي الشريف الذي يحتل المركز، وتفضي الشوارع الرئيسة إلى أبوابه المتميزة، ويمثل الحرم عنصراً مهماً ترتبط به جميع أجزاء المدينة، وتجمع المدينة في تكوينها العمراني التقليدي بين نمطين أحدهما نظام الحارة، والآخر نظام

---

(١) محمد أحمد الرويثي. "جوانب من الشخصية الجغرافية للمدينة المنورة"، المنهل، المجلد ٥٤، الربيعان، ١٤١٣هـ، العدد السنوي المدينة المنورة دار الهجرة ومأرز الإيمان، العدد٤٩٩، ص٩٨.

(٢) المرجع السابق.

(٣) عبدالغني شهبندر. المرجع السابق، ص١٣.

الأحواش والفرق بين النظامين أن نظام الحارة يتكون من شارع رئيس تتفرع منه طرقات ثانوية تصطف على جنباتها المساكن، بينما يتكون نظام الأحواش من شارع رئيس مماثل للحارة تتفرع منه فتحات هي عبارة عن بوابات تفضي إلى فراغ مفتوح تحيط به المساكن من جميع الجهات[١].

وتتصف أغلب بيوت المدينة المنورة بصغر المساحة وتعدد الأدوار، وذلك لرغبة الناس في القرب من الحرم وصغر الرقعة التي كانت محاطة بالأسوار، وغالباً مايكون للمنزل مدخل واحد يؤدي إلى الجزء السفلي المخصص لاستقبال الضيوف أما الأدوار العليا فهي مخصصة لأفراد الأسرة، إن المدينة المنورة تتسم بتكوين عمراني متوازن في كتله البنائية ومتجانس في مظهره العام لكنه متباين في تفاصيله، وللحرم النبوي الشريف أهمية بالغة في ربط أجزاء المدينة بعضها ببعض، فهو بمثابة القطب المغناطيسي الذي يجذب إليه ماحوله من تكوينات تتمثل في الدور والمتاجر والمدارس والأربطة وغيرها من المنافع العامة، وكان لهذا الجذب القوي تأثير بالغ على تشكيل نمط الطرقات والشوارع بحيث تقود المارة إلى الحرم النبوي بسهولة ويسر[٢]. وقد سعى الملك عبدالعزيز إلى العناية بأمر المدينة المنورة ورعايتها ورعاية زوارها، حيث تم بناء خزان عين الزرقاء التي تشرب منها طيبة والوافدون عليها، كما تم تعبيد وسفلتة جميع ميادين وشوارع المدينة المنورة، ثم تعبيد جميع الطرقات والشوارع المتفرعة منها إلى ضواحيها[٣].

ج ـ الحالة العمرانية في مدينة جدة:

كان يحيط بمدينة جدة سور بناه السلطان الغوري في عام ٩١٥هـ يتميز بوجود عدة

(١) محمد بن عبدالرحمن الحصين. "العمارة الإسلامية في المدينة المنورة"، المنهل، المجلد٥٦، جمادى الأولى وجمادى الآخرة ١٤١٥هـ/ نوفمبر ١٩٩٤م، العدد ٥١٩، ص ص١٨٠- ١٨٢.

(٢) محمد بن عبدالرحمن الحصين. المرجع السابق.

(٣) محيي الدين رضا. صور ومشاهدات من الحجاز، ص٣٦.

أبواب[١]، وفي العهد السعودي فتحت بوابتان كبيرتان في سور مدينة جدة واحدة للدخول والثانية للخروج، وأقيم بينهما مخفر يسأل الرائح والغادي، ويرقب الحركة بينهما[٢].

ويعدّ باب مكة أهم هذه الأبواب وكان هو الذي يخرج منه المسافرون والبضائع التي ترسل إلى مكة المكرمة، وكان يلتصق به مبنى صغير للكوشان، وهو التصريح الرسمي بخروج البضائع والأشخاص واستيفاء الرسوم المفروضة عليهم حينما كانت الرسوم مفروضة على الحجاج والأهالي والبضائع في العهد الهاشمي وأوائل العهد السعودي، أما مركز التفتيش على السيارات واستيفاء الرسوم الخاصة بها في العهد السعودي فكان ذلك في باب جديد، كما كان هناك باب اسمه باب الصبة وهذا الباب خاص بخروج البضائع والحجاج من الجمارك، وعليه حرس جمركي إضافة إلى باب شريف وباب البنط وهو باب الميناء[٣].

وفي بداية عهد الملك عبدالعزيز كان يتم إغلاق السور ليلاً ويفتح نهاراً، ونظراً لقلة بيوت مدينة جدة في بداية ذلك العهد فلا يوجد بها فنادق فكان الحجاج يتنقلون منها مباشرة إما إلى مكة المكرمة أو المدينة المنورة، وقد كان لكل بلد مندوب في مدينة جدة يقابل الحجاج فيها لتأمين طرق الانتقال إلى مكة المكرمة[٤].

وتتميز بيوت مدينة جدة أن بعضها مبنى من الأحجار، وبعضها من اللبن، وبعضها من الآجر، وبعضها من الصفائح وسقوف الأبنية كلها من الأخشاب. كما تتميز هذه الأبنية بأن بعضها يبلغ ارتفاعه ثلاثة أدوار، وبعضها أربعة أدوار، والآخر خمسة وهي كثيرة النوافذ والرواشن والبناء من الطراز القديم[٥].

(١) لاتزال أسماء هذه الأبواب مستعملة إلى اليوم من لدن الأهالي.

(٢) إبراهيم عبدالقادر المازني. رحلة الحجاز، ط١ (مصر، مطبعة فؤاد، ١٣٤٩هـ) ص٥٨.

(٣) محمد علي مغربي. ملامح الحياة الاجتماعية، ص ص٥٣- ٥٤.

(٤) سليمان عبدالغني مالكي. سعد الدين أونال. المرجع السابق، ص٩٠.

(٥) عبدالغني شهبندر. المرجع السابق، ص١٦.

ونظراً لضيق مساحة المدينة داخل السور فقد امتدت المنازل رأسياً وتعددت أدوارها لتفي باحتياجات سكانها فكان الدور الأرضي يخصص للاستقبال يعلوه الدور الأول وبه المضيفة، ثم يأتي أهل المنزل في الدورين الثاني والثالث، ويخصص السطح للسمر والسهر وهو بذلك يحل محل الفناء في البيوت ذات الامتداد الأفقي، وفي عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م تم هدم السور لمواجهة الضغط السكاني المتزايد، وبدأ العمران يمتد في أنماط وأشكال من العمارة تعكس الثقافات والأفكار التي وردت إليها من الخارج، وبدأت المدينة تفقد طابعها المميز مثلها مثل معظم المدن الإسلامية[١].

أما ميناء مدينة جدة فقد اهتم به الملك عبدالعزيز اهتماماً بالغاً، وسعى لتحسينه لكي يصبح قادراً على استقبال سفن الحجاج القادمة إليها، فقد كانت سفن الحجاج تقف بعيداً في عرض البحر، ثم ينزل الحجاج منها إلى زوارق صغيرة تسمى سنابيك. ولذا أمر الملك عبدالعزيز وزير المالية عبدالله بن سليمان بالاهتمام بتحسين أحوال الميناء، حيث اختيرت جزيرة في البحر وردم مابينها وبين الساحل، وتم إنشاء رصيف ضخم لترسو عليه السفن، ولقد ترتب على هذه العملية أن ألحق بجدة مساحات جديدة من الأراضي متصلة بالبحر[٢]، وقد تميزت الشوارع بتعددها وتنوعها، فبعضها ضيق وبعضها الآخر واسع غير أنه معتنى بنظافتها، ومدينة جدة بلدة كبيرة بها تجارة واسعة وبها كل مايحتاج إليه من طعام وشراب ولباس وبها المدارس والمتاجر المختلفة[٣]. وقد ذكر المازني عندما زار مدينة جدة في بداية الحكم السعودي للمنطقة عدم وجود فنادق ينزل فيها القاصدون إليها وإنما ينزل الناس في بيوت الأهالي، فمن شاء استأجر منزلاً ومن كان لايسعه ذلك قنع بغرفة

---

(١) محمد سعيد فارسي. "التحدي المعماري في المدينة الإسلامية"، المنهل، مجلد٥٦، جمادى الأولى وجمادى الآخرة، ١٤١٥هـ، العدد ٥١٩، عدد خاص، ص٥٨.

(٢) أحمد حسين. المرجع السابق، ص ص٣٤٩- ٣٥٠.

(٣) محمد إبراهيم حبيب. في الأرض المقدسة بين مصر والحجاز (القاهرة: مطبعة العالم العربي، د. ت) ص٤٢.

صغيرة[١]، لكن الأمور لم تبق كما كانت فقد اهتم الملك عبدالعزيز بتهيئة السبل للقادمين لهذه المدينة، حيث تم تأسيس بعض الفنادق فيها لاستقبال الزوار[٢].

ونتيجة لوضع مدينة جدة كبوابة لمدينة مكة المكرمة يأتي عن طريقها حجاج البحر، فقد واصلت تطورها وازدهارها العمراني، حيث أنشئت فيها عمارات كثيرة ولاسيما بجوار المطار. كما ربطت بمكة المكرمة، حيث أصبحت السيارات الخاصة والعامة تذهب في اليوم عدة مرات بين جدة ومكة تحمل الركاب مما ساعد على رخص أجور الانتقال وانتظامه بين مكة وجدة وسهولته أيضاً[٣].

ثالثاً – النتائج الاقتصادية:

كان الحج في بداية عهد الملك عبدالعزيز يشكل واحداً من مصادر دخل البلاد، إضافة إلى الصناعة البسيطة كالجلود والنسيج، والزراعة وتربية المواشي وتنميتها في البادية بتتبع مساقط الأمطار للبحث عن المراعي، وعلى التجارة؛ إذ إنه بعد استقرار الأوضاع وتوطيد الأمن زادت حركة أصحاب بيوت التجارة في كل مدن الحجاز وخاصة تجارة مدينة جدة بسبب وجود الميناء فيها، وقد تطورت ونمت حركة جدة التجارية عند دخول الملك عبدالعزيز[٤]. حيث أصبحت التجارة في عهده حرة وكان معظم التعامل التجاري مع بلاد الهند واليمن والسودان[٥]. ولقد كان لموسم الحج تأثيره الاقتصادي على سكان المنطقة، إذ كان هو مصدر رزق أهل مكة الوحيد وكانت معظم الحرف لها صلة بموسم الحج بشكل أو بآخر، هذه الحروف التي يتوارثها الأبناء عن الآباء لسنين طويلة ومن أهم هذه المهن مهنة الطوافة التي تقوم بخدمة الحجاج، ومهنة التجارة التي تقوم بالاستيراد من خارج

(١) إبراهيم عبدالقادر المازني. المرجع السابق، ص٥٠.

(٢) محمد إبراهيم حبيب. المرجع السابق، ص٤٣.

(٣) محيي الدين رضا. صور ومشاهدات من الحجاز، ص٨٣.

(٤) إبراهيم الفوزان. المرجع السابق، ص ص١٠١- ١٠٣.

(٥) عبدالله الخشرمي. عصاميون: قصص وتجارب رجال الأعمال، مقابلة أجريت مع أحد تجار مدينة جدة

البلاد، وهناك من احترف الصناعة، مثل صناعة المسابح اليسر وأخشاب الصندل والزيتون وعظم الحوت والتي يتسابق الحجاج لاقتنائها[١]. وفي الواقع؛ فإن العمل التجاري يعتمد بصورة تكاد تكون كلية على الاستيراد من الهند، إذ كانت تصدر إلى جدة الحبوب والأقمشة الشعبية والأحذية وأواني الطعام وما إليها، وكانت البواخر خلال العهد العثماني وفي أوائل القرن الرابع عشر الهجري هي واسطة هذا الاستيراد، إذ كثير من التجار يملكون هذه البواخر أو قسماً منها، حيث كانت هذه البواخر الشراعية تجلب حاجة الحجاز من الأقوات والبضائع كما تجلب حاجة مصر منها، وذلك قبل شق قناة السويس. ولقد ظلت التجارة محصورة مع الهند تقريباً، ولم يتم الانفتاح بصورة عامة إلا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وبانتهائها بدأت النهضة التجارية في البلاد وأصبح الاستيراد والتزاحم مفتوحاً للجميع، وبدأت البيوت التجارية السعودية تمارس نشاطها الواسع الذي قضى على النفوذ التجاري للبيوت الأجنبية؛ بل وأنهى وجودها تماماً[٢]. ومن المهن التجارية التي كانت تزدهر كثيراً خلال موسم الحج مهنة الصرافة، حيث تكون مهمة الصرافين هي تغيير العملات الأجنبية عن طريق الشراء بالعملة المحلية ذلك أن الحجاج يصلون وهم يحملون عملات بلادهم ربيات جاوية أو هندية أو جنيهات مصرية أو عثمانية أو جنيهات إنجليزية، والجميع يحتاجون حين وصولهم إلى أرض الحجاز أن يبدلوا هذه العملات بالعملات المحلية، ولم يكن يقتصر العمل في تبديل العملات على الصرافين وحدهم وإنما يعمل في هذه الصناعة الكثير من الناس في أماكن وجود الحجاج ابتداء من منطقة السؤال في ميناء جدة إلى ماحول بيوت وكلاء الحجاج الذين كانوا يسكنون الحجاج في بيوتهم أو في البيوت التي يستأجرونها لهذه الغاية قريباً من بيوتهم، وكانت الروبية الجاوية في الأربعينات تساوي خمسة ريالات، أما الحجاج الهنود فكانوا

أحمد عبدالقوي بامعوضة، ط٢ (جدة: دار العلم للطباعة والنشر) ص٢١٨.

(١) محمد طاهر الكردي. المرجع السابق، ج٢، ص١٢٨.

(٢) محمد علي مغربي. أعلام الحجاز، ج١، ص ص١٤١- ١٤٢.

يحملون الجنيهات الإنجليزية الذهبية والروبيات الفضية الهندية وسعرها مساوٍ للريال المجيدي في ذلك الوقت أي حوالي سبع روبيات للجنيه، وكانت أوراق البنكنوت بالنسبة للعملات الأجنبية قد أصبحت معروفة وخاصة في أواخر الأربعينيات وبعد الخمسينيات، فكان كثير من الحجاج يحضرون معهم عملات ورقية وخاصة المصريين، وكان الصيارفة يشترون العملات الأجنبية حين ورود الحجاج بالعملات المحلية وبعد انقضاء الحج يستبدل الحجاج ما لديهم من العملات المحلية بعملات بلادهم، وكان الصيارفة يستفيدون من فروق الأسعار حين الشراء وحين البيع وكان بعض هذه العملات مما تحتاج إليه التجارة المحلية كالروبية الهندية لمن كانوا يستوردون من الهند، والجنيه المصري لمن يستوردون من مصر، وكان الحجاج مصدر حركة تجارية كبيرة لا بالنسبة للعملات وإنما للتجارة بصورة عامة[1]. ومن جانب آخر؛ فإن توطيد الأمن في البادية كان له أثره على تقوية الوضع الاقتصادي لسكانها في منطقة الحجاز. وقد كان يهدف الملك عبدالعزيز من خلال توطين البادية واستقرارهم إلى تنفيذ بعض الخطط للاستفادة من رجال البادية بالزراعة بعد تجمعهم في هجر وتجمعات حول مصادر المياه والأراضي الزراعية الخصبة، وكان أكبر دافع لإقامة الهجر هو إيجاد مصدر جديد من الرزق للأعراب الذين كانوا يعيشون على نقل الحجاج على جمالهم. وقد أصبحت حرفتهم مهددة بالزوال لحلول السيارات بدل الجمال، وكذلك تحويل حياة البدو في الحجاز من التجوال في الصحراء وجعلها مستقرة في مراكز ثابتة، وقد أدرك بعد ذلك الأعراب قيمة الاستقرار وأصبحوا يملكون المزارع والبيوت، وكان لذلك أثره في تقوية اقتصاد البلاد الذي نشط في المدن بسبب الاستقرار ورفع الضرائب وفي البادية كذلك بتجميعها وتوجيهها إلى الزراعة والإقامة الدائمة بعد أن استغنت عن خدماتهم التي كانوا يقدمونها لحجاج بيت الله لتوافر السيارات[2].

(١) محمد علي مغربي. ملامح الحياة الاجتماعية، ص ص١٦٦- ١٦٧.

(٢) إبراهيم الفوزان. المرجع السابق، ص ص٩٨- ٩٩.

تعريفة الحج و رسومه:

لقد جرت العادة منذ عهد الأشراف في أخذ رسوم على الحجاج نظير الخدمات التي كانت توفر لهم، وهذه الرسوم في حقيقة الأمر كانت ضرورية نظراً لحاجة الدولة لدخل تعتمد عليه في تيسير شؤون الحج، إلا أن الملك عبدالعزيز كان يرى أن تكون هذه الرسوم مؤقتة وليست دائمة، وأنه بمجرد أن تتحسن ظروف الدولة المالية فإنه يتم إسقاط هذه الرسوم عن الحجاج، وقد حدث ذلك فعلاً في عام ١٣٥٣هـ حيث خفضت العوائد والرسوم نظراً للأزمة الاقتصادية العالمية الواقعة في كافة أنحاء العالم[١].

حيث قامت لجنة شؤون الحج بالنظر بأمر من الملك عبدالعزيز في موضوع التكاليف التي تلزم الحاج لتأدية الفريضة المقدسة وزيارة المسجد النبوي، وقررت تخفيض الربع من كافة العوائد والرسوم المقررة للمطوف وأجور السيارت والجمال وغيرها[٢].

وقد كان الملك عبدالعزيز غير راضٍ عن هذه الرسوم، وكان يسعى بقدر الإمكان إلى الإقلال منها إن لم يكن إلى إلغائها، ولذلك فقد أمر نائب رئيس مجلس الوكلاء تسهيلا على حجاج بيت الله الحرام إلغاء رسم الأضحية الذي كان قد وضع على الأغنام التي تذبح في منى ابتداءً من عام ١٣٥٨هـ[٣].

وفي عام ١٣٥٩هـ تم تخفيض الربع من الرسوم والعوائد والأجور وذلك رغبة من الملك عبدالعزيز في تسهيل سبيل الحج لكافة المسلمين[٤] كما صدر الأمر السامي إلى رئاسة الصحة البحرية والكورنتينات القاضي بعدّ رسم الكورنتينة داخلاً ضمن التخفيض

(١) أم القرى، العدد ٥٢٣، في ١٤/٩/١٣٥٣هـ، ص٤.

(٢) أم القرى، العدد٥٣٦، في ١٧/١٢/١٣٥٣هـ، ص٥.

(٣) "صورة رسالة من الملك عبدالعزيز إلى نائب رئيس الوكلاء"، ديوان جلالة الملك، ٩/١/١٣٥٨هـ، عبدالرحمن السبيت وآخرون. من وثائق الملك عبدالعزيز، ص٣٢٧.

(٤) أم القرى. العدد ٨٢٨، ١/ ١٠/١٣٥٩هـ، ص٥.

من رسوم وعوائد الحجاج لعام ١٣٥٩هـ[١].

وفيما يتعلق بشأن الرسوم التي تحصّل على الحجاج، فقد عدّ سن القادم من الحجاج حسبما يثبت جواز سفره وتذكرة ركوبه، ويميز الطفل والصغير والكبير بحسبهما؛ إذ يعدّ الصغير من بداية السنة السادسة حتى نهاية السنة العاشرة فيقيد نصفاً، والكبير حين دخوله سن الحادي عشر يعدّ شخصاً كاملاً، ويتم تطبيق ذلك في دوائر الكورنتينات والجوازات وشؤون الحج وفروعها من نقابات وكلاء الحجاج في جدة وغيرها في الجهات الأخرى[٢].

وقد كانت العادة المتبعة هي أن تستوفى رسوم الحج من كل حاج يأتي إلى مكة المكرمة خلال المدة المحدودة، التي تعدّ زمناً للرسوم وهي من غرة رجب إلى غاية اليوم التاسع من شهر ذي الحجة، وقد اتخذ مجلس الشورى قراراً برقم ١٢٢ في ٢٤/ ٤/ ١٣٦٧هـ يتضمن أخذ رسوم الحج على كل من يقدم في موسم الحج إلا إذا كان قدومه بقصد الاعتمار أو زيارة المسجد النبوي أو لغرض تجاري أو عائلي وعاد على أثره قبل أن يحج، وقد حاز هذا القرار على التصديق الملكي رقم ١٤/ ٤/ ٤٩ في ٣/ ٧/ ١٣٦٦هـ، وإلحاقاً لهذا القرار فقد اتخذ مجلس الشورى قراره رقم ٩ في ٢٣/ ٢/ ١٣٦٧هـ وتضمن أن يشمل استيفاء رسوم الحج على من يقيمون بالمملكة من الأجانب الذين لديهم دفاتر إقامة وهم يتعاطون التجارة في الحجاز فيما إذا سافروا ثم عادوا[٣].

---

(١) "من رئاسة الصحة البحرية والكورنتينات إلى وكيل مأمور محجر المويلح"، الملف الثالث، ملف و. ج/ الوجه، سلاح الحدود، ص: ١٠/ج١، شؤون صحية، ١٣٥٩- ١٣٩١هـ، قسم الوثائق، الوثائق الوطنية، مكتبة الملك فهد الوطنية.

(٢) "من وزارة المالية تعميم للماليات والدوائر ذات الاختصاص بشؤون الحج إلى مدير الأمن العام"، عدد ١٧٨٩٠/ ٤، في ٢٥/ ٤/ ١٣٦٧هـ، الملف الأول، ملف و. ح/ ، ق أ، الأحساء، صندوق ١١٠، ٢ الحج والحجاج، ١٣٦٦هـ، ١٣٦٧هـ، و-، قسم الوثائق، الوثائق الوطنية، مكتبة الملك فهد الوطنية.

(٣) "من ديوان نائب جلالة الملك ورئيس مجلس الشورى إلى وزارة المالية"، في ٢١/ ٥/ ١٣٦٧هـ، رقمها ٢٧٨٩، الملف الأول، ملف و. ح/ ، ق أ، الأحساء، صندوق ١١٠، الحج والحجاج، ١٣٦٦هـ/ ١٣٦٧هـ، مكتبة الملك فهد الوطنية.

وبالنظر لما تم ملاحظته من أن كلا قراري مجلس الشورى الأول والأخير لايفيان بالهدف المنشود ولا يحولان دون المشكلة المراد حسمها، فقد تم إقرار ما يلي:

أولاً: الأشخاص الذين يقدمون للبلاد للإقامة فيها كتجار أو موظفين في المحلات التجارية أو كعمال استقدمتهم الحكومة أو استقدمتهم شركات تعمل لحساب الحكومة أو لحساب نفسها- أي لعمل ثابت في البلاد- وقد يسبق قدومهم مخابرات خاصة بشأنهم، وتحصلوا على موافقة الحكومة بدخولهم فهؤلاء لا يستوفى منهم رسوم الحج بموجب التأشيرة الموجودة على جوازاتهم على أن تبلغ الجهة المختصة بملاحظة وضع رقم وتاريخ الموافقة السامية على السماح لهم بالدخول.

ثانياً: أن هؤلاء الأشخاص المبحوث عنهم في البند الأول يسري عليهم نظام الإقامة وفي حالة سفرهم لغرض مؤقت يعودون بعده أو لإجازة رسمية تحصيهم دفاتر إقامتهم بموجب النظام، ولا يؤخذ منهم حين عودتهم رسوم الحج.

ثالثاً: الأشخاص الذين يقدمون إلى هذه البلاد بقصد الاعتمار أو زيارة المسجد النبوي أو لغرض تجاري أو عائلي ثم يعودون على أثره قبل أداء الحج لا تؤخذ منهم رسوم الحج أيضاً في قدومهم بغير زمن الموسم- الذي يبتدئ من رجب وينتهي في غاية اليوم التاسع من شهر ذي الحجة- أما إذا قدموا في زمن الحج فتستوفى منهم رسوم الحج.

وقد تمت الموافقة الملكية على هذا الإقرار في كتاب الشعبة السياسية رقم ١٢/ ٢/ ٧/ ٧٦٠ وتاريخ ١٧/ ٥/ ١٣٦٧هـ[1]، وهذا يشير إلى أن الرسوم التي يتم تحصيلها من الحجاج تتعلق بتغطية النفقات التي تدفع لتيسير شؤون الحج.

واستكمالاً للاهتمام المتواصل من لدن الملك عبدالعزيز لتخفيف الأعباء عن الحجاج وخاصة الأعباء المالية، فقد أبلغت الحكومة السعودية الحكومات العربية أنها قررت خفض

(١) "من ديوان نائب جلالة الملك ورئيس مجلس الشورى إلى وزارة المالية"، في ٢١/ ٥/ ١٣٦٧هـ، رقمها ٢٧٨٩، الملف الأول، ملف و. ح/ ، ق أ، الأحساء، صندوق ١١٠، الحج والحجاج، ١٣٦٦هـ/ ١٣٦٧هـ، مكتبة الملك فهد الوطنية.

جميع العوائد والرسوم في موسم حج ١٣٦٨هـ[١]. ومن جهة أخرى فقد كان على الحجاج الجاويين أن يدفعوا عدا الرسوم الحكومية وأجرة الانتقال عشرين جنيهاً استرلينياً عن كل شخص، وذلك مقابل أجرة البيت في مكة المكرمة وحصير في الدار وتنويرها ولضيافة القدوم ومصاريف الضيافة لأيام عرفات وأجرة الخيمة والحوش[٢]، لأن المطوف يقوم بكل ذلك من قبله كما جرت به العادة دوماً. أما الحجاج الآخرون؛ فإنهم يقومون بذلك بأنفسهم، أما رسم الكورنتينات فتستوفيه شركات البواخر والطيران ضمن قيمة تذكرة السفر وتدفعه للسلطات المحلية بجدة. أما الحجاج الواردين بالطريق البري فيقومون بدفع هذه الرسوم للجهات التي تقبض منهم الرسوم الحكومية على الحدود. والأمتعة المسموح بنقلها لكل حاج ضمن الأجرة هي ثلاثون كيلو فقط، وما زاد على ذلك تدفع الأجرة المقررة، وتمر أمتعة الحجاج الخاصة بدون رسوم جمركية، ويسمح له أيضاً بمقدار خمسين كيلو من الأطعمة دون أن يدفع عنها رسوماً جمركية، وإذا أقام الحاج في جدة أكثر من ليلتين فعليه أن يدفع للوكيل ريالاً واحداً عن كل ليلة يقيمها بحيث لايزيد مجموع ما يدفعه على أربعة ريالات. وأما أجرة السكن في مكة وأجرة الخيام في عرفات والخيام أو الدور في منى لغير الحجاج الجاويين، وأتعاب الدليل بالمدينة، وأجرة السكن بالمدينة، وأجور الحمالين بمكة غير محدودة بالتعرفة وموكول أمرها إلى التراضي بين الحجاج وأصحاب الاستحقاق المذكورين، والحاج حر في اختيار الطريقة التي يريدها صالحة لنفسه، ويحق للحاج أن يقيم في المدينة خمسة عشر يوماً لايدفع عنها أي تعويض للشركة، وما زاد على هذه المدة فيدفع كل حاج رغب الإقامة باختياره مبلغاً معيناً من المال[٣].

---

(١) محمد السلاح. عبدالعزيز والحج، ص١٤٢.

(٢) لقد كان مطوفو حجاج الجاوه يأخذون مبلغاً إضافيًا من حجاجهم مقابل بعض الخدمات المتميزة في مدينة جدة وعند قدومهم في مكة المكرمة وعرفات ومنى، وهذه الأجرة كان متعارفاً عليها عند مطوفي الجاوي باسم جامو هشام جميل أحمد إسماعيل. مطوف (مقابلة شخصية).

(٣) "تعريفة الحجاج لعام ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م"، رئاسة أموال الأحساء وتوابعها، الملف الأول، ملف وح/، ق أ، الأحساء، صندوق ١١٠، حج وحجاج، ١٣٦٦هـ/ ١٣٦٧هـ، مكتبة الملك فهد الوطنية.

وأما الجـهات التي توزع عليها الرسـوم والعوائد المقررة على كل حـاج فهي: المطوف والزمزمي والوكـيل بجدة، وأجـرة البيت في جدة عن ليلتين، وحـمالة العـفش في القدوم والإياب وإجرة خـادم ورئيس هيئة المطوفـين والهيئة وفـقراء المطوفين والنقـيب في جدة، والنقـيب في مكة، والمؤسسـات الأهليـة والخيـرية مثل عـين زبيدة في مكة وعين الزرقـاء بالمدينة وعـين العـزيزية في جـدة وبلدية مكة وبلديـة المدينة وبلدية جـدة، ودور الأيتـام وجمعـية الإسعاف الخيـري. أما ما يدفعه الحـجاج الجاويين فهو لقـاء أجرة البيت في مكة ومصاريف الحج والضيافة والخيمة وحوش منى وضيافة القدوم[١].

والحقيقـة من خلال دراسة تعريفة ورسوم الحج خلال سنوات حـكم الملك عبدالعزيز يتضح لنا أن هذه الرسوم كانت شبه ثابتـة خلال هذه الفترة، وذلك حتى لا تؤثر على حالة الحـاج الاقـتصـادية؛ بل نجـد أنه خـلال بعض السنوات كـان يتم تخـفـيض هذه العـوائد والرسوم، وذلك مراعاة لحالة الحجاج نتيجة للظروف الاقتصادية العالمية، فقد تم تخفيضها في عام ١٣٥٣هـ[٢] وفي عام ١٣٥٩هـ[٣].

وقد كـانت المملكة العـربية السـعودية في بـداية تكوينها تعـاني من صعـوبات مالـية وخاصة في سنوات الأزمة الاقتصادية العالميـة في الثلاثينيات الميلادية، وكانت رغبة الملك عبدالعزيز أن يلغي هذه الرسوم المفروضـة على الحجاج ولكن لم يكن باستطاعته في تلك الفترة المبكرة التي شهدت البلاد فيـها أحوالاً اقتصادية رديئة[٤]، وحينما ظهر الزيت لأول

(١) المرجع السابق.

(٢) أم القرى، العدد ٥٢٣، في ١٤/ ٩/ ١٣٥٣هـ، ص٤.

(٣) "من رئاسة الصحة البحرية والكورنتينات إلى وكـيل مأمور محجر المويلح"، الملف الثالث، ملف و. ج/ الوجـه، سلاح الحـدود، ص: ١٠/ج١، شؤون صـحيـة، ١٣٥٩هـ- ١٣٩١هـ، قـسم الوثائق، الوثائق الوطنية، مكتبة الملك فهد الوطنية.

(٤) كانت جـريدة أم القرى تنشر باسـتمرار تعـريفة الحج ورسومـه انظر العدد ٥٢٣، في ١٤/ ٩/ ١٣٥٣هـ، ص٤، والعدد ٩٧٠ في ٢٨/ ٧/ ١٣٦٢هـ، ص٣، ١٢٦١ في ١٦/ ٧/ ١٣٦٨هـ، ص٤، والعدد ١٤٦٧، في ٢٣/ ٩/ ١٣٧٢هـ، ص٢.

مرة في شرق المملكة راود الملك عبدالعزيز الأمل في أن يكون هذا الزيت سبباً في إلغاء هذه الرسوم يعوض الله به الدولة ما تفقده منها، وحينما توصل وزير المالية عبدالله سليمان الحمدان مع شركة أرامكو إلى اتفاق المشاركة الذي يسمح للدولة بمشاركة أرامكو أرباحها في عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م أصبح في استطاعة الملك عبدالعزيز إلغاء رسوم الحج[١].

وقد صدر في عام ١٣٧١هـ أمر بإلغاء الرسوم التي تؤخذ على الحجاج باسم رسوم الحج ابتداءً من هذه السنة، حيث صدر الأمر الملكي الكريم رقم ٦٦٢٩ في ٢/ ٩/ ١٣٧١هـ بذلك، وقد نبهت الحكومة السعودية على سفارتها ومفوّضياتها أن لا تأخذ أية مبالغ باسم المطوفين أو خدمات واجبة للحجاج، وإنما يكون هذا بين الحجاج وأرباب الخدمات المعنيين وأن لا تؤشر على جواز أحد إلا من كان مسموحاً له بالحج من لدن حكومته، وأن يكون معه تذكرة عودة حتى لايكون عالة على أحد[٢].

وكان حج عام ١٩٥٢م الموافق ١٣٧١هـ مميزاً من عدة نواحٍ، وقد بدأ التجمع الفعلي للحجاج عندما أعلن الملك عبدالعزيز أمره بإلغاء رسوم الحج وأن الدولة لن تأخذ رسوماً للحج، ومع التدفق الكبير للحجاج الذي أعقب ذلك أخذت الحكومة السعودية في مواجهة هذا الازدياد الكبير[٣].

رابعاً: النتائج الفكرية:

لقد كان نتيجة لتطور مرافق الحج والخدمات المقدمة للحجاج في عهد الملك عبدالعزيز نتائج فكرية متعددة انعكست آثارها على الحجاج. فقد تميزت مواسم الحج في

---

(١) محمد علي مغربي. أعلام الحجاز ، ج١، ص١١٥.

(٢) انظر "برقية من سليمان الحمد إلى مالية بريدة"، في ٦/ ٩/ ١٣٧١هـ، (قسم الوثائق، الوثائق الوطنية، دارة الملك عبدالعزيز).

(٣) انظر الأمر الملكي بإلغاء رسوم الحج في أم القرى، العدد ١٤١٤، في ٢٩/ ٨/ ١٣٧١هـ، ص١، وفي مجلة الحج، الجزء الرابع، السنة السادسة، شوال، ١٣٧١هـ، ص٢٤٦.

الفترات السابقة للعهد السعودي بوجود العديد من الأمور البدعية المصاحبة له، منها إقامة الصلاة في الحرم المكي على المذاهب الأربعة حيث يؤدي إمام الشافعية الصلاة أولاً ثم يتقدم إمام الحنابلة يتلوه إمام المالكية وفي النهاية يأتي إمام الأحناف[١]، وقد منع الملك عبدالعزيز تعدد الأئمة وقت صلاة الإمام الراتب والتراويح، وذلك أن تعدد الأئمة وفق المذاهب الأربعة السنية قد تؤدي إلى تعصب كل فرقة إلى فرقتها مما يؤدي إلى اضطراب الأمن[٢]. ومن الأمور البدعية كذلك المزارات التي يحرص بعض من الحجاج على الذهاب إليها في مكة المكرمة كمسجد الجن ومسجد الراية ومسجد الإجابة ومسجد انشقاق القمر ومسجد البيعة[٣]، ومن الأماكن التي يقصدها الناس والحجاج للزيارة والتبرك في منطقة منى ما يسمى بغار المرسلات، كما يوجد بها مغارة يدعي بعض الجهلاء أن إبراهيم عليه السلام قد سكن فيها مع زوجته هاجر، كما يوجد بالقرب منها مكان يعتقدون أنه مذبح إسماعيل[٤]، والواقع أن هذه الأمور البدعية التي تصاحب أعمال الحج كان من خلفها أناس يستفيدون منها استفادة مالية واجتماعية ولذلك يحرصون على وجودها نظراً للمنافع التي يجنونها من وراء ذلك. إلا أن هذه الأمور ومع بداية العهد السعودي اختفت وذلك لحرص الملك عبدالعزيز على القضاء على هذه الأمور التي تتنافى مع كمال التوحيد، فقد اختفت الصلاة في الحرم المكي على المذاهب الأربعة[٥]، كما قام بمنع الذهاب إلى المزارات أو التبرك بها. وهو في ذلك يسير على منهج أسلافه من آل سعود الذين كانوا متمسكين بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية الإصلاحية التي كانت تحارب بشدة البدع والمنكرات والأمور الشركية. ومن أعمال الملك عبدالعزيز في المدينة المنورة قيامه بإبطال ماكان يحدث من البدع في أثناء زيارة مسجد النبي، صلى الله

---

(١) ك. سنوك. هورخورنية. المرجع السابق، ص ص١٥٨- ١٦٠.

(٢) عبدالعزيز الأحيدب. المرجع السابق، ص ص٢٢٠- ٢٢٣.

(٣) البتنوني. المرجع السابق، ص٥٦.

(٤) البتنوني. المرجع السابق، ص١٩٦.

(٥) غلام رسول مهر. المرجع السابق، ص٧٨.

عليه وسلم[١]، كما منع اختلاط النساء بالرجال، فللنساء باب خاص يدخلن فيه فلا يختلطن بالرجال، كما أبطل ماكان يحدث بالقرب من الحرم الشريف من مفاسد على أيدي المجاهرين، كما وُضعت شرطة في الحرم لمراقبة الأوضاع والمحافظة على الأمن[٢]. كما نجد هناك هيئة تسمى هيئة الأمر بالمعروف وتنحصر خدماتها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحسنى والاقتناع، ويشمل ذلك التنبيه للصلاة في المساجد في أوقاتها وغير ذلك مما يدخل تحت مسؤوليتهم الشرعية[٣]. ومن الأعمال التي قام بها الملك عبدالعزيز وكان لها نتائج وآثار فكرية متميزة مدرسة المطوفين التي سبق ذكرها في الفصل الثاني، والتي أنشئت للمطوفين لتثقيفهم ولتطوير مستويات الخدمة التي يقدمونها للحجاج، وهذا في الواقع قد انعكست آثاره على الحجاج فقد أصبح المستوى الثقافي متطوراً مما أبعدهم عن الممارسات الدينية الخاطئة التي كانوا يقومون بها، وبالتالي فقد أدى ذلك إلى بعد الحجاج عن أمور بدعية كثيرة كانوا في السابق يمارسونها بحجة أنها من مكملات الحج، وقد كان الهدف من هذه المدرسة تطوير خدمات المطوفين وترقيتها إلى المستوى المطلوب كمرفق حضاري يقوم على تعليم المطوفين مناسك الحج على المذاهب الأربعة وتعليمهم الطريقة المثلى في تقديم خدماتهم للحجاج، ويتلقى فيها المطوفون علم التوحيد، ودراسات خاصة بالعبادات، ودراسات خاصة بالمناسك وأدائها حسب ما دونه علماء السلف والأئمة الأربعة، ثم دراسات حول مايجب على المطوفين لحجاج بيت الله الحرام من حسن الوفادة وتسهيل وسائل الراحة. كما اهتمت هذه المدرسة بتدريس الأنظمة الإدارية الموضوعة للحجاج، وقد كانت مدة الدراسة سنة واحدة ويتم إجراء اختبار للمطوفين في نهاية السنة الدراسية وإعطاء الشهادات لهم[٤].

---

(١) محمود ياسين. رحلة الحج والعمرة، ط١ (دمشق، دار الهجرة، ١٤٠٨هـ) ص١٨٤.

(٢) محمود ياسين. المرجع السابق، ص ص١٨٤- ١٨٥.

(٣) علي حافظ. المرجع السابق، ص٣٥٧.

(٤) "صورة رسالة من الملك عبدالعزيز إلى نائب الملك في مكة"، إنشا مدرسة المطوفين ونظامها ومواد التدريس فيها، مؤرخة في ١٣٤٧/١/٢٣هـ، ديوان جلالة الملك، السبيت، وآخرون. من وثائق الملك عبدالعزيز، ص٢١١.

لقد كان نتيجة تطور الخدمات والمرافق العامة المتعلقة بالحج آثارها الواضحة، خاصة إثر تزايد أعداد الحجاج والتطور العمراني والاقتصادي والفكري، فقد تبين لنا من خلال هذه الدراسة أن توفير هذه الخدمات والمرافق ساعد على تزايد أعداد الحجاج على الرغم من أن هناك أسباباً كثيرة متعلقة بزيادة أو نقصان أعداد الحجاج إلا أن توافر الخدمات محلياً والسعي إلى إيجاد الراحة للحجاج من خلال تطوير المرافق العامة كان سبباً رئيساً شجع الكثير من المسلمين على أداء الفريضة، فقد عانى المسلمون في العهود السابقة لعهد الملك عبدالعزيز من مشكلات أمنية وسكنية، ومن مختلف وسائل المواصلات المستخدمة في النقل مما ثبط من عزائمهم، وجعل كثيراً منهم يفكر قبل أن يقدم على الحج بوصفها مجازفة محفوفة بالمخاطر.

كما أننا نلاحظ من خلال هذه الدراسة تطور مدن الحجازخاصة مكة المكرمة ومدينة جدة والمدينة المنورة عمرانياً، ذلك أن اهتمام سكان الحجاز بمواسم الحج، الذين كانوا مرتبطين به اقتصادياً جعلهم يهتمون بتوفير المساكن الملائمة والمناسبة لسكنى الحجاج سواء في المشاعر المقدسة أو في المدن. كما أنه في المقابل نجد اهتمام الملك عبدالعزيز بشق الطرق وتعبيدها لتسهل انتقال الحجاج في المدن وفي المشاعر وبإقامة أحياء جديدة لكي تستوعب المدن الأعداد المتزايدة للحجاج. وقد كان لمواسم الحج تأثيرها الاقتصادي على سكان المنطقة، فكثير منهم كان يعتمد في رزقه على الاستفادة من مواسم الحج ذلك أن أغلب المهن والأعمال لسكان الحجاز مرتبطة بخدمة الحجاج، وبالتالي فقد أثرت مواسم الحج إيجابياً على سكان المنطقة وفي المقابل كانت الدولة مضطرة إلى أن تعتمد في جزء من اقتصادها على الرسوم والعوائد التي تؤخذ من الحجاج، وذلك مقابل الخدمات والمرافق التي تقدم لهم، إلا أنه عندما أصبحت المملكة العربية السعودية في وضع اقتصادي أفضل أصدر الملك عبدالعزيز أوامره بإعفاء الحجاج من دفع الرسوم والعوائد.

الخاتمـــة

يتميز الحج بأنه موضوع ذو جوانب متنوعة ومتعددة، ويمكن تناوله من زوايا مختلفة تاريخية كانت أو جغرافية أو سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو غير ذلك. ولقد هدفت الدراسة إلى معرفة مرافق الحج وخدماتها المدنية التي سعى الملك عبدالعزيز إلى تقديمها للحجاج.

وقد سعى الباحث من خلال هذه الدراسة إلى معرفة المؤثرات والدوافع التي أسهمت في إيجاد الخدمات والمرافق الخاصة بالحج وتطويرها، والتي يمكن أن نجملها في عدة حقائق وثوابت من أهمها أن الحج قد مثل مواجهة وتحدياً كبيراً للملك عبدالعزيز وواجباً إسلامياً نظراً للأهمية الكبرى التي كان يحتلها في نفوس المسلمين لكونه الركن الخامس من أركان الإسلام ونظراً لأنه يمثل تجمعاً إسلامياً سنوياً فقد تطلب منه ذلك أن تكون الخدمات في مستوى ذلك التجمع، ومن هنا وضع الملك عبدالعزيز سياسة حكيمة لمواجهة هذا التحدي الكبير وتحقيق هذا الواجب الديني العظيم، واستطاع من خلالها أن يجتاز العقبات وأن يؤسس وضعاً جديداً كان له أثره الفعال في تقديم الخدمات وتطوير المرافق وفق ما يتناسب وأهمية ذلك الحدث، ولاشك أن الدوافع الدينية لدى الملك عبدالعزيز كانت من الأسباب المهمة التي لها تأثيرها في تقديم الخدمات للحجاج.

ومن جهة أخرى فقد واجهت الملك عبدالعزيز في بداية تكوينه للدولة ضعف البنية الأساسية للدولة الحديثة، مما جعله يسعى إلى تكوين كوادر إدارية وبشرية لتقوم بواجبها في إنشاء البنية التحتية، لذا؛ كان الأخذ بالأسباب صفة ملازمة له في تطوير المرافق العامة، وفي بناء البنية التحتية للدولة، وبالتالي فمن الأمور المهمة التي يجب أن نشير إليها في هذا النطاق سعيه في نقل التقنيات المتطورة والحديثة وتقديمها للحجاج، وتوظيف كل الطاقات لخدمة الحجاج، وتوفير السبل المريحة لهم لتأدية فريضتهم بكل سهولة ويسر. إن تطور الخدمات والاهتمام بالمرافق الخاصة بالحج أسهم كثيراً في تطور معدلات النمو والتفوق

الإنتاجي للدولة في كافة مرافقها، فقد كان الاهتمام بمواسم الحج ذا مردود مهم في تنمية المجتمع تنمية صحيحة وفي الأخذ بأسباب التقدم المعاصرة.

ونستطيع القول إن من ضروريات المواجهة التي اعتمد عليها الملك عبدالعزيز في تنمية وتطوير المرافق العامة للدولة بصفة عامة هو استخدام العلم، وهو سلاح التطور والتقدم والرقي وفي نطاق ذلك كان اهتمامه الأساسي بمحاربة الأمية في مختلف أنحاء الدولة، ولا يخفى على المتتبع ما لأهمية العلم والتعليم من دور في تطور الأمم والشعوب ورقيهما.

وإن من الأمور المهمة التي نستخلصها في نهاية هذا البحث هي تلك العناية والاهتمام الملحوظ من لدن الملك عبدالعزيز بتنظيم أمور الحجاج ووضع قواعد رعايتهم، وبذل كل الجهود في هذا السبيل، وتجلت تلك العناية في إنشاء أول مديرية عامة للحج تحت إشراف وزارة المالية تتولى تقديم الخدمات للحجاج في عام ١٣٦٥هـ، وكان هذا أمراً جديداً على وفود الحجيج الذين لم يكونوا من قبل يجدون رعاية أو يعرفون مرجعاً محدد المسؤولية، وبدأت الإدارة تضطلع بمهامها في خدمة الحجاج وتسهيل أدائهم للنسك وسماع شكواهم وإزالة أسبابها وإرشادهم إلى مطوفيهم والعناية بهم مدة إقامتهم في الأراضي المقدسة، وكانت في سبيل ذلك تصدر الأنظمة والتعليمات التي يعرف بها الحجاج مالهم وما عليهم. وفي العام التالي من إنشاء المديرية العامة للحج وتنظيماته، بدأت وفود الحجيج تلمس آثارها. كما أصدرت المديرية العامة للحج في تلك الفترة تنظيمها بشأن سيارات الحجاج وتنظيمات بشأن أعمال المطوفين والوكلاء؛ بل امتدت رعايتها للحجاج إلى المجال الصحي فكانت تلجأ إلى إدارة الصحة العامة لإعداد نصائح وإرشادات طبية للحجاج لتبصيرهم بما يجب عليهم التمسك به للمحافظة على أنفسهم، وكانت كل الهيئات التي تعمل في مجال الحج والحجاج مرتبطة بهذه المديرية تنفيذاً للأمر السامي الصادر بإنشائها، الذي صدر في هذا الشأن، ومنها على سبيل المثال نقابة السيارات وهيئة

تميز قضايا المطوفين بمكة المكرمة، وهيئة المراقبة بجدة، ورؤساء المطوفين وهيئاتهم بمكة، ورؤساء الزمازمة وهيئة الأدلاء بالمدينة المنورة، وتضمن الأمر السامي أن تقوم الوزارات التي لها صلة بأمور الحج بتقديم المعونة الفعالة التي تكفل حسن أداء هذه المديرية لأعمالها، خاصة وزارات الداخلية والخارجية والصحة والمالية، ونص القرار على أن يرصد مبلغ معين في الميزانية العامة للدولة سنوياً لمشروعات الحج. وفي عام ١٣٧٥هـ لقيت المديرية العامة للحج مزيداً من الدعم والتنظيم فكانت الإدارة العامة للحج ومقرها جدة ولها فرعان أحدهما في مكة المكرمة والثاني في المدينة المنورة، وعندما اتسعت مجالات العمل من أجل خدمة الأعداد المتزايدة من الحجيج كان لابد من استقلال الإدارة العامة للحج لتنتقل من إشراف وزارة المالية لتصبح وزارة مستقلة سميت وزارة الحج والأوقاف تعبيراً عن بذل المزيد من العناية لأعمال الحج، وتركيزاً للجهد الذي يجب أداؤه لضيوف الرحمن، وتحقيقاً لربط شؤون الحج ورسالة الأوقاف والمساجد، وقد أنشئت هذه الوزارة عام ١٣٨١هـ ومنذ ذلك التاريخ أصبحت ذات شقين لهما رسالتهما الكبرى، ويتمثلان في كل من وكالة الوزارة لشؤون الحج، ووكالة الوزارة لشؤون الأوقاف، ثم أضيفت لهما بعد ذلك وكالة الوزارة لشؤون المساجد.

ولا شك أن من أهم معطيات عهد الملك عبدالعزيز استتباب الأمن الذي شهدته المنطقة الذي عانت من فقده كثيراً في السابق، والذي كان له تأثيره الفعال والمباشر على معظم خدمات الدولة ومرافقها، والذي انعكست آثاره كذلك على مرافق الحج وخدماته، وقد أسهم توافر الأمن في المنطقة في زيادة أعداد الحجاج وفي تطور الخدمات والمرافق المقدمة لهم مما جعل له من الإيجابيات الكثيرة على المنطقة.

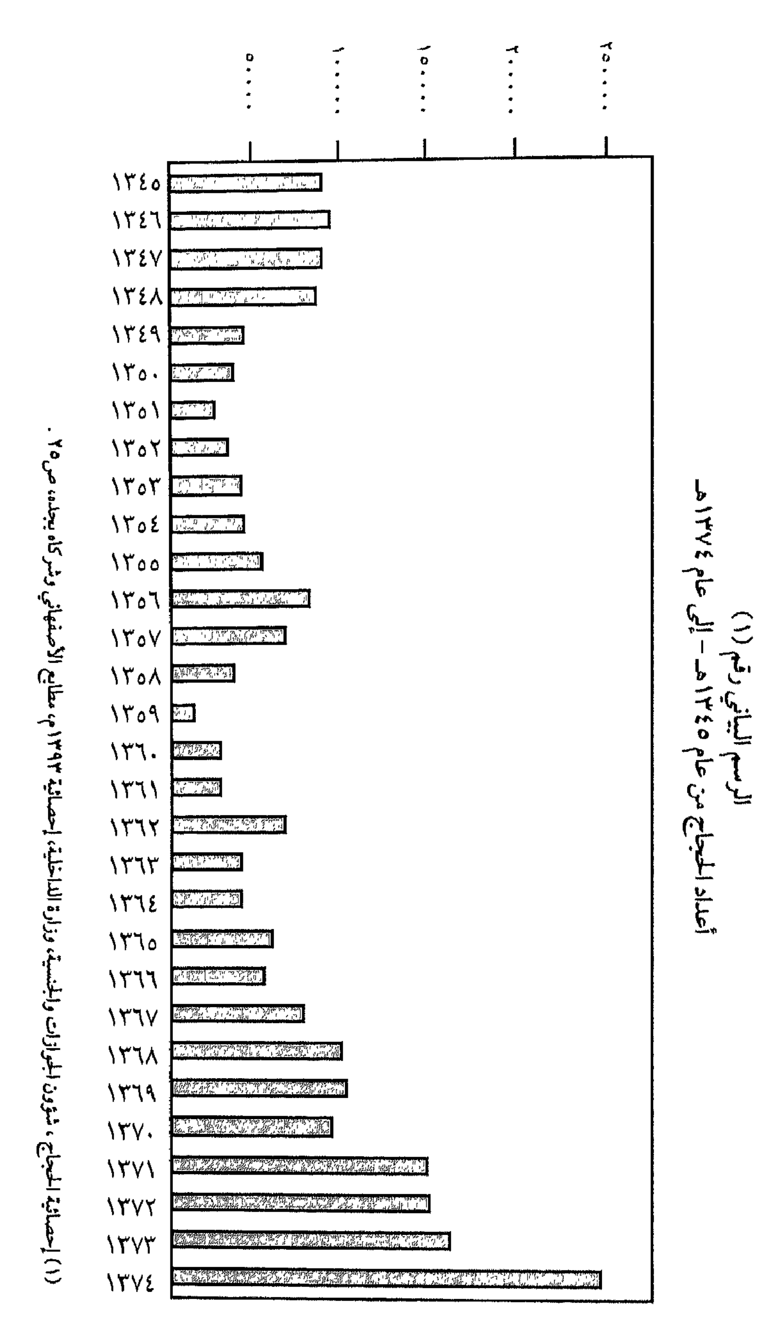
كما نجد أن الأوضاع الصحية قد تطورت كثيراً في عهد الملك عبدالعزيز، فبعدما كانت منطقة الحجاز تعاني كثيراً من وجود الأمراض والأوبئة، خاصة تلك التي تنتشر خلال مواسم الحج، وذلك نتيجة لعدم توافر الخدمات الصحية والوقائية وعدم جديتها مما

جعل كثيراً من دول العالم وكثيراً من المؤتمرات الصحية الدولية تعد الحج مصدراً من مصادر انتشار الأمراض والأوبئة؛ فإننا نجد أن المنطقة في عهد الملك عبدالعزيز قد تميزت بهدوء الحالة الصحية فيها خلال مواسم الحج وعدم انتشار الأمراض والأوبئة إضافة إلى أنها لم تشهد- ولله الحمد- أية كارثة صحية كانت لها نتائج أو تأثيرات سلبية على الوضع الصحي العام، وقد كانت معظم الحالات المرضية التي تحدث خلال مواسم الحج حالات فردية تنتهي في وقتها نتيجة لعدم اهتمام الحجاج بأمور الصحة الوقائية وقلة الوعي الصحي لديهم، ولاشك أن تلك التعليمات الصحية والترتيبات التي كانت تحدث قبل مواسم الحج قد أسهمت إسهاماً فعالاً في الحد من انتشار الأمراض وقلتها إضافة إلى المراكز الصحية والمستشفيات التي ساعدت على الحد من الأمراض الوبائية.

كما أسهمت وسائل النقل المتطورة في سهولة الحج ويسره مما أضاف مزيداً من الراحة والانسجام للحجاج، وأصبحت رحلة الحج رحلة هادئة بعدما كانت في السابق شاقة ومضنية، فقد كانت مختلف الأجهزة ذات العلاقة بشؤون الحج تقوم بجهود مكثفة خلال موسم الحج، حيث تحرص النقابة العامة للسيارات على تهيئة المواصلات اللازمة لنقل الحجاج، ووضع مراكز إسعاف من لدن نقابة السيارات على امتداد الطرق التي تسير فيها سيارات نقل الحجاج لتأمين أي عطل يطرأ.

وتوالت اهتمامات الملك عبدالعزيز بتطوير الخدمات العامة وبالإصلاحات المتزايدة في مرافق الحج، فقد وضع الملك عبدالعزيز نصب عينيه مشروعات تدبير المياه بمكة المكرمة والمشاعر المقدسة، وحاول جاهداً إيجاد مصادر عديدة ومتنوعة من أجل الحصول عليه وتغطية احتياجات الحجاج. كما اهتم بمشروعات توسعة الحرم المكي والمسجد النبوي ليستوعب الأعداد المتزايدة للحجاج التي كانت تقدم إلى الأراضي المقدسة كل سنة نتيجة لتوافر الخدمات والمرافق الخاصة بهم، ولاشك أن هذه الخدمات كما دلت على عناية الملك عبدالعزيز فقد وفرت جواً أكثر أمناً، وخدمات صحية واقتصادية ومواصلات أفضل بكثير من العهود السابقة.

الملاحـــــق



الرسم البياني رقم (١)

أعداد الحجاج من عام ١٣٤٥هـ - إلى عام ١٣٧٤هـ

(١) إحصائية الحجاج، شؤون الجوازات والجنسية، وزارة الداخلية، إحصائية ١٣٩٣هـ، مطابع الأصفهاني وشركاه بجدة، ص ٢٥.

الجدول رقم ١

الحجاج القادمون للفترة من ١٣٤٥هـ إلى ١٣٧٢هـ حسب سنوات القدوم.

عام القدوم	عدد الحجاج	عام القدوم	عدد الحجاج
١٣٤٥هـ	٩٠٦٦٢	١٣٥٩هـ	٩٠٢٤
١٣٤٦هـ	٩٦٢١٢	١٣٦٠هـ	٢٣٨٦٣
١٣٤٧هـ	٩٠٧٦٤	١٣٦١هـ	٢٤٧٤٣
١٣٤٨هـ	٨١٦٦٦	١٣٦٢هـ	٦٢٥٩٠
١٣٤٩هـ	٣٩٠٤٥	١٣٦٣هـ	٣٧٨٥٧
١٣٥٠هـ	٢٩٠٦٥	١٣٦٤هـ	٣٧٦٣٠
١٣٥١هـ	٢٠١٨١	١٣٦٥هـ	٦١٢٨٦
١٣٥٢هـ	٢٥٢٩١	١٣٦٦هـ	٥٥٢٤٤
١٣٥٣هـ	٣٣٨٩٨	١٣٦٧هـ	٧٥٦١٤
١٣٥٤هـ	٣٣٨٣٠	١٣٦٨هـ	٩٩٠٦٩
١٣٥٥هـ	٤٩٥١٧	١٣٦٩هـ	١٠٧٦٥٢
١٣٥٦هـ	٧٦٢٢٤	١٣٧٠هـ	١٠٠٥٧٨
١٣٥٧هـ	٥٩٥٧٧	١٣٧١هـ	١٤٨٥١٥
١٣٥٨هـ	٣٢١٥٢	١٣٧٢هـ	١٤٩٨٤١[1]

[1] إحصائية الحجاج، شؤون الجوازات والجنسية، وزارة الداخلية ، إحصائية عام ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٤م، مطابع دار الأصفهاني وشركاه بجدة، ص٢٥.

الجدول رقم ٢:

أمراء الحج في عهد الملك عبدالعزيز

السنة	عدد الحجاج	تسمية من حج بالناس	السنة	عدد الحجاج	تسمية من حج بالناس
١٣٤٥هـ	٩٠٦٦٢	الملك عبدالعزيز	١٣٥٩هـ	٩٠٢٤	الملك عبدالعزيز.
١٣٤٦هـ	٩٦٢١٢	الملك عبدالعزيز	١٣٦٠هـ	٢٣٨٦٣	الأمير فيصل نيابة عن الملك عبدالعزيز.
١٣٤٧هـ	٩٠٧٦٤	الملك عبدالعزيز	١٣٦١هـ	٢٤٧٤٣	الملك عبدالعزيز.
١٣٤٨هـ	٨١٦٦٦	الملك عبدالعزيز	١٣٦٢هـ	٦٢٥٩٠	الملك عبدالعزيز.
١٣٤٩هـ	٣٩٠٤٥	الملك عبدالعزيز	١٣٦٣هـ	٣٧٨٥٧	الأمير فيصل نيابة عن الملك عبدالعزيز.
١٣٥٠هـ	٢٩٠٦٥	الملك عبدالعزيز	١٣٦٤هـ	لم تذكر	الملك عبدالعزيز.
١٣٥١هـ	٢٠١٨١	الملك عبدالعزيز	١٣٦٥هـ	٦١٢٨٦	الملك عبدالعزيز.
١٣٥٢هـ	٢٥٢٩١	الملك عبدالعزيز	١٣٦٦هـ	٥٥٢٤٤	الأمير سعود نيابة عن الملك عبدالعزيز.
١٣٥٣هـ	٣٣٨٩٨	الملك عبدالعزيز	١٣٦٧هـ	٧٥٦١٤	الملك عبدالعزيز.
١٣٥٤هـ	٣٣٨٣٠	الملك عبدالعزيز	١٣٦٨هـ	٩٩٠٦٩	الملك عبدالعزيز.

١٣٥٥هـ	٤٩٥١٧	الملك عبدالعزيز	١٣٦٩هـ	١٠٧٦٥٢	الأمير سعود نيابة عن الملك عبدالعزيز.
١٣٥٦هـ	٧٦٢٢٤	الملك عبدالعزيز	١٣٧٠هـ	١٠٠٥٧٨	الملك عبدالعزيز.
١٣٥٧هـ	٥٩٥٧٧	الملك عبدالعزيز	١٣٧١هـ	١٤٨٥١٥	الأمير سعود نيابة عن الملك عبدالعزيز.
١٣٥٨هـ	٣٢١٥٢	الملك عبدالعزيز	١٣٧٢هـ	١٤٩٨٤١	الأمير سعود نيابة عن الملك عبدالعزيز[1].

(١) إحصاء الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين. نشر عن طريق وكالة انباء السعودية، جريدة عكاظ، العدد الأسبوعي ٩٤٣٩، في ٣٠/ ١١/ ١٤١٢هـ ١ يونيو ١٩٩٢م، السنة الثالثة والثلاثون، ص٢١.

فهرس المصادر والمراجع

الوثائق العربية غير المنشورة:

ـ مكتبة الملك فهد الوطنية.

استعان الباحث بمجموعة من الوثائق المحلية من أهمها:

أ) وثائق مجموعة العمروي

١ ـ المجموعة الأولى.

٢ ـ المجموعة الثانية.

ب) مجموعة وثائق عثمانية.

ج) ملف و. ج/ الوجه، سلاح الحدود، ص: ١٠/ج١، شؤون صحية، ١٣٥٩هـ-١٣٩١هـ.

د) الملف الأول، ملف وح/ ، ق أ، الأحساء، صندوق ١١٠، الحج والحجاج، ١٣٦٦هـ - ١٣٩١هـ.

ـ معهد الإدارة العامة.

استعان الباحث بعدد من الوثائق الحكومية الموجودة في مكتبة معهد الإدارة العامة قسم الوثائق الحكومية، ومن أهمها المحفوظة في الملفات التالية:

١ ـ ملف رقم ٢/ج/١.

٢ ـ ملف رقم ٢/ج/٢.

٣ ـ ملف رقم ٢/ج/٤.

٤ ـ ملف رقم ٢/ج/٥.

٥ ـ ملف رقم ٢/ج/٦.

٦ ـ ملف رقم ٢/ج/٧.

٧ ـ ملف رقم ٢/ج/١٢.

ـ دارة الملك عبدالعزيز.

الوثائق المحلية الخاصة بالموضوع والمودعة في دارة الملك عبدالعزيز في الرياض في قسم الوثائق تحت عنوان: الوثائق الوطنية موضوع حج وحجاج.

وأهمها تحت الأرقام التالية: ٣٢٠- ٣٥٦- ٦٦٦- ٦٧٠- ٧٧٤- ٨٠٦- ٩٢٧- ٩٨١- ٩٨٣.

الوثائق العربية المنشورة:

إحصائية الحجاج. شؤون الجوازات والجنسية، وزارة الداخلية، إحصائية عام ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٤م، مطابع دار الأصفهاني وشركاه بجدة.

عبدالرحمن السبيت، وآخرون. من وثائق الملك عبدالعزيز (الرياض: إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة السادس، ١٤١٠هـ)، ويشتمل على العديد من الوثائق التي لها صلة بالموضوع، ومن أهمها:

أ ـ تعليمات بإلزام المطوفين بالتعليمات الطبية في مكة، ٢٣/ ١٠/ ١٣٤٤هـ.

ب ـ قرار خاص بتنظيم الحجاج، ١١/ ١١/ ١٣٤٤هـ.

ج ـ إعطاء معلومات عن عدد الحجاج، ١٦/ ١٢/ ١٣٤٥هـ.

د ـ إنشاء مدرسة المطوفين ونظامها ومواد التدريس فيها، ٢٣/ ١/ ١٣٤٧هـ.

هـ ـ إلغاء الرسوم التي تؤخذ على رسم الذبيحة في الحج، ١٩/ ١/ ١٣٥٨هـ.

و ـ تنظيم نقل الحجاج عن طريق شركات النقل والشروط الخاصة بذلك، ١٦/ ٣/ ١٣٦٥هـ.

الوثائق الأجنبية المنشورة:

- British Documents on Foreign Affairs: Reports and Papers From the Foreign Office Confidential Print. General Editors: Kenneth Bourne and D.Cameron Watt. Part II Series B. Vol. 14 "Pilgrimage in the reign of Ibn Saud 1927- 1939" (University? Publication of America).

Records of the hajj: A Documentary History of the Pilgrimage to Mecca. Vols. 5. 6. 7. 8. (Archive Editions. 1993).

المقابلات الشخصية:

- حسين عبدالله درويش عابد. مطوف (مقابلة شخصية) في مكتبه، مكة المكرمة، يوم السبت الموافق ٢٢/ ٣/ ١٤١٨هـ.
- محمد أمين إسماعيل سيف الدين. مطوف (مقابلة شخصية) في مكتبه، مكة المكرمة، يوم السبت الموافق ٢٢/ ٣/ ١٤١٨هـ.
- هشام جميل أحمد إسماعيل. مطوف (مقابلة شخصية) في منزله، مدينة جدة، يوم السبت الموافق ٢٦/ ٥/ ١٤١٥هـ.

المؤلفات العربية:

- إبراهيم عبدالقادر المازني. رحلة الحجاز، ط١ (مصر، مطبعة فؤاد، ١٣٤٩هـ).
- إبراهيم عويض العتيبي. تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٤هـ).
- إبراهيم الفوزان. إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة (الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤٠١هـ).
- أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي الشاطبي البلنسي. رحلة ابن جبير (بيروت: دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٨٤هـ).
- أبو الفداء ابن كثير. البداية والنهاية، ج٣، ط٣ (بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٨٠م).
- أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقي. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج١ (بيروت: دار الأندلس، ١٤٠٣هـ)، تحقيق رشدي الصالح ملحس.
- أحمد إبراهيم الشريف. مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول، ط٢ (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٦٧م).
- أحمد إبراهيم الشريف. دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة، ط٢ (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٧م).
- أحمد حسين. مشاهداتي في جزيرة العرب (القاهرة: مطبعة مصر، ١٩٥٠م).

- أحمد السباعي. تاريخ مكة "دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران"، ج٢، ط٣ (مكة: مطابع دار قريش، ١٣٨٥هـ).
- أحمد ياسين أحمد الخياري. تاريخ معالم المدينة المنورة، ط٣ (جدة: مطابع شركة دار العلم للطباعة والنشر، ١٤١١هـ).
- أحمد أمين صالح مرشد. طيبة وذكريات الأحبة، ط٢ (جدة: دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٤هـ).
- أحمد يوسف خلف. النفحات الإلهية في البقاع الحجازية، (د. م، د. ن، د. ت).
- إسماعيل حقي أوزون جارشلي. أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (البصرة: مركز دراسات الخليج العربي، ١٩٨٥م).
- أمين الريحاني. ملوك العرب، ط٨ (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٧م).
- أمين الريحاني. تاريخ نجد الحديث، ط٦ (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٨م).
- أمين سعيد. تاريخ الدولة السعودية "عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل ١٣١٩هـ/ ١٣٧٣هـ"، ج٢ (دار الكاتب العربي).
- السيد محمد الدقن. كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ، ط٢ (القاهرة: مطبعة الجبلاوي، ١٩٨٦م).
- أيوب صبري. مرآة جزيرة العرب، ج٢ (الرياض: دار الرياض للنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ) ترجمة أحمد فؤاد متولي والصفصافي أحمد المرسي.
- جُبران شامية: آل سعود ماضيهم ومستقبلهم (لندن: رياض الريس، ١٩٨٦م)
- حافظ وهبة. خمسون عاماً في جزيرة العرب (مصر: مصطفى البابي، ١٣٨٠هـ).
- حافظ وهبة. جزيرة العرب في القرن العشرين، ط٢، (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٦٥هـ).
- حسن عبدالحي قزاز. الأمن الذي نعيشه، ج١ (جدة: دار العلم للطباعة والنشر، ١٤٠٩هـ).
- حسن عبدالحي قزاز. أهل الحجاز بعبقهم التاريخي، ط١ (جدة: مؤسسة المدينة

للصحافة، ١٤١٥هـ).

- حسن عبدالله آل الشيخ. التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية، ط١، (جدة: تهامة، ١٤٠٣هـ).
- حسين عبدالله باسلامة. تاريخ الكعبة المعظمة، عمارتها وكسوتها وسدانتها، ط٢، (جدة: تهامة، ١٤٠٢هـ).
- حسين محمد نصيف. ماضي الحجاز وحاضره (جدة: د. ن. ١٣٤٩هـ).
- خالد الهميل. العلاقات بين الملك عبدالعزيز آل سعود والأشراف وضم الحجاز (الرياض: مطابع لجد الحديثة، ١٤١٤هـ).
- خير الدين الزركلي. شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز، ط٢، (بيروت، دار العلم للملايين ١٩٨٥م) .
- رابح لطفي جمعة. حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز. (الرياض: مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ).
- سعود بن هذلول. تاريخ ملوك آل سعود، ط٢، (الرياض: مطابع المدينة، ١٤٠٢هـ).
- سليمان عبدالغني مالكي؛ سعد الدين أونال. تاريخ الحج من خلال الحجاج المعمرين، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، مركز أبحاث الحج).
- سيد عبد المجيد بكر. الملامح الجغرافية لدروب الحجيج (جدة: تهامة، ١٤٠١هـ).
- شكيب أرسلان. الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف، (الطائف: مكتبة المعارف، د. ت).
- صلاح الدين المختار. تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، (بيروت: دار مكتبة الحياة).
- طالب محمد وهيم. مملكة الحجاز "١٩١٦م- ١٩٢٥م" دراسة في الأوضاع السياسية، (البصرة: مركز دراسات الخليج العربي، ١٩٨٢م).
- عامر محمد بحيري. نحو القبة الخضراء، (القاهرة: مطبعة دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٧هـ).

- عباس متولي حمادة. مشاهداتي في الحجاز، (د. م، د. ن، د. ت).
- عبدالرحمن السبيت وآخرون. رجال وذكريات مع عبدالعزيز، (الرياض: الحرس الوطني، ١٤١٠هـ).
- عبدالعزيز الأحيدب. ظاهرة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز، (الرياض: مطابع الإشعاع التجارية، ١٣٩٧هـ).
- عبدالقدوس الأنصاري. تاريخ مدينة جدة، ط٣ (القاهرة: دار مصر للطباعة، ١٤٠٣هـ).
- عبدالقدوس الأنصاري. آثار المدينة المنورة،ط٤ (المدينة المنورة: المكتبة العلمية، ١٤٠٦هـ).
- عبدالكريم محمود الخطيب. تاريخ ينبع (الرياض: مطابع الشرق الأوسط، ١٤٠٥هـ).
- عبدالله محمد الشهيل. فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة "١٣٣٣هـ- ١٣٥١هـ" دراسة تاريخية تحليلية، ط١ (الرياض: دار الوطن، ١٤٠٧هـ).
- عبدالله الخشرمي. عصاميون: قصص وتجارب رجال الأعمال، ط٢ (جدة: دار العلم للطباعة والنشر).
- عبدالعزيز صبري. تذكار الحجاز، (مصر: المطبعة السلفية، ١٣٤٢هـ).
- عبدالعزيز عمر أبو زيد. حكايات العطارين في جدة القديمة، (جدة: دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ).
- عبدالمعين عثمان بشناق. الدليل العام للمملكة العربية السعودية "١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م".
- عبدالغني شهبندر. رحلة الحجاز (بيروت: د. ن، ١٩٣٧م).
- عبدالمنعم الغلامي. الملك الراشد جلالة المغفور له عبدالعزيز آل سعود، (الرياض: دار اللواء، ١٤٠٠هـ).
- علي حافظ. فصول من تاريخ المدينة المنورة، ط٢ (جدة: شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ).
- علي حسني الخربوطلي. تاريخ الكعبة (بيروت: دار الجيل، ١٤٠٨هـ).

- عمر الفاروق السيد رجب. الحجاز "المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية أرضه وسكانه- دراسة أيكولوجية" (جدة: دار الشروق، ١٩٨٠م).
- فؤاد حمزة. البلاد العربية السعودية، (الرياض: مكتبة النصر الحديثة، ١٣٨٨هـ).
- فؤاد حمزة. قلب جزيرة العرب، (الرياض: مكتبة النصر، ١٣٨٨هـ).
- فؤاد عبدالحميد عنقاوي. مكة.. الحج والطوافة، (١٤١٥هـ).
- فيصل محمد عبيد. زمزم والزمازمة (جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، ١٤١٥هـ).
- متولي لجيب. نفحات الحج والزيارة (د.م، د.ن، ١٩٥١م).
- محمد إبراهيم حبيب. في الأرض المقدسة بين مصر والحجاز، (القاهرة: مطبعة العالم العربي، د.ت).
- محمد رشيد رضا. الوهابيون والحجاز "طائفة من مقالات نشرت في المنار والأهرام" (بنارس: إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية، ١٤٠٩هـ)، تحقيق وتعليق عبدالرحمن بن عبدالجبار الفريواتي.
- محمد السلاح. وثبة الديار الحجازية (د.م، د.ن، د.ت).
- محمد السلاح. عبدالعزيز والحج (حلب: د.ن، ١٣٥٩هـ).
- محمد الصادق. موكب الحج في سفر المحمل بحراً وسيراً وبراً، ط١ (القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٣٠٣هـ).
- محمد صالح البليهشي. المدينة اليوم "المدينة المنورة في بداية القرن الخامس عشر" (المدينة المنورة: النادي الأدبي، ١٤٠٢هـ).
- محمد صالح الشيبي. إعلام الأنام بتاريخ بيت الله الحرام، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٠٥هـ) تحقيق إسماعيل أحمد إسماعيل حافظ.
- محمد طاهر الكردي. التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، (مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة، ١٤١٢هـ).
- محمد عبدالملك ابن هشام. السيرة النبوية، ج١ (القاهرة: دار التراث العربي، ١٣٩٩هـ) تحقيق أحمد حجازي السقا.

- محمد علي مغربي. أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة، ج١ (جدة: تهامة، ١٤٠١هـ).
- محمد علي مغربي. ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز، ط٢ (جدة: دار العلم للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ).
- محمد عمر رفيع. مكة في القرن الرابع عشر الهجري (مكة المكرمة: نادي مكة الأدبي والثقافي، ١٩٨١م).
- محمد لبيب البتنوني. الرحلة الحجازية (الطائف: مكتبة المعارف، د.ت).
- محمود ياسين. رحلة الحج والعمرة، ط١ (دمشق: دار الهجرة، ١٤٠٨هـ).
- محيي الدين رضا. رحلتي إلى الحجاز (القاهرة: مطبعة المنار، د.ت).
- محيي الدين رضا. صور ومشاهدات من الحجاز (القاهرة: المطبعة التجارية الحديثة، ١٣٧٢هـ).
- مصطفى محمد. في المملكة الروحية للعالم الإسلامي، ط١ (المدينة المنورة: د.ن، ١٣٤٩هـ).
- وزارة الحج والأوقاف. مصنع كسوة الكعبة المشرفة، مكتب الوزير، ١٤١٠هـ.
- وزارة المواصلات. النقل والمواصلات خطوات وإنجازات، ١٤٠٦هـ، المملكة العربية السعودية.
- ياسين أحمد ياسين الخياري. صور من الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة منذ بداية القرن الرابع عشر الهجري وحتى العقد الثامن منه، ط١ (جدة: مؤسسة المدينة للصحافة والنشر، ١٤١٣هـ).
- يوسف أحمد. المحمل والحج، (القاهرة: مطبعة حجازي، ١٣٥٦هـ).

الدوريات:

- جريدة أم القرى:

نظراً لكثرة أعداد أم القرى التي وردت في البحث، وحيث إن تاريخ كل عدد أثبت أمامه عند وروده في هوامش البحث مما يغني عن إعادة تدوين التاريخ مرة أخرى، فسوف

يكتفى بتدوين أرقام الأعداد التي تم الرجوع إليها، والجدير بالذكر أن بعض الأعداد تكرر استخدامه أكثر من مرة، ولكن أدرج رقمه هنا مرة واحدة:

١، ٧، ١١، ١٢، ٢٣، ٢٥، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٤٦، ٤٧، ٥٢، ٦٠، ٦٤، ٧٤، ٧٦، ٧٨، ٨٦، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٢، ١٠١، ١١٢، ١١٦، ١١٧، ١٢٦، ١٣١، ١٤١، ١٤٣، ١٤٧، ١٥٧، ١٨١، ١٩٧، ١٩١، ١٩٧، ٢٣٠، ٢٢٣، ٢٢٩، ٢٥٦، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٢٣، ٣٣١، ٣٤٣، ٣٧٦، ٣٨٤، ٣٨٦، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١١، ٤١٥، ٤٢٤، ٤٤٢، ٤٦٧، ٥١١، ٥١٢، ٥١٤، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٣٢، ٥٣٦، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤٦، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٦٥، ٥٧٨، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٦٣٢، ٦٣٧، ٦٤٠، ٦٤٢، ٦٧٦، ٦٧٨، ٦٨٢، ٦٨٥، ٦٨٧، ٦٩٠، ٧٢٥، ٧٢٨، ٧٣٢، ٧٣٨، ٧٤٣، ٧٤١، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٨، ٨٠١، ٨٢٨، ٨٣٩، ٨٨٧ ٨٨٨، ٩٢٠، ٩٣٩، ٩٤٣، ٩٩١، ١١٠١، ١٠٣١، ١٠٨٦، ١١٣٠، ١١٥٢، ١١٧٨، ١١٨٠، ١٢٠٩، ١٢٢٠، ١٢٣٠، ١٢٧٤، ١٢٨٠، ١٢٩٦، ١٣٢٤، ١٣٢٧، ١٣٧١، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٤١٤، ١٤٢٢، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٩، ١٤٣٦، ١٤٥٣، ١٤٥٨، ١٤٧٣، ١٤٧٥، ١٤٧٧، ١٤٨٠.

- مجلة الحج:

  الأعداد المحصورة في الفترة ١٣٦٦هـ/ ١٣٧٢هـ.

- مجلة المنهل:

  الأعداد المحصورة في الفترة ١٣٦٥هـ/ ١٤١٥هـ.

- أحمد إبراهيم الغزاوي. "مكة تطورها العمراني في العهد السعودي"، المنهل، جزء ممتاز، ذو القعدة وذو الحجة، ١٣٦٥هـ، المجلد ٦، السنة ٦، ص ص٥٢٨- ٥٢٩.
- أحمد عزت عثمان صالح. "مدرسة للمطوفين بمكة المكرمة وأخرى لأدلاء الزائرين بالمدينة المنورة"، مجلة الفيصل، العدد ١٠٢، ذو الحجة ١٤٠٥هـ، ص١٠٨.
- أديب الحبال. "من مظاهر نهضة إدارة الصحة العامة"، المنهل، مجلد ٨، السنة الثامنة، الجزء ١١و ١٢، ذو القعدة وذو الحجة، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م، ص ص٤٣٧- ٤٤٢.
- بشير الرومي. "تطورنا الصحي في ربع قرن"، المنهل، المجلد٩، السنة التاسعة الجزء ١١و١٢ ذو القعدة وذو الحجة، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، ص ص٤٧٠- ٤٧٣.

- جريدة عكاظ. العدد الأسبوعي رقم ٩٤٣٩، في ٣٠/ ١١/ ١٤١٢هـ، ١يونيو ١٩٩٢م، السنة الثالثة والثلاثون، ص٢١.
- حاتم عمر طه. "ملامح من فن العمارة في المدينة المنورة"، المنهل، العدد ٤٩٩، المجلد ٥٤، الربيعان، ١٤١٣هـ، العدد السنوي، المدينة المنورة دار الهجرة ومآزر الإيمان، ص٦٢.
- خالد المطري. "الحج الهجرة السكانية دراسة في حركة السكان في العالم الإسلامي"، مجلة الفيصل، العدد ٣٠، ذو الحجة ١٣٩٩هـ/ نوفمبر ١٩٧٩م، السنة٢٣، المجلد ٢/ ٢٨- ٣٠، ص٢٢.
- عادل محمد نور غباشي. "أسبلة الملك عبدالعزيز على الطريق بين مكة وجدة"، مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة التاسعة عشرة، ربيع الآخر وجمادى الأولى، ١٤١٤هـ الرياض، ص ص٢٠٤- ٢٠٧.
- عبدالرحمن مظهر. "ذكريات مجيدة عن الإمام عبدالعزيز"، المنهل، مجلد ١٤، ربيع الأول، ١٣٧٣هـ، ص١٩٤.
- عبداللطيف بن محمد الحميد. "وثائق سكة حديد الحجاز في الأرشيف العثماني"، مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة الثامنة عشرة، ربيع الآخر وجمادى الأولى وجمادى الآخرة، ١٤١٣هـ، الرياض، ص٦٢.
- عبدالله سليمان الحمدان. "أهدافنا وبرامجنا"، مجلة الحج، العدد الأول، رجب ١٣٦٦هـ، السنة الأولى، مكة المكرمة، ص ص٣- ٦.
- عبدالله شطا. "إدارة الحج"، مجلة الحج، العدد الأول، رجب ١٣٦٦هـ، السنة الأولى، مكة المكرمة، ص ص٦٤- ٦٦.
- عطاالله الجعيد. عبر جبل كرا بالطائف إلى مكة المكرمة استثمار طريق الحجاج القديم سياحياً، مقابلة مع أحد أعيان منطقة جبل الكرا: حسين عمر القرشي، جريدة عكاظ، العدد ١٠٥٢، في ٩/ ١/ ١٤١٦هـ، السنة السابعة والثلاثون، ص١٠.
- علي جميل. "الغاية التي تستهدفها خدمات الأمن"، المنهل، السنة ٨، الجزء ١١و١٢ذو القعدة وذو الحجة، ١٣٦٧هـ، ص ص٤٣٣- ٤٣٤.
- علي جميل. "مشكلة المواصلات في العاصمة. أحسن حل عملي لمشكلة المواصلات

في مكة وبين المشاعر في موسم الحج"، السنة ١٠، ج٣- ٤، ربيع الأول وربيع الثاني، ١٣٦٩هـ، المنهل، ص١١٢.

ـ علي جميل. المنهل، مجلد ١٢، السنة ١٢، الجزء الأول، المحرم ١٣٧١هـ، ص ص٥-٦.

ـ عيسى موسى الشاعر. "الحج إلى مكة"، المجلة العربية، العدد التاسع، السنة الرابعة، صفر ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م، ص ص٥-٦.

ـ فالح الشراخ. "مسن في الحرمة يتحدث عن تجاربه في الحياة"، جريدة الرياض، العدد ٩٨٩٩، السنة الثانية والثلاثون، الثلاثاء ٥/ ٣/ ١٤١٦هـ، ص٨.

ـ فؤاد رضا. "تعريف بوضعنا الإداري .الأمن العام"، المنهل، المجلد ١٠، عدد ذو القعدة وذو الحجة، ١٣٦٩هـ، ص ص٣٦٢- ٣٦٦.

ـ فؤاد رضا. "تعريف بوضعنا الإداري. الأمن العام"، المنهل، المجلد ١١، عدد المحرم، ١٣٧٠هـ، ص ص١٣- ٢٥.

ـ فؤاد رضا. "تعريف بوضعنا الإداري. مديرية الصحة العامة"، المنهل، المجلد ٩، السنة التاسعة، الجزء ١١و١٢ ذو القعدة وذو الحجة، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، ص ص٣٧٧-٣٨٧.

ـ فؤاد رضا. "تعريف بوضعنا الإداري. المديرية العامة للبرق والبريد والتلفون"، المنهل، المجلد١١، السنة الحادية عشرة، ربيع الأول، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م، ج٤، ص ص١٢٦-١٣٠.

ـ فؤاد رضا. "تعريف بوضعنا الإداري. مديرية مصلحة خفر السواحل"، المجلد١٠، السنة العاشرة، ج٨، شعبان ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م، المنهل، ص ص٢٩٢- ٢٩٤.

ـ فؤاد رضا. "تعريف بوضعنا الإداري. اللجان والهيئات"، المنهل، المجلد١٠، السنة١٠، ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م، ص ص١٨٢- ١٨٤.

ـ مجلة الحج. إعداد هيئة التحرير في المجلة، العدد الرابع، السنة الأولى، شعبان ١٣٦٦هـ، مكة المكرمة، ص٣٣.

ـ مجلة الحج. إعداد هيئة التحرير في المجلة، العدد السادس، السنة الأولى، ذو الحجة ١٣٦٦هـ، مكة المكرمة، ص٦٣.

ـ مجلة الحج. "تعليمات الحجاج البرية لموسم ١٣٦٧هـ"، العددان الثاني والثالث، شعبان ورمضان، ١٣٦٧هـ، السنة الثانية، مكة المكرمة، ص ص٨٠- ٨٢.

ـ مجلة الحج. " حوادث وأنباء داخلية"، إعداد هيئة التحرير في المجلة، العددان الثاني والثالث، شعبان ورمضان ١٣٦٧هـ، السنة الثانية، مكة المكرمة، ص٦٤.

ـ مجلة الحج. "إرشادات إدارة الحج"، العدد الرابع، شوال ١٣٦٧هـ، السنة الثانية، مكة المكرمة، ص١٧.

ـ مجلة الحج. "تعليمات للوكلاء"، العدد الرابع، شوال ١٣٦٧هـ، السنة الثانية، مكة المكرمة، ص ص٨٩- ٩٠.

ـ مجلة الحج. "تعليمات بشأن الأدوات الاحتياطية العائدة لسيارات الحجاج"، العدد الخامس، ذو القعدة ١٣٦٧هـ، السنة الثانية، مكة المكرمة، ص٥٥.

ـ مجلة الحج. "تعليمات بشأن سفر سيارات الحجاج"، العدد الخامس، ذو القعدة ١٣٦٧هـ، السنة الثانية، مكة المكرمة، ص ص٥٢- ٥٤.

ـ مجلة الحج. "تعليمات لموظفي الدوريات المتنقلة والثابتة في الطرق لتسهيل راحة الحجاج"، العدد الخامس، ذو القعدة ١٣٦٧هـ، السنة الثانية، مكة المكرمة، ص ص٤٩- ٥١.

ـ مجلة الحج. إعداد هيئة التحرير في المجلة، العدد الخامس السنة الرابعة، المحرم ١٣٧٠هـ، ص ص٧٣- ٨٠.

ـ مجلة الحج. "لا وباء في البلاد السعودية"، العدد الخامس، ذو القعدة، السنة الخامسة، ١٣٧٠هـ، ص٥٦.

ـ مجلة الحج. "التعليمات الخاصة بترحيلات حجاج الطائرات"، الجزء الخامس، السنة السابعة، ذو الفعدة ١٣٧٢هـ، ص٣٤٦.

ـ مجلة الحج. "مرسوم ملكي بإلغاء رسوم الحج"، الجزء الرابع، السنة السادسة، شوال ١٣٧١هـ، ص٢٤٦.

ـ مجلة المنهل. "شهرية الأنباء"، إعداد هيئة التحرير في المجلة، عدد ١٣٦٦هـ، شعبان، مجلد ٧، ص٤٢٦.

ـ مجلة المنهل. "شهرية الأنباء"، إعداد هيئة التحرير في المجلة، المجلد٩، رمضان شوال

سنة ١٣٦٨هـ، ص٤٣٥.

- مجلة المنهل. "مشكلة المواصلات في العاصمة"، إعداد هيئة التحرير في المجلة، السنة ١٠، ج٣- ٤، ربيع الأول وربيع الثاني ١٣٦٩هـ، ص١١٠.
- مجلة المنهل. "السبيل الوحيد لتنظيم راحة الحجاج أيام الحج"، إعداد هيئة التحرير في المجلة، عدد ممتاز، ذو القعدة وذو الحجة ١٣٦٩هـ، المجلد ١٠، ص ص٣٤٧- ٣٧٥.
- مجلة المنهل. "شهرية الأنباء"، إعداد هيئة التحرير في المجلة، المجلد ١١، ١٣٧٠هـ، السنة الحادية عشرة، جزء٢، صفر ص١٠٣.
- مجلة المنهل. "شهرية الأنباء"، إعداد هيئة التحرير في المجلة، المجلد ١١، ١٣٧٠هـ، السنة الحادية عشرة، المحرم، الجزء الأول، ص٤٧.
- مجلة المنهل. "شهرية الأنباء"، إعداد هيئة التحرير في المجلة، المجلد ١١، ١٣٧٠هـ، السنة الحادية عشرة، جزء٩- ١٠، ذو القعدة و ذوالحجة، عدد ممتاز، ص ص٤٣٤- ٤٣٥.
- مجلة المنهل. إعداد هيئة التحرير في المجلة، المجلد ١٢، السنة١٢، الجزء العاشر والحادي عشر، ١٣٧١هـ، ص٤٧٤.
- مجلة المنهل. إعداد هيئة التحرير في المجلة، السنة الثالثة عشرة، ج٢، صفر ١٣٧٢هـ، المجلد١٣، ص ج.
- مجلة المنهل. "شهرية الأنباء"، إعداد هيئة التحرير في المجلة، مجلد ١٣، عدد ذو القعدة، ١٣٧٢هـ، ص٥٢٣.
- مجلة المنهل. "شهرية الأنباء"، إعداد هيئة التحرير في المجلة، عدد المحرم، الجزء الأول، المجلد١٤، السنة ١٤، ١٣٧٣هـ، ص٦٨.
- مجلة المنهل. "نشرة صحية عن مرض الضنك"، وزارة الصحة، مجلد ١٤، عدد صفر ١٣٧٣هـ، ص ص١١٩- ١٢١.
- محمد أحمد الرويثي. "جوانب من الشخصية الجغرافية للمدينة المنورة"، المنهل، العدد ٤٩٩، المجلد٥٤، الربيعان، ١٤١٣هـ، العدد السنوي المدينة المنورة دار الهجرة ومأزر الإيمان، ص٩٧.
- محمد حسن فقي. "تصدير"، مجلة الحج، العدد الرابع، شوال ١٣٦٧هـ، السنة الثانية،

مكة المكرمة، ص٩.

ـ محمـد سعيد فارسي. "التحدي المعماري في المدينة الإسلامية"، المنهل، العدد ٥١٩، مجلد ٥٦، جمادى الأولى وجمادى الآخرة، ١٤١٥هـ، عدد خاص، ص٥٨.

ـ محمد صالح قزاز. "العين العزيزية"، مجلة الحج، العدد الأول، رجب ١٣٦٦هـ، السنة الأولى، مكة المكرمة، ص ص٣٩- ٤٣.

ـ محمـد بن عبدالرحمن الحصين. "العمارة الإسلامية في المدينة المنورة"، المنهل، العدد ٥١٩، المجلد٥٦، جمادى الأولى وجمادى الاخرة ١٤١٥هـ/ نوفمبر ١٩٩٤م، ص ص١٨٠- ١٨٢.

ـ محمـد مغيربي آل فتيح. "مشكلة المواصلات في العاصمة. أحسن حل عملي لمشكلة المواصلات في مكة وبين المشاعر في موسم الحج"، السنة١٠، ج٣- ٤، ربيع الأول وربيع الثاني ١٣٦٩هـ، المنهل، ص ص١١٠- ١١٣.

ـ محمود أبار. "اليوبيل الفضي الحجاز بين الماضي والحاضر". المنهل، المجلد ٩، السنة التاسعة، الجزء ١١و١٢ ذو القعدة وذو الحجة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، ص٤٦٤.

ـ معراج نواب مرزا. "أثر العوامل الطبيعية في النمو العمراني لمكة المكرمة"، المنهل، العدد ٥١٩، المجلد ٥٦، جمادى الأولى وجمادى الآخرة ١٤١٥هـ/ نوفمبر ١٩٩٤م، ص ص١٧٠- ١٧٤.

ـ "نظام المطوفين العام"، نشر النظام كاملاً في مجلة الحج في الأعداد التالية: العدد الحادي عشر، جمادى الأولى ١٣٦٨هـ، السنة الثانية، ص ص٩١- ٩٤، وفي العدد الثاني عشر، جمادى الثانية ١٣٦٨هـ، السنة الثانية، ص ص٧٧- ٨٦.

ـ وصفي عمر. "الحج إلى بيت الله الحرام"، المنهل، مجلد ١٣، السنة ١٣، الجزء الخامس، جمادى الأولى ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م، ص٤٤٨.

بحوث منشورة:

ـ أحمد علي إسماعيل. "حركة الحج من دول العالم الإسلامي"، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي، المجلد الخامس، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٤هـ، مركز البحوث، ص ص٢١٢- ٢١٦.

ـ حامد غنيم أبو سعيد. "الحج في عهد الملك عبدالعزيز الأماكن المقدسة والرجل الأمين"، ندوة العلاقات المصرية السعودية في النصف الأول من القرن العشرين ١٩٨٧م/ ١٤٠٧هـ، جامعة الزقازيق ورابطة الجامعات الإسلامية ١٤١٠هـ، المجلد الثالث، ص ص١٤١- ١٥٣.

ـ خالد المطري. "الحج دراسة في حركة السكان"، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي، المجلد الخامس، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٤هـ، مركز البحوث، ص٢٧٧.

ـ سمير الدسوقي عبدالعزيز. "مكة المكرمة دراسة في جغرافية المدن"، (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، إدارة الثقافة والنشر ١٤٠٤هـ)، ص ص٣١٧- ٣٦٣.

ـ عبدالله بوقس. "نقل الحجاج بين الماضي والحاضر"، وقائع ندوة النقل في الحج للسنة الثالثة، ٢١- ٢٣ ذي القعدة ١٤٠٨هـ، وزارة المواصلات، وكالة الوزارة لشؤون النقل مكة المكرمة، ص ص٢٣- ٢٧.

ـ عبدالله السدحان؛ عبدالعزيز الغامدي. "الزراعة والمياه في عهد الملك عبدالعزيز"، الموتمر العالمي لتاريخ الملك عبدالعزيز، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (الرياض: ١٩- ٢٣ ربيع الأول ١٤٠٦)، ص ص٧-٨.

ـ عبدالله بن صالح الرقيبة. "العوامل المؤثرة في زيادة وقلة أعداد الحجاج ودور وسائل النقل في ذلك"، وقائع ندوة النقل في الحج للسنة الثالثة، ٢١-٢٣ ذو القعدة ١٤٠٨هـ، ٥- ٧ يوليو ١٩٨٨م، وزارة المواصلات، وكالة الوزارة لشؤون النقل، مكة المكرمة، ص ص٦٨- ٧٤.

ـ عبدالمجيد إسماعيل داغستاني. "النقل في الحج قديماً"، وقائع ندوة النقل في الحج للسنة الثالثة، ٢١- ٢٣ ذو القعدة ١٤٠٨هـ، وزارة المواصلات، وكالة الوزارة لشؤون النقل، مكة المكرمة، ص ص١٦٣- ١٦٩.

ـ عمر حسين جعفري. "النقابات العامة للسيارات وشركات نقل الحجاج تاريخ وتطور"، وقائع ندوة النقل في الحج للسنة الثالثة، ٢١- ٢٣ ذو القعدة ١٤٠٨، ٥-٧ يوليو ١٩٨٨م، وزارة المواصلات، وكالة الوزارة لشؤون النقل، مكة المكرمة، ص

ص٨٩- ٩٣.

ـ عيسى موسى الشاعر. "أعداد ومواطن الحجاج المسلمين بين الماضي والحاضر"، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي، المجلد الخامس، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٤هـ، مركز البحوث، ص٢٤٨.

ـ فهد عبدالله السماري. "الملك عبدالعزيز وإجراءات الحجر الصحي الدولية في الحج"، قسم التاريخ والحضارة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص ص١٥- ٣٤.

ـ وزارة الحج والأوقاف. "رعاية الحجيج في عهد الملك عبدالعزيز"، المؤتمر العالمي لتاريخ الملك عبدالعزيز، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (الرياض: ١٩- ٢٣ ربيع الأول ١٤٠٦هـ)، ص٣.

ـ يوسف الحميدان؛ محمد العيسى. "الإنجازات الصحية في عهد الملك عبدالعزيز من عام ١٣١٩هـ/ ١٣٧٣هـ"، المؤتمر العالمي لتاريخ الملك عبدالعزيز، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (الرياض: ١٩- ٢٣ ربيع الأول ١٤٠٦هـ)، ص ص٨- ١١.

رسائل جامعية غير منشورة:

ـ عبدالله الرقيبة. "الحج إلى مكة المكرمة، دراسة جغرافية لمنطقة الحج وأعداد الحجاج"، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الجغرافيا، كلية العلوم الاجتماعية، (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٥هـ).

المراجع الأجنبية:

ـ إيجيرو ناكانو. "الرحلة اليابانية إلى جزيرة العرب ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م" (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز ١٤١٦هـ)، ترجمة سارة تاكاهاشي.

ـ ك. س تويتشل؛ إدوارد. ج. جورجي. المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٥م)، ترجمة شكيب الأموي.

ـ غلام رسول مهر. يوميات رحالة في الحجاز، ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٧هـ)، ترجمة سمير عبدالحميد إبراهيم.

ـ روبن بدول. الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية، (الرياض: ١٤٠٩هـ)، ترجمة عبدالله آدم نصيف.

ـ ك. سنوك. هورخورنية. مكة المكرمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري، (مكة المكرمة: نادي مكة الثقافي ١٤١١هـ).

Blackwood, P. "The Pilgrimage in 1934" The Moslem world. vol 25 (1935) pp 287- 289.

Long, David E. "International Health Aspects of the Hajj" Sources for the History of Arabia. Vol 2 (Riyadh: Riyadh University, 1979) pp 183- 191.

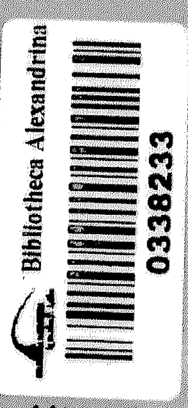
فهرس المحتويات

الموضـــــــوع	رقم الصفحة

الموضـــــــــوع	رقم الصفحة


مطابع الجامعة





ردمك: ٩٩٦٠-٠٤-٢٦٦-٩
ISBN 9960-04-266-9